

أسرار الكنيسة السبعة

« الحكمة بنت بيتها . نحتت أعمدتها السبعة » (أم ٩ : ١)

تأليف

جيتب جرين

مدير الكلية الاكليريكية للاقباط الأرثوذكس سابقا

طبعة رابعة

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة المحيية بالقاهرة

٢٠ شارع الفجالة ت : ٩٠٣٨٢٥



حبيب جو جس

تمهيد

١ - ماذا يعنى بكلمة « سر » فى الكتاب المقدس :
لكلمة « سر » فى الكتاب معناها الاعتيادى المعروفة به كما فى قوله « وعمل
بنو اسرائيل سرا » (٢ مل ١٧ : ٩) وقوله : « لا تبخ بسر غيرك » .
(٣ أم ٢٥ : ٩)
غير أن لها معنيين آخرين . فيراد بها أولا كل شىء مقدس وغير منظور
كما فى الآيات الآتية :

(مز ٢٥ : ١٤)	« سر الرب لخائفيه »
(دا ٢ : ١٩)	« لدانيال كشف السر »
(عا ٣ : ٧)	« يعلن سره لعبيده الأنبياء »
(مت ١٣ : ١١ ، لو ٨ : ١٠)	« لتعرفوا أسرار ملكوت السموات »
(١ كو ١٤ : ٢)	« بالروح يتكلم بأسرار »
(١ كو ١٣ : ٢)	« وأعلم جميع الأسرار »
(رو ١١ : ٢٥)	« لست أريد أن تجهلوا هذا السر »
(رو ١٦ : ٢٥)	« السر الذى كان مكتوما »
(١ كو ٢ : ٧)	« نتكلم بحكمة الله فى سر »
(١ كو ١٥ : ٥١)	« هوذا سر أقوله لكم »
(اف ١ : ٩)	« اذ عرفنا بسر مشيئته »
(اف ٥ : ٣٣)	« هذا السر عظيم »
(اف ٦ : ١٩)	« لأعلم جهارا بسر الانجيل »
(١ تي ٣ : ٩)	« ولهم بسر الايمان »
(١ تي ٣ : ١٦)	« عظيم هو سر التقوى »

وتأتى كلمة « سر » فى الكتاب أيضا بمعنى « رمز أو إشارة أو علامة »
فقول دانيال فى ص ٢ بعد وصف التمثال الذى رآه نبوخذ نصر « إن هذا
سر » يعنى به علامة لأمر خفية . اذ يشير الى تعاقب أربع ممالك يظهر بعدها
ملك المسيح . وكما جاء فى قول صاحب الرؤيا « سر السبعة الكواكب التى
رأيت على يمينى والسبع المنابر الذهبية . السبعة الكواكب هى ملائكة السبع
الكنائس والمنابر السبع التى وأيتها هى السبع الكنائس » (رؤ ١ : ٢٠) .
كذلك جاء فى سفر الرؤيا (ص ١٧ : ١ - ٧) من وصف الزانية الجالسة
على المياه قوله « وعلى جبهتها اسم مكتوب سر » . وقال الملاك « أنا أقول

٤ - التشابه بين الأسرار وبين ما تشير إليه :

فأسرار الكنيسة آذن في مظهرها الطقسية أعمال تشير الى تطهير النفس وتجديدها بالنعمة . وهي مطابقة للقصد الالهي الذي وضعت من أجله ، إذ يوجد تشابه كلي بينها وبين ما تشير اليه . أخذ مثلاً الغسل بالماء في المعمودية ، فإنه يشير بأسلوبه مناسب الى غسل النفس من أدران المعصية . كذلك الزيت في سر الميرون وسر مسح المرضى ، فإنه أنسب مادة للدلالة على قوة السر لتسكين أوجاع الجسد وتقويته ، وقس على ذلك بقية الأسرار .

وقد قال بعضهم : كما أنه يوجد في الطب الجسدي ثلاثة أنواع من الأدوية : نوع يحسم الداء بعد وروده . ونوع يسبق الداء ويقي منه . ونوع يقوى البدن بالاكثار من الجواهر الحيوية التي تمنع ضعفه ، كذلك الأسرار السبعة المقدسة التي أعطانا إياها طبيبتنا الروحي ومخلصنا . فإنها تقوم بهذه الوظائف الثلاث عينها .

فمنها المعمودية والتوبة ومسحة المرضى ، تعتبر أدوية روحية للشفاء من الخطية الأصلية والخطايا الفعلية . وهي أدوية يحتاج إليها كل الناس . ومنها الزبجة والميرون ، وهما دواءان للانتصار ، أحدهما للنصرة على الشهوات . والثاني لأضعاف القوى الغضبية . وفي ذلك وقاية وتحصن من الخطايا .

أما الكهنوت وسر القربان ، فإنهما ينميان فينا العافية الروحية المكتسبة من الأسرار الأخرى .

على أن من هذه الأسرار ما يرسم على قابليه سمة روحية لا تمحى ولذلك لا يعاد ، وهي المعمودية والميرون والكهنوت . فبالمعمودية نوسم كأبناء الله ، وبالميرون نوسم كجنود للملكم الأعظم ، وبالكهنوت نوسم كخدام لحبرهم الأعظم .

٥ - جوهر الأسرار وفعالها :

وحسب التعريفات المتقدمة تكون الأسرار في جوهرها هبات ، وبممارسات مقدسة تمنح النعمة الالهية فعلاً للمتقدمين إليها . ويتم بواسطتها عمل هذه النعمة فينا . وهذه هي أوصاف جوهرها بناء على ما تقدم :

- ١ - أنها مؤسسة من الله .
- ٢ - أنها ذات هيئة أو صورة .
- ٣ - أنها واسطة لانالة نفوس المؤمنين فيض النعمة .

فليست الأسرار آذن رسوماً وعلامات للمواعيد الالهية يقصد بها انبهاض الايمان بيسوع المسيح .

ولا هي اشارات للنعمة يتوطد بها المنتخب ويتثبت في الايمان وفي المواعيد
الالهية التي نالها ، اء بالحري هو يوطد الكنيسة بايمانه أكثر مما يوطد
نفسه .

ولا هي مجرد طقوس خارجية يتميز بها المسيحي عن غيره .

هذه الآراء الثلاثة (حسب زعم لوثيروس وكلفينوس) ترفضها كنيستنا
الأرثوذكسية لأنها مخالفة للكتاب . ولأجل اثبات بطلانها تأتي بالإيات التي
تؤيد فاعلية الأسرار ، وتثبت أن هذه الأصرار في جوهرها هبات وبأعمال
مقدسة تمنح المؤمنين نعم الله غير المنظورة تحت علامات منظورة . وإليك هي :

أولا : أن الكتب المقدسة تقر هذا الرأي فقد قيل عن المعمودية « إن
كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله . الحق الحق أقول لك
إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله »
(يو ٣ : ٣ و ٥) ، « المولود من الجسد جسده هو والمولود من الروح هو روح »
(يو ٣ : ٦) ، وقول الرسول « كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم
نفسه لأجلها . لكي يقدسها مطهرا إياها بغسل الماء بالكلمة . لكي يحضرها
لنفسه كنيسة مجيدة ، لا دنس فيها ولا غضن ، أو شيء من مثل ذلك
بل تكون مقدسة وبلا عيب » (اف ٥ : ٢٥ - ٢٨) وقوله « لكن اغتسلتم
بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح الهنا » (١ كو ٦ : ١١) .

وفي سر الشكر يقول « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسدا ابن الانسان
وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة
أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير . لأن جسدي مأكول حق ودمي مشرب حق .
من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه » (يو ٦ : ٥٣ - ٥٦) .

وفي سر الكهنوت يقول الرسول « لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة
لك بالنبوة مع وضع أيدي القسوسية » (١ تي ٤ : ١٤) وقوله « أذكرك
أن تقزم أيضا موهبة الله التي فيك بوضع يدي » (٢ تي ١ : ٦) .

وعن سر الميرون جاء في سفر الأعمال : « ولما سمع الرسل الذين
في اورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله ، أرسلوا اليهم بطرس ويوحنا
الذين لما نزلا ضلوا لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس ، لأنه لم يكن قد حل
بعد على أحد منهم غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع . حينئذ وضعوا
الأيادي عليهم فقبلوا الروح القدس » (أع ٨ : ١٤ - ١٧) .

وعن سر مسحة المرضى قال يعقوب الرسول « أمرض أحد بينكم فليدع
قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب . وصلاة الايمان
تشفى المريض والرب يقيمه . وإن كان قد فعل خطية تغفر له » .
(يع ٥ : ١٤ و ١٥)

وعن سر التوبة قال الرب بصريح اللفظ « من غفرتم خطاياهم تغفر له .
ومن أمسكتهم خطاياهم أمسكت » (يو ٢٠ : ٢٣) .

وعن سر الزواج قال الرسول « هذا السر عظيم » وشبهه باتحاد المسيح
بالكنيسة (أف ٥ : ٣٢) .

فمن هذه الآيات البيّنات يتبين أن الأسرار المقدّسة هي هبات الروح
القدس الذي يفيض النعم المبررة في نفوسنا . فالأسرار تفعل فعلا حقيقيا
في المؤمن المشترك بها ، فإن الماء والروح في سر المعمودية يلبه ثانية ويقده
وينقيه . ومسحة الميرون تمنحه ثباتا وتهبه حلول الروح القدس . وبتناوله
سر الشكر يوهب عدم الموت والثبات في المسيح . وبوضع اليد في الكهنوت
تمنح للمرتسمين نعمة خاصة لتكريسهم لخدمة الأسرار المقدّسة بحسب طبيعته
وجوهه يفعل فعلا غير منظور ويمنح النعمة لكل من يتقدم إليه .

ولا نقول ان للأسرار في ذاتها وطبيعتها قوة لفعل النعمة ؛ لو لم تكن آلات
من الله لفعل هذه النعم . فهي اذن بركات فعالة لاصدار النعمة ، وان كانت
ليست عللا أصلية الا أنها قوة في يد الروح القدس .

ثانيا : يظهر ذلك من تعليم الانجيل عن الفرق بين المعمودية يوحنا
ومعمودية المسيح فإن معمودية يوحنا لم تكن سوى معمودية للتوبة والاعداد
حسب قوله « أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذي يأتي بعدي (أي المسيح)
سيعمدكم بالروح القدس ونار » .
(مت ٣ : ١١ راجع أيضا مر ١ : ٧ و ٨ ، لو ٣ : ١٦ ، يو ١ : ٣٣)

فمعمودية يوحنا كانت استعدادا لمغفرة الخطايا ، ولم تكن لها قوة على
محو الخطيئة . أما معمودية المسيح فلها قوة غفران الخطايا لأنها تمنح بالماء
والروح القدس ، ولما كانت مفاعيل الروح القدس الخاصة هي محو الخطايا
وتقديس النفوس ، فالفرق اذن واضح بين المعموديتين ، ومن هنا يتضح
أن أسرار العهد الجديد لها قوة وفاعلية بالروح القدس .

ثالثا : من تعليم الكتاب أن أسرار العهد الجديد تمنح النعم الالهية
بخلاف أسرار العهد القديم ، التي لم تكن الا رمزا وظلا للخيرات العتيدة
حسب قول الرسول « الآن الناموس اذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة
الاشياء لا يقدر أبدا بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام أن يكمل
الذين يتقدمون » (عب ١٠ : ١٠) « وأنها رمز للوقت الحاضر لا يمكن أن
تكمل » (عب ٩ : ٩ - ١٤) « وأن الناموس كان مؤدبنا الى المسيح »
(غل ٣ : ٢٤) « اذ الناموس لم يكمل شيئا ولكن يصير ادخال رجاء أفضل
به نقرب الى الله » (عب ٧ : ١٩) ولكن عن أسرار العهد الجديد يقول
الرسول « وبه أيضا (أي المسيح) ختمتم ختامنا غير مصنوع بيد بخلع جسم

وعن سر التوبة قال الرب بصريح اللفظ « من غفرتم خطاياهم تغفر له .
ومن أمسكتهم خطاياهم أمسكت » (يو ٢٠ : ٢٣) .

وعن سر الزواج قال الرسول « هذا السر عظيم » وشيبهه باتحاد المسيح
بالكنيسة (أف ٥ : ٣٢) .

فمن هذه الآيات البيّنات يتبين أن الأسرار المقدّسة هي هبات الروح
القدس الذي يفيض النعم المبررة في نفوسنا . فالأسرار تفعل فعلا حقيقيا
في المؤمن المشترك بها ، فإن الماء والروح في سر المعمودية يلبه ثانية ويقده
وينقيه . ومسحة الميرون تمنحه ثباتا وتهبه حلول الروح القدس . وبتناوله
سر الشكر يوهب عدم الموت والثبات في المسيح . وبوضع اليد في الكهنوت
تمنح للمرتسمين نعمة خاصة لتكريسهم لخدمة الأسرار المقدّسة بحسب طبيعته
وجوهه يفعل فعلا غير منظور ويمنح النعمة لكل من يتقدم إليه .

ولا نقول ان للأسرار في ذاتها وطبيعتها قوة لفعل النعمة ؛ لو لم تكن آلات
من الله لفعل هذه النعم . فهي اذن بركات فعالة لاصدار النعمة ، وان كانت
ليست عللا أصلية الا أنها قوة في يد الروح القدس .

ثانيا : يظهر ذلك من تعليم الانجيل عن الفرق بين المعمودية يوحنا
ومعمودية المسيح فإن المعمودية يوحنا لم تكن سوى معمودية للتوبة والاعداد
حسب قوله « أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذي يأتي بعدي (أي المسيح)
سيعمدكم بالروح القدس ونار » .
(مت ٣ : ١١ راجع أيضا مر ١ : ٧ و ٨ ، لو ٣ : ١٦ ، يو ١ : ٣٣)

فمعمودية يوحنا كانت استعدادا لمغفرة الخطايا ، ولم تكن لها قوة على
محو الخطيئة . أما المعمودية المسيح فلها قوة غفران الخطايا لأنها تمنح بالماء
والروح القدس ، ولما كانت مفاعيل الروح القدس الخاصة هي محو الخطايا
وتقديس النفوس ، فالفرق اذن واضح بين المعموديتين ، ومن هنا يتضح
أن أسرار العهد الجديد لها قوة وفاعلية بالروح القدس .

ثالثا : من تعليم الكتاب أن أسرار العهد الجديد تمنح النعم الالهية
بخلاف أسرار العهد القديم ، التي لم تكن الا رمزا وظلا للخيرات العتيدة
حسب قول الرسول « الآن الناموس اذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة
الاشياء لا يقدر أبدا بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام أن يكمل
الذين يتقدمون » (عب ١٠ : ١٠) « وأنها رمز للوقت الحاضر لا يمكن أن
تكمل » (عب ٩ : ٩ - ١٤) « وأن الناموس كان مؤدبنا الى المسيح »
(غل ٣ : ٢٤) « اذ الناموس لم يكمل شيئا ولكن يصير ادخال رجاء أفضل
به نقرب الى الله » (عب ٧ : ١٩) ولكن عن أسرار العهد الجديد يقول
الرسول « وبه أيضا (أي المسيح) ختمتم ختامنا غير مصنوع بيد بخلع جسم

خطايا البشرية بختان المسيح ، مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتهم أيضا معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات ، (كو ٢ : ١١ و ١٢) لان النعمة وتلقى وروح النبوة وختان القلب بالروح ، كل ذلك من خصائص العهد الجديد ، فاذن التعليم بفاعلية الأسرار المقدسة هو روح الانجيل .

ورب معترض يقول ان هذا التعليم ينسب للأسرار قوة في ذاتها . فتجيب على ذلك أن الماء والزيت ووضع اليد وغيرها ليس لها قوة في ذاتها للتطهير والتقدیس . ولكن لها ذلك بقوة الروح القدس . ومثال ذلك الطين الذي وضعه السيد المسيح على عيني الأعمى ، فإنه لا يوجد من يقول ان للطين قوة في ذاته لنشفاء وانما الشفاء كان بقوة المسيح ، ولم يكن الطين الا آلة وأداة . وكما أن قلم المصور ليس له في ذاته قوة على التصوير ، بل ان له هذه القوة في يد المصور ، هكذا أسرار العهد الجديد ليس لها في ذاتها قوة للنعمة ، ولكنها لها قوة لاصدار النعمة بواسطة الروح القدس ، وان العلة الأصلية لانشاء هذه المفاعيل هي الروح القدس .

رابعاً : لو كانت طقوس الأسرار عبارة عن علامات أو رسوم تميز المسيحي عن غيره لأنتفتت الفائدة منها بالكلية ، إذ ليست هي علامات ظاهرة تترك أثرا في الشخص حتى يظهر أنه مسيحي ويتميز عن غيره ، وانما هي أعمال ، الغرض منها تأثير النعمة الداخلية بواسطتها .

خامساً : ان الأسرار هي بركات ونعم المسيح ، تفاض على المؤمنين ، فلو كانت عديمة القوة والفاعلية لما كانت لنا بها حاجة قط ما دامت لا تأثير لها ولا فعل .

سادساً : ان الكنيسة اعتادت أن تمنح الأطفال منذ القديم سر المعمودية وسر الميرون وسر الشكر ، فلو كانت هذه الأسرار عبارة عن رسوم فقط لانهاض الايمان ، وليست نعما فعالة لحياة البشر ، لما كان من ورائها أية منفعة للأطفال وهم لا يدركون لها معنى ولا يعرفون ما هو الايمان ، ولا ما هي الغاية التي لأجلها تمنحهم الكنيسة هذه الأسرار .

سابعاً : ان الله هكذا رتب وهكذا سر وارضى أن تكون أسراره وسائط لتبيل بركاته ونعمه ، وكان طبيعيا أن يتال البشر الماديون مواهبه السامية غير المنظورة تحت وسائط محسوسة منظورة تناسب طبيعتهم . فهو تعالى رتب لهذه الأسرار موادا لتكون آلات منظورة بها يشترك المؤمنون في نعم الروح القدس ، وهو الذي أسسها لهذا الغرض ، واراوته لا تزال ناقدة . وكل اعتراض على فعلها انما هو اعتراض على شخص الفادي ، الذي رتبها وأسسها ووضعها ، وأمر باتمامها على هذا الشكل ، وواعد أن يكون لها فاعلية . وهو تعالى ليس انسانا فيكذب أو ابن انسان فيندم . وفي هذا المعنى قال القديس يوحنا ذهبي الفم : « أيها المسيحي لو كنت عاريا عن الجسد

أم الانسان ؟ فانكم تجيبون ان الله يمنحها • ولكن الله يمنح النعمة بواسطة الانسان ، فان الانسان يضع الأيدي ، والله يسكب النعمة • الكاهن يضع يمينه الحقيرة ، والله يبارك بيمينه القادرة على كل شيء • الأسقف يشرطن الخادم للخدمة ، وأما الله فإنه يمنحه الكفاية (في الوظائف الكهنوتية فصل ٥) •

فمن هذه الأقوال المتقدمة يتضح جليا اعتقاد الكنيسة منذ القديم في فعل الأسرار وتأثيرها • وما الآراء الحديثة الا تعاليم غريبة مخالفة للكتاب والاعتقاد الآباء •

٦ - مفعول الأسرار :

للأسرار مفعولان وهما النعمة والوسم • المفعول الأول عام يشمل جميع الأسرار ، والثاني خاص بثلاثة منها وهي المعمودية والميرون والكهنوت • ولذلك تمنح للانسان مرة واحدة ، ولا يجوز اعادةها لأنها تترك وصما في النفس لا يمحي •

والنعمة المبررة تمنح أولا بالمعمودية ثم بالتوبة ثم تزداد هذه النعمة بواسطة سر الشكر • والنعمة المبررة ، هي ما يثبتر بها الانسان ويصير ابنا لله ووارثا للحياة الأبدية •

وعلى ذلك فالأسرار المقدسة تمنح هذه النعمة • ومتى قبل الانسان سرا من تلك الأسرار فقد نال النعمة المقصودة من ذلك السر •

وأما الوسم فهو علامة روحية تنطبع في النفس ولا تمحي • وبهذا الوسم يتميز المؤمنون عن غيرهم أمام الله والملائكة والقديسين • وهذه العلامة لا تمحي لأن هذا الوسم ينطبع في النفس ، ومن خصائصه الديمومة • وليس هو مجرد زينة في النفس بل هو صفة أو قوة تعد الانسان لقبول ما يخص عبادة الله •

وهذه الأسرار تمنح النعمة من ذاتها وبقوتها التي وضعها الله فيها ، قلنا من ذاتها وبقوتها لأن صدور النعمة معلق على مباشرة طقس السر الخارجي ، أي على تطبيق مادة السر وصورته ، لا على ايمان خادم السر • وقلنا بالقوة التي وضعها الله فيها ، لأن الأسرار هي هبات للمؤمنين تحمل النعم والبركات • أما العلة الأصلية فهي الرب يسوع المسيح مانحها ومؤسسها الذي يؤتي السر قوته وفاعليته على منح هذه النعم ، فكما أن الآلة تبرز المعلول رأسا بالقوة التي تتصل اليها من العلة الأصلية ، هكذا الأسرار فانها تضرع النعمة رأسا بذاتها وبقوتها التي وضعها الله فيها •

وعلى ذلك لا يكون مفعول الأسرار انما الايمان فقط أو أنها ختوم على المواعيد الالهية ، ولكنها تمنح النعمة • فيها يتطهر الانسان ، ويولد ثانية ، ويتجدد وتعفر خطاياها ، وبها يقبل الروح القدس ، وبها يتحد مع المسيح

ويثبت فيه ويحيا الى الأبد . قال القديس باسيليوس « ان النفس تتجدد بالمعمودية » («ميجر ١٣ : ٥) والقديس غريغوريوس النزينزي في خطابه على اعتماد المسيح يدعو المعمودية « تطهير الخطايا وغفران الذنوب وعلة التجديد والميلاد الثاني » وقال أيضا « كما أن في أحشاء الأم قوة لمنح الحياة الجسدية هكذا المعمودية قد نال قوة لمنح الحياة الروحية » .

وقد أنكر أتباع لوثر وكلفن وجود الوسم الذي تطبعه الأسمرار الثلاثة وهي المعمودية والميرون (التثبيت) والكهنوت ، زاعمين أن الكتاب لم يذكر شيئا عن ذلك .

فرد عليهم :

١ - ان الكتاب يشير الى هذا الوسم . قال الرسول بولس : « ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله الذي ختمنا أيضا وأعطى عربون الروح في قلوبنا » (٢ كو ١ : ٢١ و ٢٢) وقال « الذي فيه أيضا اذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس » (اف ١ : ١٣) وقال « لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء » . (اف ٤ : ٣٠)

٢ - جميع الآباء يشيرون الى هذا الختم وهذا الوسم . قال القديس كيرلس الأورشليمي : « ان الروح القدس في المعمودية يسم النفس ويمنح ختما ترتجف منه الشياطين خوفا . ختما سماويا والهييا » كما كتب الرسول بولس الى أهل أفسس : « الذي فيه أيضا اذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس » (١ : ١٣) وهكذا القديس باسيليوس (في خطاب ٣ على العماد) ، والقديس إبيفانيوس (في الارطقات ٥ : ٦) والقديس غريغوريوس النزينزي (خطاب ٤٠ : ٤) وغريغوريوس نيصص (في خطابه على التوبة) فجميعهم علموا أن المعمودية تطبع على النفس وصما مقدسا لا يمحي ، وشبهوا هذا الوسم . مع الفارق . بالعلامة التي وضعها الاسرائيليون على بيوتهم في مصر ، أو بالختان الذي به كانوا يمتازون عن باقي الشعوب . ودعا القديس أمبروسيوس « ختما روحيا » (ك ا في الروح القدس راس ٦ : ٧٨) ودعا القديس أغسطينوس « وصما » بقوله « تمسك بما نلته فإنه لا يتغير فهو وسم ملكي » (مقالة في يوحنا عدد ١٦) وقال « ان المعمد في الكنيسة اذا ترك الكنيسة يحرم قداسة الحياة ولكنه لا يحرم وسم السر » . (عظة ٨)

٣ - انه من اللائق بمن ينتدب الى وظيفة أو يقبل سلطانا أن يوسم بعلامة تميزه عن غيره ، كما يرتدى الجنود والكهنة والملوك ملابس خصوصية . يتميرون بها عن سواهم . والحال أن المؤمنين يقبلون هذه الأسرار الثلاثة

المذكورة وظيفة روحية وسلطانا خصوصا . فيصير الانسان بالمعمودية ابنا لله وعضوا من عائلة المسيح وابنا للكنيسة وأهلا لقبول الأسرار . وبالتثبيت أو الميرون يصير جنديا للمسيح . وبسر الكهنوت يصير خادما للمسيح وقائدا في جيشه ويقبل السلطان على توزيع الأسرار .

ينتج مما تقدم بأن هذه الأسرار الثلاثة تطبع على النفس سمة خاصة ونبتما لا يمحي . وهذا الوسم ثابت ودائم لا يمحي ، لا في هذه الحياة ولا في الأخرى . اذ من المناسب أن يبقى في الطوباويين لمجدهم ، وفي الهالكين لحزيبهم وعارهم . كما أن الوسم العسكري يبقى بعد القتال في الجنود المنتصرين لمجدهم ، وفي المغلوبين لحزيبهم .

٧ - شروط اتمام كل سر من الأسرار ودحض الآراء الفاسدة في هذا الشأن :
ولاتمام كل سر من الأسرار ثلاثة شروط هي :

١ - مادة ملائمة للسر كالماء للمعمودية ، والخبز والخمر لسر الشركة .
والزيت للمسحة وهكذا .

٢ - كاهن مشرطن قانونيا بوضع اليد .

٣ - استدعاء الروح القدس من انكاهن بالعبارات المعينة لتقديس السر لحلول الروح القدس .

أولا : يجب اتمام الأسرار اتماما قانونيا حسب الترتيب المعطى من الله . فان مخلصنا له المجد الذي أسسها ورتبها ، هكذا شاء وهكذا وضع لكل سر من الأسرار مادته الملائمة وأقواله الخاصة . وعليه لا يكون السر حقيقيا ولا يفعل في المؤمنين الا اذا كان على وجهه الصحيح طبق ارادة الرب المعلنة في انجيله .

وثانيا : يتمها كاهن مشرطن قانوني سواء آكان أسقفًا أو قسا . وهذا واضح من أن الرب أعطى لرسله وللقائهم الكهنة هذا السلطان وأقامهم لهذا الغرض نفسه . وعلى ذلك قد ضل ضلالا فظيعا مخالفا للكتاب أولئك الذين يعلمون أن كل مسيحي يقدر أن يتم الأسرار ، وان لم يكن حاصلا على درجات الكهنوت ، حتى سمحوا للعامة وللنساء أيضا باتمام الأسرار . وهذا ظاهر البطلان لمخالفته للكتاب ، والوضع الرسولي ، والعادة الكنسية ، فضلا عن اهانتة للديانة وشرفها اذ يجعل الكنيسة فوضى لا ترتب ولا نظام لها .

وقد زعم البعض أنه يشترط لصحة اتمام السر ايمان المسيحي المتقدم اليه . وأن هذا الايمان هو الذي يجعل السر حقيقيا ، متوهمين أن السر لا يكون سرا ، ولا يأخذ قوته الا في البرهة التي فيها يقبله . كما زعم البعض الآخر بأنه من الشروط الضرورية لاتمام الأسرار وبغاعليتها أن يكون خادما للسر صالحا . وأنكروا أهمية فعل الأسرار المتتمة من خدام غير صالحين .

المذكورة وظيفة روحية وسلطانا خصوصا . فيصير الانسان بالمعمودية ابنا لله وعضوا من عائلة المسيح وابنا للكنيسة وأهلا لقبول الأسرار . وبالتثبيت أو الميرون يصير جنديا للمسيح . وبسر الكهنوت يصير خادما للمسيح وقائدا في جيشه ويقبل السلطان على توزيع الأسرار .

ينتج مما تقدم بأن هذه الأسرار الثلاثة تطبع على النفس سمة خاصة ونبتما لا يمحي . وهذا الوسم ثابت ودائم لا يمحي ، لا في هذه الحياة ولا في الأخرى . اذ من المناسب أن يبقى في الطوباويين لمجدهم ، وفي الهالكين لحزيبهم وعارهم . كما أن الوسم العسكري يبقى بعد القتال في الجنود المنتصرين لمجدهم ، وفي المغلوبين لحزيبهم .

٧ - شروط اتمام كل سر من الأسرار ودحض الآراء الفاسدة في هذا الشأن :
ولاتمام كل سر من الأسرار ثلاثة شروط هي :

١ - مادة ملائمة للسر كالماء للمعمودية ، والخبز والخمر لسر الشركة .
والزيت للمسحة وهكذا .

٢ - كاهن مشرطن قانونيا بوضع اليد .

٣ - استدعاء الروح القدس من انكاهن بالعبارات المعينة لتقديس السر لحلول الروح القدس .

أولا : يجب اتمام الأسرار اتماما قانونيا حسب الترتيب المعطى من الله . فان مخلصنا له المجد الذي أسسها ورتبها ، هكذا شاء وهكذا وضع لكل سر من الأسرار مادته الملائمة وأقواله الخاصة . وعليه لا يكون السر حقيقيا ولا يفعل في المؤمنين الا اذا كان على وجهه الصحيح طبق ارادة الرب المعلنة في انجيله .

وثانيا : يتمها كاهن مشرطن قانوني سواء آكان أسقفًا أو قسا . وهذا واضح من أن الرب أعطى لرسله وللفقائهم الكهنة هذا السلطان وأقامهم لهذا الغرض نفسه . وعلى ذلك قد ضل ضلالا فظيعا مخالفا للكتاب أولئك الذين يعلمون أن كل مسيحي يقدر أن يتم الأسرار ، وان لم يكن حاصلًا على درجات الكهنوت ، حتى سمحوا للعامة وللنساء أيضا باتمام الأسرار . وهذا ظاهر البطلان لمخالفته للكتاب ، والوضع الرسولي ، والعادة الكنسية ، فضلا عن اهانتته للديانة وشرفها اذ يجعل الكنيسة فوضى لا ترتب ولا نظام لها .

وقد زعم البعض أنه يشترط لصحة اتمام السر ايمان المسيحي المتقدم اليه . وأن هذا الايمان هو الذي يجعل السر حقيقيا ، متوهمين أن السر لا يكون سرا ، ولا يأخذ قوته الا في البرهة التي فيها يقبله . كما زعم البعض الآخر بأنه من الشروط الضرورية لاتمام الأسرار وبغاعليتها أن يكون خادم السر صالحا . وأنكروا أهمية فعل الأسرار المتتمة من خدام غير صالحين .

فرد على الزعم الأول الذى يجعل قوة السر متوقعة على ايمان ونية المتقنين اليه فنقول : انه من الواجب على المتقدمين الى الأسرار المقدسة ان يؤمنوا ايماناً حياً ويستعدوا الاستعداد اللائق لاقتبالها . ولكن هذا الاستعداد وهذا الايمان لا يجعلان السر سرا . وعدمهما لا يعدم السر قوته في جوهره ، بل هما فرضان واجبان وضروريان يجب على المؤمنين اتمامهما لتبيل بركة الأسرار عن استحقاق ، حتى لا يأخذوا لأنفسهم دينونة فقد جعل الرب يسوع كل موهبة من موهب الروح القدس مرتبطة الارتباطاً جوهرياً بعلامة معينة منظورة ، حتى اذا تم كل سر بحسب وضعه منح قابله الهبة الخاصة به . وقد رأينا آباء الكنيسة منذ القديم يمنحون بعض هذه الأسرار للإطفال ، موقنين كل اليقين بأنها تفعل فعلها فيهم ، وان كانوا غير قادرين ان يعلنوا ايمانهم واعترافهم بالمسيح . وبولس الرسول يشير الى الذين يقتربون من الأسرار بدون استحقاق « بأنهم يأكلون ويشربون دينونة لأنفسهم غير مميزين جسد الرب » (١ كو ١١ : ٢٩) وهذا دليل على أن السر في ذاته له قوته الخاصة ، ولكن المقرب اليه بدون استحقاق لا يستحقه . ولو صح انه لا فعل للأسرار ولا قوة الا في الذين يؤمنون بها فقط ، لكانت بركات الأسرار استحقات المؤمنين ، لا بركات واستحقات الفادى ، وهذا مخالف لروح الانجيل الذى يعلمنا أن جميع الهبات والنعمة إنما هي بركات الفادى له المجد . وطبيعة الارواء في الماء ليست متوقفة على ايمان الشارب منها .

ونرد على الزعم الثانى الذى ينكر صحة الأسرار المتممة من خدام غير صالحين . ونبين بطلانه عند كلامنا على خدام الأسرار .

٨ - خدام الأسرار :

ان خدام الأسرار هو من يتممها باسم المسيح على أنه قائم مقامه ، وهو الكاهن المعتبر كوكيل الله والأمين على سرائره . ومن واجب الخادم بالنسبة الى اتمام عمل الأسرار أن يكون ذا ايمان وصلاح ونية حسنة لاتمام السر ، وبما أن الكاهن المنتدب من قبل الله تعالى لاتمام الأسرار المقدسة وتوزيع بركات الله ونعمه على المؤمنين ، فيدعوه هذا الواجب أن يكون ذا سيرة حسنة ومثالاً للكمال والقداسة كما سنبين ذلك في كلامنا عن سر الكهنوت ، ولكننا نرد هنا على زعم دوناتايوس وزعم أتباع لوثو وكلفن الذين زعموا أن الأسرار التى يتممها اخدام أئمة تكون باطلة ويلزم اعادتها فنقول :

١ - ان صحة السر لا تقتضى لا ايمان الخادم ولا صلاحه أى وجوده في حالة النعمة . وذلك لأن قوة السر والنعمة التى تمنح به ليست متعلقة بخلاصه ، ولا متوقفة على استحقاقه . بل هى متعلقة رأساً باستحقاق وإرادة مخلصنا يسوع المسيح ، الذى يمنح النعمة . وما الخدام إلا آلات منظورة يتمم الرب أسرارهم بهم وعلى أيديهم بطريقة سريعة غير منظورة .

فقد سبق يوحنا المعمدان وأخبر عن الرب يسوع بأنه « يعبد بالروح القدس ونار » (مت ٣ : ١١ ، يو ١ : ٣٣) وأفادنا يوحنا الانجيلي أن « يسوع نفسه لم يكن يعبد بل تلاميذه » (يو ٤ : ٢) وبولس الرسول يقول « ليس الفارس شيئاً ولا الساقى بل الله الذى بنى » (١ كو ٣ : ٧) وهذا هو روح تعليم الكتاب الذى سارت عليه الكنيسة فى كل العصور .

٢ - إن وهذا الزعم ينتج نتائج فاسدة اذ يسبب الريب والقلق على الدوام بشأن صحة الأسرار التى يكون قد قبلها المؤمنون ، اذ لا يمكن لأحد أن يتحقق هل خادم السر مؤمن وصالح أم لا ، ولا يخفى أن هذا مضر بكنيسة الله وبِحياة المؤمنين ، لأنه يزيد فى عدد المتشككين والمرتابين ويقلل عدد الذين يتقدمون الى الأسرار . ولو تعلقت فاعلية الأسرار بقداسة الخادم أو عدمها لصارت فوائدها والغاية منها تحت رحمتهم ورهن تصرفاتهم .

٣ - لو حرم الخادم غير الصالح من اتمام الأسرار لوجب حرمان كل خاطيء من اتمام جميع الأشياء التى ينتدب اليها ، وعليه يجب حرمة من سلطان النهى والأمر والتدبير والتعليم حتى الحياة نفسها .

٤ - إن الله تعالى الكلى الصلاح والقداسة يستطيع أن يصنع الخير ويوزع بركاته باستخدامه الأبرار والأشرار على السواء ، فقد كان بلعام خاطئاً ومع ذلك تنبأ على مجيء المخلص ، وكان يهوذاً بين التلاميذ يبشر بملكوت الله ومع ذلك هلك ، وكان قيافا رئيساً للكهنة وتنبأ عن موت المسيح وهو يحكم عليه بالصلب .

٥ - قد اعترف بذلك جميع الآباء . قال القديس اثناسيوس الرسول « إن الكاهن لا يقصد الماء بل يتم الخدمة الواجبة وقد أخذ لها نعمة من الله » (فى الثالث فصل ٤) وقال « إن عمدنا وإن ثبتنا وإن صفحنا فإن المسيح هو علة هذا كله وفاعله » (فى رسالة ٣ : ٧) .

وقال القديس كيرلس الأورشليمي « لأن النعمة ليست من بشر لكن من الله بواسطة البشر ، فأنت اذن من المعمد ، وعندما تدنو لا تنظر الى الشخص الذى تراه ، بل أذكر الروح القدس الذى كلامنا الآن عنه لأنه حاضر ومستعد لأن يختم الآن نفسك ويمسحك ختماً » (عظلة ١٧ : ٣٥) .

وقال القديس يوحنا ذهبى الفم « ان اليد توضع على الرجل والله يعمل كل الأمر ، ويده هى التى تلمس رأس المشرطن انه كان يشترطن كما يجب » (مقالة ٤ : ٣ على الأعمال) وقال « فأمنوا اذن أن هذا العشاء هو العشاء الذى التكا فيه هو (أى المسيح) لأنه لا فرق بين هذا وذاك . وليس الانسان يصنع هذا وهو صنع ذاك . بل هو الصانع ذاك وهذا . فعندما ترى الكاهن

يتناولك لا تظن أن الكاهن يفعل هذا الفعل • بل اعترف أن اليد الممدودة هي يد المسيح • وكما أن الكاهن عندما يعمدك ليس هو الذي يعمدك بل الله هو الضابط رأسك بقوة غير منظورة • ولا يتجاسر ملاك أو رئيس ملائكة أو واحد غيرهما أن يدنو منك ويلمسك ، هكذا الآن أيضا لأنه عندما يخلق الله تكون الموهبة منه وحده ، (مقالة ٥ : ٣ على متى) وقال « لأنه يتفق أن يكون الرؤساء أشراوا وذنسين ، ويكون المرؤوسون ودعاء لطفاء • وأن يكون العلمانيون عائشين بالتقوى والكهنة بالحبث • فلو كانت النعمة في كل واحد متوقفة على الاستحقاق لما كانت بأولئك المعمودية ولا جسد المسيح ولا قربان • وأما الله فإنه اعتاد أن يفعل بواسطة غير المستحقين أيضا من دون أن تضر سيرة الكاهن شيئا بنعمة المعمودية • والا فيكون الذي يأخذ السر هو الحاسر • نعم هذا الأمر نادر ولكنه على ذلك يجرى • هذا أقوله لكى لا يرتاب أحد من الحاضرين في الطقوس المتممة اذا بحث في سيرة الكاهن ، لأن الانسان لا يضيف شيئا الى ما هو موضوع (لأمانة السر) بل كل شيء هو عمل الله ، وهو الذي يمنحك نعمة السر ، (مقالة ٨ : ١ على اكو) •

وقال القديس غريغوريوس الثالوثوغوس : « كل واحد (أى من الخدام) يستحق أن تصدقوا أنه يطهركم ، ويكفيه لذلك أن يكون واحدا من الذين أخذوا السلطان ليغفروا الخطايا ، ولم يصيروا مرفوضين علانية (من الكنيسة) فأنتم الذين تطلبون الشفاء ، لا تدينوا قضاتكم ، ولا تبحثوا عن أهلية الذين يطهرونكم ، ولا تجروا انتخابا على والديكم ، لأنه أمر قلما يعينكم ان كان هذا أفضل وذاك أدنى • وكل واحد من هؤلاء أفضل منكم • فانظروا أنتم كيف يجب أن تفتكروا : عندي خاتمان أحدهما من ذهب والآخر من حديد • وعلى كل منهما الصورة الملكية نفسها • فأطبع بكل منهما طبعة على شمع • فبماذا تمتاز طبعة الواحد عن طبعة الآخر ، انها لا تمتاز بشيء • فان كنت أنت ممتازا بحداقة عقلك فاحكم في طبع المعدن على الشمع ، وقل لى أية صورة من هاتين الصورتين هي صورة الخاتم الذهبى ، وأية هي صورة الحديدى ، ولماذا الصورتان كلتاهما متشابهتان • فقابلوا على ذلك كل واحد من الكهنة الذين يعمدونكم • فالواحد يمكن أن يسمو على الآخر بالسيرة الروحانية • غير أن قوة المعمودية واحدة والقادر أن يعلمكم الايمان الواحد نفسه يقدر أن يرشدكم الى الكمال ، (خطاب في المعمودية) •

وقال القديس أغسطينوس : « ان السر أيضا يتعلق بالله وما الانسان الا خادم بسيط • فان كان الانسان صالحا فيكون موافقا لله ويفعل بالله ، وان كان شريرا فإله يمنح أيضا به نعمته غير المنظورة كما بألة • ولا تظنوا أن الأسرار تتعلق بأداب البشر وأعمالهم ، فانها مقدسة ونابعة من الله ، (فصل ٣٧ : ٨٨) •

وقال أيضا : « لا فرق بين أن توزع الأسرار من خدام أبرار أو خطاة ،

فمثلها مثل البذور تلقى على الأرض بيد الفلاح ، سواء كانت يده نظيفة ، أو قذرة ، فتأتى بالثمرة على حد سواء ، ولو تعلقت فاعلية الأسرار بقداسته الخادم أو عدمها لتعلق خلاصنا بحريتهم .

وقال بعد أن أورد قول يوحنا المعمدان (يو ١ : ٣٥) « هذا هو الذى يعمد بالروح القدس » وأن لم يعمد المسيح بنفسه بل بواسطة تلاميذه . ان بطرس يعمد فهذا هو « أى المسيح » الذى يعمد . أو بولس يعمد فهذا هو الذى يعمد . ان يهوذا يعمد فهذا هو الذى يعمد . فما أعطى واحد ، لا مختلف باختلاف الختام بل متساو . فانه قال هذا هو الذى يعمد . ويؤيد ذلك قول بولس الرسول « ليس الغارس شيئا ولا الساقى بل الله الذى ينمى » (١ كو ٣ : ٧) لأن كل ما فى السر من السلطان والقوة فهو للمسيح . وأما الكاهن أى الخادم فله الخدمة فقط ، وهو لا يقدر أن يقاوم قوة الله . وقال « قد عمد يهوذا فلم يعمد بعده ، وعمد يوحنا فعمد بعده . وذلك لأن المعمودية يهوذا كانت معمودية المسيح . أما معمودية يوحنا فكانت معمودية يوحنا . فلو تعلقت صحة الأسرار على استحقاقات الخادم لوجب إعادة الذين عمدهم يهوذا ، ولما فضلت معمديته على معمودية يوحنا » .

فمن هذه الأقوال الجليلة يستدل على أن التعليم الصحيح هو أن الخدام ما هم الا آلات فى يد الرب يتم بهم المسيح نفسه بقوة فعل روحه القدوس جميع الأسرار أى أنه هو الذى يعمد أو يجسد الانسان ثانية ، وهو الذى يحل الخطايا ، وهو الذى يمنح درجات الكهنوت ، ويبارك القرايين ، ويقدم الذبيحة ، ولا تتوقف قوة الأسرار أو فعلها مطلقا على استحقاقات خادمها ولا على قداسته أو عدم استحقاقه . فان النعمة كالنهر الجارى أو كالماء النقى الذى يمكن أن يمر وينقل فى أنابيب وقنوات من بلور أو من فخار ، مهما كان نوعها وحالتها دون أن تمس طهارته ، وكبذور نقية تزرع فى الأرض سواء بذرت بأيد طاهرة أو دنسة ، وكالشمس التى لا تتدنس اذا حلت ومرت فى أماكن غير ظاهرة .

٩ - عدد الأسرار :

أما عدد الأسرار فقد شاعت عناية الله واراادته أن تكون سبعة لتكون موافقة ومناسبة لحاجات الانسان فى هذه الحياة . وهى : سر المعمودية . وسر المسحة المقدسة أو الميرون ، وسر الشكر أو الأفخارستيا ، وسر التوبة ، وسر مسحة المرضى ، وسر الزيجة ، وسر الكهنوت .

فبالمعمودية يولد الانسان ولادة ثانية من فوق بالماء والروح : وبالميرون يتنال نعمة حلول الروح القدس لتثبيته فى الحياة الروحية : وبالشركة يقبالت ويتغذى بالاتحاد بالمسيح : وبالتوبة يشفى من أمراض الخطية وينال الحل من خطاياها : وبمسحة المرضى ينال الشفاء من أمراضه الجسدية والروحية :

ثالثا : شهادة الاتفاق العام بين جميع الكنائس الشرقية والغربية . ومع وجود الاختلاف بينها في أمور كثيرة . فانها في هذا التعليم على اتفاق تام . وهذا أكبر دليل على أن التعليم بالأسرار السبعة تسليم رسولى تسلمته الكنيسة منذ ابتدائها ، ولم تأخذه من كنيسة أخرى بدليل وجوده في الكنائس قبل انشقاقها . ولا يمكن تعيين العصر الذى شرع فيه بمباشرة الأسرار السبعة ، وأقوال جميع الآباء والآثار القديمة تدل على أن الأسرار السبعة كانت معروفة وجارى العمل بها منذ العصر الرسولى . قال العلامة أوريجانوس وعنه أخذ القديس أوغسطينوس وأشار اليه ترتليانوس بقوله : « هل يعقل أن الكل يتفقون على الضلال ، فاننا نعرف حق المعرفة أن لا وحدة في الكذب والبهتان . وعلى ذلك فان ما نراه واحدا لدى الجميع لا بد أن يكون تعليما الهيا منزها عن الغلط قد أخذنا عن المسيح ورسوله » .

رابعا : لأن الأسرار السبعة التى تمنح بها مواهب الروح القدس ونعمه كافية ومناسبة لحاجات الانسان اللازمة له في حياته . فكما أن الانسان يولد ميلادا جسديا هكذا بالمعمودية يولد ميلادا روحيا ثانيا . والمولود يحتاج الى قوى تثبته في حياته فينال هذه القوة بتثبيته بسر الميرون . ونسدة حاجته الى طعام روحى يغذيه فقد وهب له سحر الشركة الغذاء والشراب الروحى ، وبما أنه عرضة للخطأ والأمراض فقد أعطى له سر التوبة لمغفرة خطاياها ، وسر المسحة لأمرضه الجسدية وضعفاته النفسية . وبسر الزيجة يقدس رباط الزواج لحفظ أعضاء الكنيسة ونموها بواسطة الولادة الطبيعية . ولحاجة الكنيسة الى رعاة ومعلمين ومدبرين وخدام تحسنة الأسرار ورعاية الشعب أعطى سر الكهنوت . فمن ذلك يتضح أن الأسرار ملائمة وهوافقة لحاجات الانسان .

خامسا : ان الأسرار سبعة لا أقل ولا أكثر مقابلة لمواهب الروح السبعة (اش ١١ : ٢) وللمنارات النهبية السبع (رؤ ١ : ١٢ و ١٣) وللكواكب السبعة التى كان السيد ضابطا اياها بيده (رؤ ١ : ١٦) وللأختام السبعة التى كان مختوما بها . الكتاب الذى رآه النبى في يمين الجالس على العرش (رؤ ٥ : ١) وللأبواق السبعة التى أعطيت بعد فتح الكتاب السرى (رؤ ٨ : ١ و ٢) ولا يخفى أن عدد سبعة مشهور في الكتاب ، وهو دليل الكمال ، فالأسرار السبعة هي الأعمدة التى نحتتها الحكمة في بيتها (أم ٩ : ١) .



١ - سر المعمودية

الفصل الأول

١ - تعريف سر المعمودية وأسمائه :

المعمودية سر مقدس به نولد ميلادا ثانيا ، بتغطيسنا في الماء ثلاث دفعات على اسم الثالوث الأقدس : الآب والابن والروح القدس .
وبناء على مفاعيله باعتبار طقسه المنظور دعى حميما ، وينبوعا مقدسا ، وبالنظر الى نتائجه غير المنظورة ، دعاه الآباء ولادة جديدة ، وتقديسا ، وختم الايمان ، وختم الدين المسيحي ، وحميم الخلاص ، والولادة الثانية ، حميم الحياة وماء الحياة الدائمة ، وهكذا من الأسماء الدالة على تأثيراته ومنحه .

٢ - رتبة المعمودية بين الأسرار :

ولسر المعمودية الرتبة الأولى بين الأسرار السبعة المقدسة . لأنه بمثابة باب يدخل منه المؤمن الى الكنيسة وملكوت النعمة طبقا لقول الرب يسوع « ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) ولذلك يمنح هذا السر للمؤمن قبل أى سر آخر . ومن لا يقبله فلاحق له في الاشتراك في باقى الأسرار .

٣ - لماذا عين الرب الماء للمعمودية :

بما أننا مؤلفون من جسد وروح ، لذلك عين الله تعالى أن تكون وسائلنا خلاصتنا وأسرار النعمة التى يفيضها علينا الروح القدس ، تحت علامات حسية وإشارات منظورة كما قلنا سابقا . ففى سر المعمودية عين الرب لميلادنا الثانى الماء . وذلك :

١ - لأن الماء يغسل الأقدار ، والمعمودية تنقى من جميع الخطايا .

٢ - الماء يجدد وينعش الجسم ، والمعمودية تحيى خواص النفس .

٣ - لأن بالماء قوام الحياة ، والمعمودية تمنح الخلاص .

٤ - لأن المعمودية مثال موت المسيح ودفنه ولا بد أن نمثله فى الدفن . فإين ندفن ؟ فى الهواء ونحن محاطون به من كل جهة ؟ أم فى النار وهى محرقة لا تصلح لذلك ؟ أم فى التراب ، والدفن فيه يقتضى الموت حقيقة لا مجازا ؟

فلا سبيل إذن الا بالدفن فى الماء فى جرن المعمودية ولذلك قال الرسول : « اعتمدنا لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت ، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب ، هكذا نسلك نحن أيضا فى جدة الحياة ، لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضا بقيامته » (رو ٦ : ٤ و ٥) .

٤ - رموز المعمودية في العهد القديم وأنواع المعموديات :

وقد رمز إلى المعمودية في العهد القديم بأمر كثيرة ، منها أن روح الله كان يرف على وجه المياه في بدء الخليقة إشارة إلى بث روح الحياة في المادة (نك ١ : ٢) والطوفان الذي قال عنه بطرس « كانت أناة الله تنتظر مرة في أيام نوح • إذ كان الفلك يبني • الذي فيه خلص قليلون أي ثمانى أنفس بالماء • الذي مثاله يخلصنا نحن الآن أي المعمودية • لازالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح » (١ بط ٣ : ٢٠ و ٢١) وعبور بنى اسرائيل في البحر الأحمر وغرق فرعون مع مركباته (خر ١٤ : ١٩ - ٢٩) فإن البحر كان رمزا إلى ماء المعمودية ، والسحابة إشارة إلى الروح القدس ، وفرعون كان رمزا إلى الشيطان الذي ينسحق في مياه المعمودية • ولذلك قال بولس الرسول « ولست أريد أيها الاخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا في البحر وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر » (١ كو ١٠ : ١ و ٢) ولم يعط الرب الكهنوت لهرون إلا بعد أن غسل جسده أولا بالماء (خر ٢٩ : ٤) وكذلك أمر الكهنة عند دخولهم خيمة الاجتماع أن يغتسلوا أولا في المرحضة المقدسة التي بين خيمة الاجتماع وبين المذبح (خر ٣٠ : ١٨) وذبيحة ايليا لم تنزل عليها النار من السماء إلا بعد أن اهرق عليها الماء ثلاث دفعات (١ مل ١٨ : ٣٣ - ٣٥) ولم يصعد ايليا إلى السماء إلا بعد أن عبر نهر الأردن (٢ مل ٢ : ٢ - ٨) واشعيا النبي ينادى قائلا « تستقون مياهها بفرح من ينابيع الخلاص » (اش ١٢ : ٣) « أيها العطاش جميعا هلموا إلى المياه » (اش ٥٥ : ١) ويوحنا المعمدان لما ابتداء يكرز عن قرب ملكوت الله ، كان يعمد بمعمودية التوبة قائلا : « أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذي يأتي بعدى هو أقوى منى ••• هو سيعمدهم بالروح القدس ونار » (مت ٣ : ١١) وبتلاميذه في حياة المسيح كانوا يعمدون (يو ٤ : ٢) •

وهذه المعموديات المذكورة لم تكن سوى رموز إلى المعمودية المسيح ، ورسوم ومقدمات سابقة لظهور سر المعمودية المسيحية • وفرق كبير بين المعمودية يوحنا ومعمودية المسيح • لأن الأولى كانت للتوبة والاستعداد ، وأما هذه فلغفران الخطايا • ولذلك قال بولس الرسول لتلاميذه أفسس لما سألهم : « وهل قبلتم الروح القدس لما آمنتم • قالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس • فقال لهم فمبادا اعتمدتم • فقالوا بمعمودية يوحنا • فقال بولس ان يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلا للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده أي بالمسيح يسوع • فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع • ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم الخ » (أع ١٩ : ١ - ٦) • قال القديس يوحنا ذهبى الفم عن ذلك : « لأنه لم تكن الذبيحة قدمت بعد • ولا انجذب الروح القدس • ولا انحلت الخطية • ولا ارتفعت العداوة • ولا محيت اللعنة • فكيف أزمع الغفران أن يكون • وأنظر كيف

٤ - رموز المعمودية في العهد القديم وأنواع المعموديات :

وقد رمز إلى المعمودية في العهد القديم بأمر كثيرة ، منها أن روح الله كان يرف على وجه المياه في بدء الخليقة إشارة إلى بث روح الحياة في المادة (نك ١ : ٢) والطوفان الذي قال عنه بطرس « كانت أناة الله تنتظر مرة في أيام نوح • إذ كان الفلك يبني • الذي فيه خلص قليلون أي ثمانى أنفس بالماء • الذي مثاله يخلصنا نحن الآن أي المعمودية • لازالة وسخن الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح » (١ بط ٣ : ٢٠ و ٢١) وعبور بنى اسرائيل في البحر الأحمر وغرق فرعون مع مركباته (خر ١٤ : ١٩ - ٢٩) فإن البحر كان رمزا إلى ماء المعمودية ، والسحابة إشارة إلى الروح القدس ، وفرعون كان رمزا إلى الشيطان الذي ينسحق في مياه المعمودية • ولذلك قال بولس الرسول « ولست أريد أيها الاخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا في البحر وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر » (١ كو ١٠ : ١ و ٢) ولم يعط الرب الكهنوت لهرون إلا بعد أن غسل جسده أولا بالماء (خر ٢٩ : ٤) وكذلك أمر الكهنة عند دخولهم خيمة الاجتماع أن يغتسلوا أولا في المرحضة المقدسة التي بين خيمة الاجتماع وبين المذبح (خر ٣٠ : ١٨) وذبيحة ايليا لم تنزل عليها النار من السماء إلا بعد أن اهرق عليها الماء ثلاث دفعات (١ مل ١٨ : ٣٣ - ٣٥) ولم يصعد ايليا إلى السماء إلا بعد أن عبر نهر الأردن (٢ مل ٢ : ٢ - ٨) واشعيا النبي ينادى قائلا « تستقون مياهها بفرح من ينابيع الخلاص » (اش ١٢ : ٣) « أيها العطاش جميعا هلموا إلى المياه » (اش ٥٥ : ١) ويوحنا المعمدان لما ابتداء يكرز عن قرب ملكوت الله ، كان يعمد بمعمودية التوبة قائلا : « أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذي يأتي بعدى هو أقوى منى ••• هو سيعمدهم بالروح القدس ونار » (مت ٣ : ١١) وللتلاميذ في حياة المسيح كانوا يعمدون (يو ٤ : ٢) •

وهذه المعموديات المذكورة لم تكن سوى رموز إلى معمودية المسيح ، ورسوم ومقدمات سابقة لظهور سر المعمودية المسيحية • وفرق كبير بين معمودية يوحنا ومعمودية المسيح • لأن الأولى كانت للتوبة والاستعداد ، وأما هذه فلغفران الخطايا • ولذلك قال بولس الرسول لتلاميذ أفسس لما سألهم : « وهل قبلتم الروح القدس لما آمنتم • قالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس • فقال لهم فمبادا اعتمدتم • فقالوا بمعمودية يوحنا • فقال بولس ان يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلا للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده أي بالمسيح يسوع • فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع • ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم الخ » (أع ١٩ : ١ - ٦) • قال القديس يوحنا ذهبى الفم عن ذلك : « لأنه لم تكن الذبيحة قدمت بعد • ولا انجذب الروح القدس • ولا انحلت الخطية • ولا ارتفعت العداوة • ولا محيت اللعنة • فكيف أزمع الغفران أن يكون • وأنظر كيف

حرر ذلك بكل تدقيق لأنه لما قال انه اتمى لينذر بمعمودية التوبة في برية اليهودية ، اُضيف الى ذلك قوله • لمغفرة الخطايا • (مر ١ : ٤) • كان يقول لهذا السبب كان يقنعهم أن يعترفوا بخطاياهم ويتوبوا عنها • لا لكي يعذبوا بل لكي يقبلوا الغفران بعد ذلك بأكثر سهولة • لأنهم لو لم يدينوا أنفسهم لما كانوا طلبوا النعمة • ولو لم يطلبوا لما نالوا الغفران • فكأن من ثم هذه المعمودية (أى معمودية يوحنا) تفتح طريقا لتلك المعمودية (أى معمودية المسيح) (تفسير انجيل متى • مقالة ١٠ : ١ و ٢) •

لذلك لا فرق بين معمودية التلاميذ وبين معمودية يوحنا ، لأنها كانت للتوبة والاستعداد أيضا لأن المعمودية لم تأخذ قوتها الا بعد موت المسيح وقيامته من بين الأموات وحلول الروح القدس ، لأنها مثال موت المسيح ودفنه وقيامته ، ولم تكن تلك المعموديات الا لاعداد اليهود لقبول المسيح •

٥ - تأسيس سر المعمودية :

أما سر المعمودية المسيحية فقد أسسه السيد المسيح بعد قيامته ، اذ كان قد تم فداءنا واشترانا بدمه الكريم • وبهذا حق توزيع نعمة روحه القدس علينا (١ بط ٣ : ١ و ١ كو ١ : ٤) وقد قال لتلاميذه علنا بعد قيامته • دفع الى كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس • (مت ٢٨ : ١٨ و ١٩) • « من آمن وأعتمد بخلص ومن لم يؤمن يدين » (مر ١٦ : ١٦) •

فمن ذلك يتضح :

- ١ - أن المعمودية سر عام لجميع البشر على السواء •
- ٢ - أنها سر سيتم الى انقضاء الدهور ، غير محصورة في مكان ولا في زمان •
- ٣ - أنها شرط لازم للحصول على الخلاص • وقد تمها الرسل للمؤمنين لتطهيرهم وإعادة ولادتهم بالماء والروح القدس في يوم الخمسين • قال بطرس الرسول : « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس • • فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس » (أع ٢ : ٣٨ - ٤١) وعمد فيلبس الحصى (أع ٨ : ٣٨) وعمد بطرس كرنيليوس قائد المائة وعائلته وأشخاصا آخرين (أع ١٠ : ١ - ٤٨) وعمد بولس امرأة اسمها ليدية (أع ١٦ : ١٥) وعمد حافظ السجن وعائلته (أع ١٦ : ٣٣) وكريسيبس رئيس المجمع وكل بيته وغيرهم من سكان كورنثوس (أع ١٨ : ٨) وتلاميذ أفسس (أع ١٩ : ١ - ٥) وهكذا من ذلك الوقت تتم المعمودية في الكنيسة المسيحية ، على المثال الذي وضعه الرسل الأطهار للكنيسة •

الفصل الثاني

ضرورة المعمودية ولزومها للخلاص

أما ضرورة المعمودية ولزومها للخلاص فيظهر من الأدلة الآتية :

أولا : من قول يوحنا المعمدان « أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني ... هو سيعمّدكم بالروح القدس. وناز » (مت ٣ : ١١) فمعمودية يوحنا كانت للتوبة . وأما معمودية المسيح فللتوبة وغفران الخطايا وعطية الروح (أع ٢ : ٣٨) . الأولى كانت تمارس بالماء فقط . وأما هذه فباسم الآب والابن والروح القدس (مت ٢٨ : ١٩) . الأولى كانت قاصرة على التائبين من شعب إسرائيل (مت ٣ : ٥ ، ٦ و ١٠ : ٥ ، ٦) وأما الثانية فلجميع المؤمنين من اليهود والأمم (مت ٢٨ : ١٩) . الأولى كانت رمزية للتوبة والايمان بالمسيح الآتي (مت ٣ : ١ ، ١٩ : ٤) . والثانية للايمان بالمسيح الذي أتى ولغفران الخطايا (أع ٢ : ٣٨) . الأولى كانت معمودية وقتية والذين اعتمدوا بها التزموا أن يعتملوا ثانية حين آمنوا بالمسيح (أع ١٩ : ٥) وأما معمودية المسيح فهي المعمودية الدائمة الوحيدة الى انقضاء الدهر (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠ و أف ٤ : ٥) .

ثانيا : من أقوال السيد المسيح عنها : قال له المجد « ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) « من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يندم » (مر ١٦ : ١٦) فواضح هنا أن من لا يعتمد يدان ولا يستحق الدخول الى ملكوت الله .

ثالثا : من أقوال الرسل الأطهار : قال بطرس الرسول لما سأله الذين قبلوا الايمان بالمسيح في اورشليم ماذا نصنع ؟ قال لهم « توبوا وليعتمد كل منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس » (أع ٢ : ٣٧ و ٣٨) وقال بولس الرسول « لا بأعمال في بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته خلصنا ، بغسل الميلاد الثاني ، وتجديد الروح القدس » (تي ٣ : ٥) وقوله « كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها ، لكي يقدسها مطهرا إياها بغسل الماء بالكلمة ، لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيلة لا دنس فيها ولا غضن ، أو شيء من مثل ذلك . بل تكون مقدسة وبلا عيب » (أف ٥ : ٢٥ - ٢٧) وقوله « لكن اغتسلتم ، بل تقدستم ، بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح الهنا » (١ كو ٦ : ١١) وقوله « لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح » (غل ٣ : ٢٧) وقول بطرس الرسول

« الذى مثاله يخلصنا نحن الآن ، أى المعمودية لازالة وضح الجسد ، بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامه يسوع المسيح » (١ بط ٣ : ٢١) .
فهذه النصوص الصريحة ناطقة بأن المعمودية لازمة للمخلص وبدونها لا يمكن للانسان أن يخلص .

رابعا : يتضح من النصوص المتقدمة ، أن المعمودية ليست علامة تميز المسيحي من غيره ، كما يزعم البروتستانت . إذ أنها ليست علامة ظاهرية تترك أثرا فى الوجه ، أو غيره حتى تصلح لأن تكون علامة لتمييز المسيحي ولكنها عمل يترك أثرا فى النفس ، هو التطهير ومغفرة الخطايا والولادة الثانية .

خامسا : هذا التعليم كان ولا يزال تعليم الكنيسة فى جميع العصور . فقد قال القديس يوستينوس الشهيد « يجب أن نفتش ونعرف من أى طريق يمكننا أن ننال صفح الخطايا ، ونمتلك رجاء ميراث الخطايا الموعود بها ، ولنا فى ذلك طريق واحد فقط ، وهو ان نعرف يسوع ونغسل بالمعمودية لغفران الخطايا ، وهكذا نبتدىء أن نعيش بالقداسة » (خطابه الى تريفون فصل ٤٤) .

وقال القديس كيرلس الأورشليمي « عظيمة هى المعمودية المعدة فداء عن المأسورين ، وصفحاً للأوزار ، وموتاً للخطية ، وولادة ثانية للنفس ، وثوباً نيراً ، وختماً مقدساً لا ينفك ، ومركبة الى السماء ، وتعليم الفردوس ، وعلّة الملكوت ، ومنحة التبني » (تعليم ابتدائي للموعوظين فصل ١٦) .

وقال القديس غريغوريوس النيسى « فالمعمودية اذن تنقية من الخطايا وترك الملائم وعلّة التجديد والولادة الثانية » (فى معمودية المسيح) .

وقال أيضاً « حينما تدخلون فى الماء لا تجدون بعد ماء بسيطاً ، بل تبتظرون خلاصاً بالروح القدس ، لأنكم تستطيعون بلا مانع أن تصلوا الى الكمال . وهذا الكلام ليس كلامى بل كلام الرب يسوع نفسه ، الذى له السلطة التامة فى هذا السر ، كما فى كل سر غيره . وهو ان كان أحد لا يولد من الماء والروح فلا يقدر أن يدخل ملكوت الله الذى معناه أن لا تكون المعمودية بماء فقط ، لأن الذى يعتمد بالماء فقط لا يستحق نعمة الله ولا ينالها كاملة ، كما أن الذى لم ينل ختم الماء مهما كان صالحاً بأعماله لا يستطيع أن يدخل ملكوت السموات . هذا الكلام صعب ولكنه ليس كلامى الآن الرب يسوع هكذا تكلم . واليك البرهان فى الكتاب ، وأورد حادثة كرنيليوس وعماده ، وختم كلامه بقوله : « ان بطرس عمدهم باسم الرب يسوع ، فأعاد ولادة النفس بالايمان لينال الجسد أيضاً النعمة بواسطة الماء » .
(عظة ٣ : ٢)

الفصل الثالث

وجوب تعميد الأطفال

أوضحنا فيما سبق أن المعمودية ضرورية للخلاص ، طبقا لوضع السيد المسيح له المجد ، وأنها هي الباب الأول ولا بد منها لدخول الإنسان إلى ملكوت النعمة ، لذلك وجب تعميد الجميع على السواء كبارا وصغارا ، غير أن بعض المحدثين زعموا وعلموا بعدم لزوم المعمودية للأطفال ؛ وأنكروا فاعليتها . ويتضح خطأ هذا الزعم من الأدلة الآتية :

أولا : ان المعمودية ضرورية ولازمة ، وبدونها لا يمكن الدخول إلى ملكوت النعمة . ففي منعها عن الأطفال منعهم من الدخول للاستحقاق لهذا الملكوت ، بينما لا يوجد مانع يمنعهم من الاشتراك في هذه النعمة ، وبالأخص لطهارة نفوسهم .

ثانيا : ان الأطفال مشتركون في الخطية الجدية مثل الكبار ، ولا يمكنهم التطهير منها والدخول إلى ملكوت النعمة إلا من هذا الباب بشهادة الرب نفسه « أن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح » (يو ٣ : ٥ و ٦) . فيجب أن يولد الأطفال هذه الولادة الثانية الروحية ، ليكونوا مستحقين الدخول إلى ملكوت الله .

ثالثا : من المشابهة بين الحتان والمعمودية . من المعلوم أن الحتان كان عند اليهود هو العلامة التي بها يدخلون في عهد الله ، لا فرق بين الأطفال والكبار . ولذلك تعين أن يختن الطفل في اليوم الثامن . ومن المعلوم أن الحتان كان رمزا إلى المعمودية . وإلى ذلك أشار بولس الرسول بقوله « وبه أيضا ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد ، بخلق جسم خطايا البشرية بختان المسيح . مدفونين معه في المعمودية ، التي أقمتم فيها أيضا معه بإيمان عمل الله ، التي أقامه من الأموات ، واذ كنتم أمواتا في الخطايا وغلف جسديكم ، أحياكم معه مساهمًا لكم بجميع الخطايا » (كو ٢ : ١١ - ١٣) فإذا كان الله نفسه منح الأطفال نعمة الدخول في عهده القديم ، أفيليق بنا نحن أن نخرجهم من العهد الجديد ، عهد النعمة ، ونحرمهم هذا الاحسان ؟ وإذا اعترض المعترض بأن الأطفال لا يدركون ولا يعرفون ما هو الايمان أو ما هي المعمودية؟ فجوابنا على ذلك أن علم ادراكهم لا ينفي عمادهم ، أو يوجب تأخيرهم . والدليل على هذا ما ورد في الكتاب من المشابهة لذلك فقد قيل عن ابراهيم

« فآمن ابراهيم بالله فحسب له برا . . . وأخذ علامة الختان ختما لبر الايمان » (رو ٤ : ٣ و ١١) وذلك في الوقت الذي فيه وضع ابراهيم على ابنه اسحق هذه العلامة نفسها ، وهو طفل ابن ثمانية أيام ، لا يدرك ولا يفهم ولا يعرف ما هو الايمان ولا ما هو الختان . فكما ختم ابراهيم واسحق بختم البر ، هكذا لا يجب منع هذا الختم عن الأطفال المسيحيين .

وابعا : أن المسيح نفسه بارك الأطفال بركة خاصة ، ودعاهم اليه قائلا « دعوا الأولاد يأتون الي ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات » (مت ١٩ : ١٤ ، ١٨ : ٣ ، مر ١٠ : ١٥ ، لو ١٨ : ١٥-١٧) وقد سبق وقدس بعضهم وملاهم من روحه كما قدس ارميا (١ : ٥) ويوحنا الذي امتلأ من الروح القدس من بطن أمه (لو ١ : ١٥ و ٤١) فلما منع مطلقا يمنع الأطفال من تجديدهم وامتلائهم بالروح القدس ، لا من جهة الله تعالى ولا من جهة طبيعتهم . واذا تأملنا في أقوال المسيح الحلوة عنهم ، نرى فيها ما في قلبه القوس من المحبة والاعتبار لهم ، فنرى :

١ - أنه جعلهم مقياسا للكبار في الدخول الى ملكوت السموات بقوله « ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » . (مت ١٨ : ٣)

٢ - أوضح أنه قبولهم بمنزلة قبول شخصه المبارك فقد قال « ومن قبل ولدا واحدا مثل هذا باسمي فقد قبلني » (مت ١٨ : ٥) .

٣ - نهانا عن احتقارهم لاعتبارهم في عيني الله بقوله « انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لانى أقول لكم ان ملائكتهم في السموات ينظرون وجه أبى الذى فى السموات » (مت ١٨ : ١٠) .

٤ - أن الأولاد بمنزلة الحملان الصغار ، والمسيح كراع صالح يقود الحراف الكبار والحملان الصغار . ولا تخفى علاقة الأولاد بوالديهم . وقد سبق اشعيا النبي فوصف المسيح بقوله « كراع يرعى قطيعه ، بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات » (اش ٤٠ : ١١) ولما قدموا الأطفال الى الرب يسوع احتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم (مر ١٠ : ١٦) ولا يجب أن ننسى أن الله تعالى لما دعا شعبه للخروج من مصر للدخول الى أرض كنعان أرض الموعد ، وقاومهم فرعون وأراد منع أولادهم بقوله : « اذهبوا أنتم الرجال وأعبدوا الرب (خر ١٠ : ٧-١١) لم يسلم موسى بذلك بل قال له « نذهب بفتياننا وشيوخنا نذهب ببنيانا وبناتنا » . فبمثل هذا القول يجب أن نجاب أولئك الذين يحاولون منع الأولاد من الدخول الى ملكوت النعمة معنا ، ويريدون فصلهم عنا . واذا كان الرب باركهم وقبلهم ودعاهم اليه ودفع عن حقوقهم ، فمن ذا الذى يحتقرهم ويرفض عمادهم ، وقبولهم

« فآمن ابراهيم بالله فحسب له برا . . . وأخذ علامة الختان ختما لبر الايمان » (رو ٤ : ٣ و ١١) وذلك في الوقت الذي فيه وضع ابراهيم على ابنه اسحق هذه العلامة نفسها ، وهو طفل ابن ثمانية أيام ، لا يدرك ولا يفهم ولا يعرف ما هو الايمان ولا ما هو الختان . فكما ختم ابراهيم واسحق بختم البر ، هكذا لا يجب منع هذا الختم عن الأطفال المسيحيين .

وابعا : أن المسيح نفسه بارك الأطفال بركة خاصة ، ودعاهم اليه قائلا « دعوا الأولاد يأتون الي ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات » (مت ١٩ : ١٤ ، ١٨ : ٣ ، مر ١٠ : ١٥ ، لو ١٨ : ١٥-١٧) وقد سبق وقدس بعضهم وملاهم من روحه كما قدس ارميا (١ : ٥) ويوحنا الذي امتلأ من الروح القدس من بطن أمه (لو ١ : ١٥ و ٤١) فلما منع مطلقا يمنع الأطفال من تجديدهم وامتلائهم بالروح القدس ، لا من جهة الله تعالى ولا من جهة طبيعتهم . واذا تأملنا في أقوال المسيح الحلوة عنهم ، نرى فيها ما في قلبه القوس من المحبة والاعتبار لهم ، فنرى :

١ - أنه جعلهم مقياسا للكبار في الدخول الى ملكوت السموات بقوله « ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » . (مت ١٨ : ٣)

٢ - أوضح أنه قبولهم بمنزلة قبول شخصه المبارك فقد قال « ومن قبل ولدا واحدا مثل هذا باسمي فقد قبلني » (مت ١٨ : ٥) .

٣ - نهانا عن احتقارهم لاعتبارهم في عيني الله بقوله « انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لانى أقول لكم ان ملائكتهم في السموات ينظرون وجه أبى الذى فى السموات » (مت ١٨ : ١٠) .

٤ - أن الأولاد بمنزلة الحملان الصغار ، والمسيح كراع صالح يقود الحراف الكبار والحملان الصغار . ولا تخفى علاقة الأولاد بوالديهم . وقد سبق اشعيا النبي فوصف المسيح بقوله « كراع يرعى قطيعه ، بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات » (اش ٤٠ : ١١) ولما قدموا الأطفال الى الرب يسوع احتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم (مر ١٠ : ١٦) ولا يجب أن ننسى أن الله تعالى لما دعا شعبه للخروج من مصر للدخول الى أرض كنعان أرض الموعد ، وقاومهم فرعون وأراد منع أولادهم بقوله : أذهبوا أنتم الرجال وأعبدوا الرب (خر ١٠ : ٧-١١) لم يسلم موسى بذلك بل قال له « نذهب بفتياننا وشيوخنا نذهب ببنيانا وبناتنا » . فبمثل هذا القول يجب أن نجابوا أولئك الذين يحاولون منع الأولاد من الدخول الى ملكوت النعمة معنا ، ويريدون فصلهم عنا . واذا كان الرب باركهم وقبلهم ودعاهم اليه ودفع عن حقوقهم ، فمن ذا الذى يحتقرهم ويرفض عمادهم ، وقبولهم

في الاشتراك في الكنيسة وعضويتها . وهو الذي قد أمر بتبريتهم
والاعتناء بهم (راجع تث ٤ : ٩ و ١٠ ، ٦ : ٧ ، ٢ تي ٣ : ١٥ ،
أف ٦ : ٤ ، غل ٤ : ١) .

خامسا : من تعليم الرسل وقدمتهم في ذلك فانهم اتبعوا هذه القاعدة
وسلكوا هذا المبدأ . حيث نرى بطرس الرسول في يوم الخمسين صرح بعماد
الذين قبلوا المسيح من الكبار ولم يتأخروا أن يعلن لهم قبول أولادهم معهم
بقوله لهم « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران
الخطايا ، فتقبلوا عطية الروح القدس ، لأن الموعد هو لكم ولأولادكم »
(أع ٢ : ٣٨) ففي قوله (لكم ولأولادكم) تصريح واضح بقبول الأولاد
في الايمان والعمودية . وحيثما كرز الرسل بالانجيل قبلوا عائلات وعمدوهم
مع أهالي بيوتهم . ومن ذلك ليديا بائعة الأرجوان التي قبلت الايمان واعتمدت
هي وأهل بيتها (أع ١٦ : ١٤ و ١٥) وبيت استفانوس (١ كو ١ : ١٦)
والسجبان الذي اعتمد هو والذين له أجمعون (أع ١٦ : ٣٣) ولا شك
في أن عائلات هذا عددها ، قد تعمدت بأجمعها ، لم تكن خالية من الأولاد
الذين دون البلوغ أو أنهم تركوا بلا عماد ، وهذا بعيد الاحتمال ، ويكاد
يكون مستحيلا ، إذ يندر أن توجد عائلات خالية من البنين والبنات .

سادسا : ان معلمى الكنيسة وآباءها الذين استلموا التعليم من الرسل
الاطهار هكذا سلكوا وهكذا علموا بوجوب منح المعمودية للأطفال ، ويذكرون
صريحا أن ذلك تقليد رسولى . واليك ما يدل على هذه الحقيقة :

قال القديس ايريناوس : « ان يسوع المسيح أتى لكي يخلص جميع
البشر أعنى الذين به ولدوا ثانية لله . سواء أكانوا أطفالا أو شبانا أو شيوخا »
(ضد الهرطقة ١١ : ٢٢ فصل ٥ : ١٥) .

وقال العلامة أوريجانوس : « ان الكنيسة تسلمت من الرسل تقليد
عماد الأطفال أيضا ، فالأطفال يعملون لمغفرة الخطايا ليغتسلوا من الوسخ
الجدى بسر المعمودية » .

وقال القديس كبريانوس : « اذا كان الذين أخطأوا سابقا أمام الله ،
اذ يؤمنون يأخذون صفح خطاياهم ، ولا يمنع أحد منهم عن المعمودية والنعمة
وان كان قد فعل خطايا غير «حصاة» . فالأطفال الذين ضميرهم غير مفتوح
ولم يخطئوا في شيء ، والذين نظرا للخطية الكامنة فيهم وتدنسوا بها وصاروا
مشاركى الموت الآدمى ، يحتاجون أيضا الى المعمودية لأنها شرط لنوال الخلاص
والصفح ، ليس عن الخطايا الشخصية بل الإبوية . وقد حدد مجمعنا « بأنه
لا يجوز أن نمتنع أحدا من المعمودية ونعمة الله الذي هو صالح ورؤوف
بالجميع . فالمعمودية هي للجميع وخصوصا للأطفال الصغار ، الذين بنوع
خصوصى يستميلون انتباهنا وصلاح الله » (رسالة ٥٩) .

وقال القديس غريغوريوس الثاولوجوسى : « هل عندك طفل ، فلا يأخذن فيه الشر فرصة ، بل ليقدس وهو رضيع وليكسر للروح منذ نعومة أظفاره ، انك تخافين أيتها الأم من الختم بسبب ضعف الطبيعة بما أنك ضعيفة النفس وقليلة الايمان ، لكن حنة قبل أن تلد صموئيل وعدت الله به ، وبعد ولادته حالاً كرسته وبالحلة الكهنوتية ربته ، ولم تخف من الضعف البشرى بل آمنت بالله » (خطاب فى المعمودية) .

ويشهد القديس أغسطينوس فى خطاب ١٧٦ « بأن المعمودية تقليد رسولى ، وأن الكنيسة دائماً تتمسك بتعميد الأطفال ، متسلمة اياه من السلف ، ولم تزل حافظة اياه الى الآن ، وسوف تحفظه الى الانقضاء أيضاً .

وقد قرر آباء مجمع قرطاجنة سنة ٤٨١ فى القانون ١٢١ هكذا « أيضاً حكم أن كل من ينكر أن المعتمدين من الأولاد الصغار ، المولودين حديثاً من بطون أمهاتهم يعتمدون مغفرة الخطايا ، أو يعترف بذلك ولكنه يزعم أنهم لم يشتركوا فى شىء من الخطية الجديدة للمحتاجة الى التطهير بحميم الولادة الثانية ، وينتج من هذا الزعم أن رسم المعمودية التى لمغفرة الخطايا فى هؤلاء الأطفال ليس بحقيقى بل مخترع ظاهرى ، فليكن مفرزاً لأن عبارة الرسول القائلة : « بانسان واحد دخلت الخطية العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ أخطأ الجميع » لا يجب أن تفهم بمعنى آخر ألا كما فهمتها دائماً الكنيسة الجامعة الممتدة والمنتشرة فى كل مكان ، أعنى أن الأطفال أيضاً الذين لا يستطيعون أن يرتكبوا بذواتهم خطية ما من الخطايا يعتمدون بناء على قانون الايمان هذا معمودية حقيقية لمغفرة الخطايا ليتطهر فيهم بالولادة الثانية ما ورثوه من أجدادهم » .

ينتج مما تقدم أن منع الأطفال عن المعمودية بدعة غريبة مضادة للكتاب ولتعليم الرسل وقديسهم ولنظام الكنيسة منذ ابتدائها .

الفصل الرابع

كيفية ممارسة سر المعمودية ووجوب اتمامها بالتغطيس وادحاض طريقة الرش

لقد عين الرب مادة هذا السر وهي الماء ، بقوله : « ان كان أحد لا يولد من الماء والروح الخ » (يو ٣ : ٥) والرسول لم يستعملوا غير الماء (أع ٨ : ٣٦ - ٣٨ ، ١٠ : ٤٧ و ٤٨) فسارت الكنيسة حسب تعليم الرب وتسليم الرسل ، ولم تستعمل في العماد الا الماء القراح ، دون استعمال آخر مهما كان نوعه .

ثم طبقا للتسليم الرسولي تمارس الكنيسة سر المعمودية بتغطيس المعتمد ثلاثا في الماء ، باسم الأقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس ، اشارة الى موت المسيح ودفنه وقيامته ، فقد قال العلامة تروتوليانوس : « حين نأتى الى الماء نغطس ثلاث مرات » (في الأكليل ٣) وقال أيضا : « لأننا نغطس لامة واحدة بل ثلاث مرات باسم كل واحد من الأقانيم » (ضد براكسياليس ٢٦) وقال القديس باسيلوس الكبير : « فبثلاث غطسات ودعاء مساو لها في العدد يتم سر المعمودية العظيم ، لكي يتصور رسم الموت وتستنير نفوس المعمدين بتسليم معرفة الله » (في الروح القدس لامفيلوشيبوس فصل ١٥) .
والذهبي الفهم في تفسير يوحنا (مقالة ٢٥ : ٢) وأمبروسيوس في الأسرار (٢ : ٧) وإيرونيμος ضد لوكيفروس (فصل ٤) وغيرهم من الآباء .
أما المعمودية فيجب ألا تمارس - كقاعدة أصلية - الا بالتغطيس وذلك يتضح مما يأتي :

أولا : ان السيد المسيح له المجد الذي شرع هذا السر المقدس هكذا اعتمد ، ليضع لنا مثالا نحتذيه ، فيقول الانجيل عن عماده « فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء » (مت ٣ : ١٦) وفي ذلك برهان جلي على أنه كان مغمورا بالماء ونازلا فيه حتى أنه صعد منه .

ثانيا : ان يوحنا المعمدان والرسول الذين سلّمونا وديعة الأيمان هكذا مارسوا العماد ، فيوحنا المعمدان عمد الذين أتوا اليه في نهر الأردن ، ولو جاز العماد بسكب الماء أو رشه لما كانت هناك حاجة للاتيان بهم الى النهر ، بل كان قليل من الماء يكفي في هذه الحالة . وفيلبس عمد الخصى وزير كنداكة ملكة الحبشة بالتغطيس . حيث جاء في سفر الأعمال قوله « فأمر أن تقف المركبة فنزلا كلاهما الى الماء فيلبس والخصى فعمده . ولما صعد من الماء

وأيضاً يدعو الرسول المعمودية « غسلا » بقوله « لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس » (تي ٣ : ٥) وقد أشار حنايا الى هذا المعنى حيث قال لشاول « والآن لماذا تتوانى ، قم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب » (أع ٢٢ : ١٦) راجع أيضاً (١ بط ٣ : ١٨ - ٢١ ، أف ٥ : ٢٦) ، والغسل لا يمكن أن يتم بالسكب أو بالرش بل بانغمار الجسم كله في الماء .

خامساً : من مدلول لفظة « معمودية » فان هذه اللفظة في الأصل اليوناني « فابتزما » وهي صيغة مبالغة من كلمة « فابتين » معناها « الصبح » ، وصبغ الشيء لا يتم إلا بوضعه في السائل وغمره به . أما السكب والرش فلا يؤديان هذه الغاية .

سادساً : ان جميع آباء الكنيسة هكذا علموا وهكذا مارسوا : قال القديس يوستينوس « ان جميع الذين يقتنعون ويصدقون بأن ما نعلمه ونقوله حقيقي ، ويعترفون أنهم يستطيعون أن يعيشوا هكذا ، يعلمون أن يصلوا ويطلبوا من الله بصوم مغفرة خطاياهم السالفة ، ونحن نصلي ونصوم معهم ، بعد ذلك نأتي بهم الى حيث يوجد ماء . وتعاد ولادتهم بأسلوب إعادة الولادة التي أعيدت به ولادتنا ، لأنهم يستحمون حينئذ في الماء على (اسم) أبي الكل الاله السيد ومخلصنا يسوع المسيح والروح القدس » (احتجاج ٧ صفحة ٧٩) .

والقديس كيرلس الأورشليمي يقول : « كما أن الذي يدخل في الماء ويعمد ينغمر بالماء من كل جهة ، هكذا قد اعتمدوا تماماً من الروح أيضاً ، لكن المياء يغمر المعمد من الخارج ، وأما الروح فيعمد النفس داخلياً بلا انقطاع » (عظة ٣ : ٢) وغير ذلك من أقوال الآباء التي لا متسع لذكرها هنا .

أما سكب المياء ورشه الذي بدأت الكنيسة الغربية باستعماله حديثاً فيكفي أن نقول ان أحواض المعمودية لا تزال موجودة في أقدم كنائس رومة دليلاً على صحة تعليمها قديماً ، ولا حق لها في تحويل معمديتها الى معمودية رش ، ولا صحة للدعاء بأن الكنيسة القديمة لم تسمح بذلك الا في بعض ظروف استثنائية لا مناص منها ، وعلى الخصوص للمرضى والمقعدين الذين لا يمكن عمادهم بالتغطيس (تروتوليانوس في التوبة فصل ٦ وتاريخ أوسابيوس ٦ : ٤٣ وأغسطينوس في تفسير يوحنا ٨٠) ومع ذلك فقد حدثت مشاجرات عنيفة بين مسيحي ذلك العصر ، اذ كان كثيرون منهم لا يقبلون اعتبار مثل ذلك العماد الذي تم بالرش ، وكانوا يطلبون إعادة معمديتهم ، حتى اضطر القديس كبريانوس الى أن يكتب في هذا الموضوع لنزع الخلاف من بينهم فقال : « ان سر العماد لا يعدم قوته ولا صحته اذا تم عند الضرورة بالرش ولا حاجة الى اعادته » (رسالة ٧٦) ولذلك فإن الكنيسة الأرثوذكسية لا تعيد معمودية من اقتضى عمادهم بالرش لداعي المرض ، ولكنها لا تسمح باتمام السر اعميادياً الا كما أمر به المسيح وكما سلمنا الرسل .

الفصل الخامس

الاعتماد باسم الثالوث الأقدس ومعنى الاعتماد باسم المسيح

ان الكنيسة حسب تعليم الرب وامثالا لأمره تترجم سر العماد باسم الثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس وتذكر أسماء الأقانيم الثلاثة عند تغطيس المعمد ، وهذا واضح من أمر الرب الصريح القائل « عمدهم باسم الآب والابن والروح القدس » (مت ٢٨ : ١٩) وقد ورد في القوانين الرسولية « ان كل أسقف أو قس لا يعتمد حسب أمر الرب بالآب والابن والروح القدس بل بثلاثة (آباء) عديمي الابتداء أو بثلاثة بنين أو بثلاثة معزين يقطع » وعن ذلك يقول العلامة أوريجانوس « معمودية الخلاص لا ينبغي أن تتم على وجه آخر الا باسم الثالوث الأقدس أعني باستدعاء الآب والابن والروح القدس » ويقول القديس كبريانوس « ان الرب ذاته أوصى بأن نعتمد باسم الثالوث الأقدس بجملته (١) » (رسالة ٧٣) ويقول القديس أثناسيوس الرسولي « من يرفض هذا الأقبوم أو ذاك من الثالوث الأقدس ، ويعتمد باسم الآب فقط ، أو الابن وحده ، أو الآب والابن خلا الزوج القدس ، فذاك يشترك بالسر أصلا لأن الكمال والخلاص هما في الثالوث » (رسالة الى سراييون صفحة ٣٠) .

أما ما ورد في الانجيل من العبارات التي تروى عن المعمودية باسم المسيح ، أو في المسيح يسوع ، (أع ٢ : ٣٨ ، ٨ : ١٦ ، ١٠ : ٤٨ ، ١٩ : ٢٠) فلا يقصد منها نفى العماد باسم الثالوث الأقدس بل للمعنى في ذلك أننا نعتمد بالمعمودية التي أحسبها ورسمها ربنا يسوع المسيح . وقد قال في ذلك القديس أفلوجيوس « ان الاعتماد بيسوع المسيح هو الاعتماد بحسب وصية يسوع المسيح وتسليمه الصريح أعني باسم الآب والابن والروح القدس » وقال القديس باسيليوس « لا يعثرن أحدا كلام الرسول حيث يسكت أحيانا عن ذكر اسم الآب والروح القدس في المعمودية ، ولا يظن لهذا النسب أن استدعاء الأسماء أمر لا يجب ملاحظته ، لأنه يقول أيها الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح ، وأيضا أيها الذين اعتمدتم بالمسيح ، بموته اعتمدتم . فذكر المسيح هو اعتراف بالجميع لأن هذا الاسم المقدس يدل على الاله الذي مسح ، والابن الذي مسح ، المسحة وهي الروح القدس ، كما يقول بطرس الرسول « يسوع الذي من الناصرة كيف مسح الله بالروح القدس » (في الروح القدس فصل ١٥) .

(١) يقصد بكلمة (بجملته) هنا أن يكون العماد باسم الأقانيم الثلاثة

(معا) .

الفصل الخامس

الاعتماد باسم الثالوث الأقدس ومعنى الاعتماد باسم المسيح

ان الكنيسة حسب تعليم الرب وامثالا لأمره تترجم سر العماد باسم الثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس وتذكر أسماء الأقانيم الثلاثة عند تغطيس المعمد ، وهذا واضح من أمر الرب الصريح القائل « عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (مت ٢٨ : ١٩) وقد ورد في القوانين الرسولية « ان كل أسقف أو قس لا يعتمد حسب أمر الرب بالآب والابن والروح القدس بل بثلاثة (آباء) عديمي الابتداء أو بثلاثة بنين أو بثلاثة معزين يقطع » وعن ذلك يقول العلامة أوريجانوس « معمودية الخلاص لا ينبغي أن تتم على وجه آخر الا باسم الثالوث الأقدس أعني باستدعاء الآب والابن والروح القدس » ويقول القديس كبريانوس « ان الرب ذاته أوصى بأن نعتمد باسم الثالوث الأقدس بجملته (١) » (رسالة ٧٣) ويقول القديس أثناسيوس الرسولي « من يرفض هذا الأقتنوم أو ذاك من الثالوث الأقدس ، ويعتمد باسم الآب فقط ، أو الابن وحده ، أو الآب والابن خلا الزوج القدس ، فذاك يشترك بالسر أصلا لأن الكمال والخلاص هما في الثالوث » (رسالة الى سراييون صفحة ٣٠) .

أما ما ورد في الانجيل من العبارات التي تروى عن المعمودية باسم المسيح ، أو في المسيح يسوع ، (أع ٢ : ٣٨ ، ٨ : ١٦ ، ١٠ : ٤٨ ، ١٩ : ٢٠) فلا يقصد منها نفى العماد باسم الثالوث الأقدس بل للمعنى في ذلك أننا نعتمد بالمعمودية التي أحسبها ورسمها ربنا يسوع المسيح . وقد قال في ذلك القديس أفلوجيوس « ان الاعتماد بيسوع المسيح هو الاعتماد بحسب وصية يسوع المسيح وتسليمه الصريح أعني باسم الآب والابن والروح القدس » وقال القديس باسيليوس « لا يعثرن أحدا كلام الرسول حيث يسكت أحيانا عن ذكر اسم الآب والروح القدس في المعمودية ، ولا يظن لهذا النسب أن استدعاء الأسماء أمر لا يجب ملاحظته ، لأنه يقول أيها الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح ، وأيضا أيها الذين اعتمدتم بالمسيح ، بموته اعتمدتم . فذكر المسيح هو اعتراف بالجميع لأن هذا الاسم المقدس يدل على الاله الذي مسح ، والابن الذي مسح ، المسحة وهي الروح القدس ، كما يقول بطرس الرسول « يسوع الذي من الناصرة كيف مسح الله بالروح القدس » (في الروح القدس فصل ١٥) .

(١) يقصد بكلمة (بجملته) هنا أن يكون العماد باسم الأقانيم الثلاثة

(معا) .

فيها ولا غضن ، أو شيء من مثل ذلك ، بل تكون مقدسة وبلا عيب «
 (أف ٥ : ٢٥ - ٢٧) فيسميها الرسول هنا « غسل الماء » وفي (١ كو
 ٦ : ١١) ويقول « لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع
 وبروح الهنا » . فالمعمودية إذن تمارس بالماء الذي يستعمل للغسل ،
 وهي مقدسة ومطهرة ومبررة من الخطية الجدية بفعل الروح القدس وعمله
 غير المنظور (راجع ما جاء في صحيفة ٢٤ عن ضرورة المعمودية ولزومها
 للمخلص) .

ثالثا : إن المعمودية تمنح الانسان نعمة التبني حسب قول بولس
 الرسول « لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع ، لأن كلكم الذين
 اعتمدتم بالمسيح ، قد لبستم المسيح ، ليس يهودي ولا يوناني ، ليس عبدا
 ولا حر ، ليس ذكر وأنثى ، لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع ، فان كنتم
 للمسيح فأنتم اذا نسل ابراهيم وحسب الموعد ورثة » (غل ٣ : ٢٦ - ٢٩)
 وقوله أيضا « لأننا جميعنا بروح واحد أيضا اعتمدنا الى جسد واحد يهودا
 كنا أم يونانيين ، عبيدا أم أحرارا ، جميعنا سقينا روحا واحدا » (١ كو
 ١٢ : ١٣) راجع أيضا (أع ٢ : ٤١ ، رو ٦ : ٣ و ٤) .

رابعا : من نتائجها العتق من عقوبة الخطية ، وأخذ ميراث الحياة الأبدية ،
 حسب قول السيد « من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدين » (مر ١٦ : ١٦)
 وقول بولس الرسول « خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس ،
 الذي سكبته بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا ، حتى اذا تبررنا بنعمته
 نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية » (تي ٣ : ٥ - ٧) وقول بطرس
 الرسول « ولقدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات ، لميراث
 لا يقنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلكم » .
 (١ بط ١ : ٣ و ٤)

فمن هذه النصوص المقدسة يتضح جليا أن نتائج المعمودية غير المنظورة
 بفعل روح الله القدس هي الولادة الثانية ، والتبرير ، والتبني ، وارث
 الملكوت . وهذه المنح والنتائج مرتبطة بعضها ببعض ، لأن نعمة الله اذ تلد
 الانسان ثانية تبرره وتقدهس وتجعله ابنا لله مستحقا لورثة الحياة الأبدية .

وهذا التعليم هو تعليم المسيح وورثته ، وعليه سارت الكنيسة في كل
 الأجيال ، وهكذا اعتقد آباء الكنيسة منذ الأجيال الأولى .

وإليك بعض شهاداتهم :

قال القديس برقايا في رسالته فصل ١١ : « تنتم المعمودية لغفران الخطايا
 فننزل في الماء موعبين (١) من الخطايا والوسخ ، ونصعد مسمرين الخوف

(١) كلمة « موعبين » بكسر العين تعنى الجمع والشمول . فكلنا ننزل
 المعمودية بخطايانا بلا استثناء .

فيها ولا غضن ، أو شيء من مثل ذلك ، بل تكون مقدسة وبلا عيب «
 (أف ٥ : ٢٥ - ٢٧) فيسميها الرسول هنا « غسل الماء » وفي (١ كو
 ٦ : ١١) ويقول « لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع
 وبروح الهنا » . فالمعمودية إذن تمارس بالماء الذي يستعمل للغسل ،
 وهي مقدسة ومطهرة ومبررة من الخطية الجديدة بفعل الروح القدس وعمله
 غير المنظور (راجع ما جاء في صحيفة ٢٤ عن ضرورة المعمودية ولزومها
 للمخلص) .

ثالثا : إن المعمودية تمنح الانسان نعمة التبني حسب قول بولس
 الرسول « لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع ، لأن كلكم الذين
 اعتمدتم بالمسيح ، قد لبستم المسيح ، ليس يهودي ولا يوناني ، ليس عبدا
 ولا حر ، ليس ذكر وأنثى ، لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع ، فان كنتم
 للمسيح فأنتم إذا نسل ابراهيم وحسب الموعد ورثة » (غل ٣ : ٢٦ - ٢٩)
 وقوله أيضا « لأننا جميعنا بروح واحد أيضا اعتمدنا الى جسد واحد يهودا
 كنا أم يونانيين ، عبدا أم أحرارا ، جميعنا سقينا روحا واحدا » (١ كو
 ١٢ : ١٣) راجع أيضا (أع ٢ : ٤١ ، رو ٦ : ٣ و ٤) .

رابعا : من نتائجها العتق من عقوبة الخطية ، وأخذ ميراث الحياة الأبدية ،
 حسب قول السيد « من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدين » (مر ١٦ : ١٦)
 وقول بولس الرسول « خلصنا بغسل الميлад الثاني وتجديد الروح القدس ،
 الذي سكبته بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا ، حتى اذا تبررنا بنعمته
 نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية » (تي ٣ : ٥ - ٧) وقول بطرس
 الرسول « ولقدنا ثانية لرجاء حي بقيامه يسوع المسيح من الأموات ، لميراث
 لا يقنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلكم » .
 (١ بط ١ : ٣ و ٤)

فمن هذه النصوص المقدسة يتضح جليا أن نتائج المعمودية غير المنظورة
 بفعل روح الله القدس هي الولادة الثانية ، والتبرير ، والتبني ، وارث
 الملكوت . وهذه المنح والنتائج مرتبطة بعضها ببعض ، لأن نعمة الله اذ تلد
 الانسان ثانية تبرره وتقده وتجعله ابنا لله مستحقا لورثة الحياة الأبدية .

وهذا التعليم هو تعليم المسيح ورسوله ، وعليه سارت الكنيسة في كل
 الأجيال ، وهكذا اعتقد آباء الكنيسة منذ الأجيال الأولى .

وإليك بعض شهاداتهم :

قال القديس برقايا في رسالته فصل ١١ : « تنتم المعمودية لغفران الخطايا
 فننزل في الماء موعبين (١) من الخطايا والوسخ ، ونصعد مسمرين الخوف

(١) كلمة « موعبين » بكسر العين تعنى الجمع والشمول . فكلنا ننزل
 المعمودية بخطايانا بلا استثناء .

في قلوبنا ، ومالكين الرجاء يسوع في روحنا » وقال القديس يوستينوس (في خطابه الى تريفون فصل ٤٤) « يجب أن نفتش ونعرف من أى طريق يمكن أن ننال صفح الخطايا ، وتمتلك رجاء ميراث الخيرات الموعود بها ، ولنا في ذلك طريق واحد فقط ، وهو أن نعرف يسوع ونغتسل بالمعمودية لغفران الخطايا ، وهكذا نبتدىء أن نعيش بالقداسة » .

وقال القديس أكليمنطس الاسكندري : « هذا الأمر عينه يحصل لنا نحن أيضا الذين قد صار لنا المسيح مثالا فاذ نعتمد نستنير ، واذ نستنير نتبنى ، واذ نتبنى نكمل ، واذ نكمل نضحى غير مائتين . كما يقول « أنا قلت انكم آلهة وبنو العلى جميعكم » ويدعى هذا الفعل بأسماء كثيرة أعني نعمة واستنارة وكمالا وحميما . فهو نعمة أذ به نترك عقوبات خطايانا ، واستنارة اذ به نرى النور القدوس الخلاصى ، أعني أننا نشخص به الى اللاهوت ، وكمال لأنه لا يحتاج الى شئ ، وحميم لأننا به نغسل خطايانا » (المرعى كتاب ١ فصل ٦ : ٢٢٦) .

وقال القديس غريغوريوس الثاولوغوس : « ان نعمة المعمودية تنقى الانسان من كل خطية وتغسله غسلا كاملا من الأوساخ والأقذار اللاحقة به من الرذيلة . . . وهى من حيث أنها نجدة للولادة الأولى فجعلنا جددا من عتق والهيين بدلا مما نحن عليه » (خطبة في المعمودية) .

وقال القديس باسيليوس الكبير : « المعمودية فدية المأسورين ، وصفح الأوزار ، وموت الخطية ، واعادة ولادة النفس ، وثوب نير ، وختم لا ينفك ، ومركبة الى السماء تؤدى الى الملكوت ، ومنحة التبني ، (تعليم ابتدائى للموعوظين فصل ١٦) .

وقال القديس يوحنا ذهبى الفم : « ان معمودية النعمة تطهر كل انسان ، سواء كان فاسدا أو زانيا ، عابدا للأصنام أو غير ذلك ، لأنه مهما كان غارقا في الخطية فحالما يدخل مياه المعمودية يخرج من هذه المياه الالهية أنقى من أشعة الشمس عينها ، وليس نقيا بل قديسا بل بارا أيضا ، لأن الرسول لم يقل « واغتسلتم » فقط بل قال « وتقدستم وتبررتم باسم الرب يسوع » . ثم انه فضلا عن نوالنا بالمعمودية صفح الخطايا والتنقية من المآثم والمظالم ، فائنا نولد بعد المعمودية ولادة ثانية ونخلق ونصور بها » (عظة ثالثة) .

وقال القديس أوغسطينوس : « اننا بميلادنا من الماء والروح القدس نتطهر من كل خطية ، سواء كانت من آدم الذى به أخطأ الجميع ؛ أو بفعلنا وقولنا لأننا نغسل منها بالمعمودية » (رسالة ١٧٨ : ٢٨) .

وهكذا علم باقى الآباء القديسين معلمى الكنيسة فى كل الأجيال .

الفصل السابع

وحدة المعمودية وعدم اعادةها

ان الكنيسة تعترف وتعلم طبقا لتعليم الرب ورساله بأن المعمودية واحدة ، ولذلك قررت في قانون الايمان هكذا « نعترف بمعمودية واحدة لغفرة الخطايا » وتعنى بذلك عدم جواز اعادةها ثانية متى تمت قانونيا حسب الشروط التي ذكرناها سابقا ، وذلك لسببين :

اولا : لأن المعمودية ولادة روحية ، فكما أن الأنسان لا يولد جسديا الا مرة واحدة ، هكذا يجب أن تكون ولادته الروحية مرة واحدة ، وكما أن الأنسان بميلاده الجسدي يأخذ صورة وهيئة خاصة يبقى عليها مدى حياته ، هكذا في ميلاده الروحي يأخذ رسما وختما لا يمحي .

ثانيا : لأن المعمودية هي مثال موت المسيح ودفنه وقيامته . فكما أن المسيح مات مرة واحدة مقدما ذاته كفارة أبدية (رو ٦ : ٤ - ٦ ، كو ٢ : ١٢ ، عب ٦ : ٤ ، ٧ : ٢٧ ، ٩ : ١٢ ، ١٠ : ١٠) ، وكما أنه وضع للناس أن يموتوا مرة واحدة (عب ٩ : ٢٧) هكذا لا يجوز أن تعاد المعمودية مرة ثانية .

ولذلك يقول آباء الكنيسة عن سر المعمودية « انه ختم لا يمحي وختم لا ينكسر » (أواخر الرسل ك ٣ فصل ١٦) « ولانه ختم الله ، وكما خلق الأنسان الأول على صورة الله ومثاله هكذا الذي يتبع الروح القدس يختمه الله ويأخذ صورة الخالق » (أيرونيوموس على رسالة أفسس ١ : ١٣) ويقول القديس أوغسطينوس « ان السنة السيدية لا تمحي البتة عن الذين نفتنهم ولا نعددهم ثانية » (رسالة ١٨٥ الى بونيفانيوس فصل ١٣) ويقول تروتوليانوس « لا يجوز أن تعاد المعمودية » (في العفة) ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم « قد دفنا معه بالمعمودية للموت ، وكما أنه غير ممكن أن يصلب المسيح مرة ثانية ، هكذا لا يقدر من قد اعتمد مرة أن يقبل معمودية ثانية » (مقالة ١١ : ٣ على رسالة العبرانيين) . ويقول القديس افرام السرياني « ان الرب أوصى تلاميذه أن ينقوا بمياه المعمودية خطايا الطبيعة البشرية مرة واحدة » (كتاب الايمان ٤ : ٩) .

الفصل السابع

١ - من له حق التعميد :

ان الرب يسوع قد جعل حق التعميد للرسل حيث قال لهم « اذهبوا وتلمنوا جميع الأمم وعمدوهم بالخر » (مت ٢٨ : ١٩ ، مر ١٦ : ١٦) وقد انتقل هذا الحق من الرسل الى خلفائهم الأساقفة ، ومن الأساقفة الى القسوس ، أى أن الذين لهم حق التعميد هم الأساقفة والقسوس لا غير مع خدمة الشماس معهم . وقد نصت القوانين الرسولية هكذا « اننا لا نسمح بحق التعميد لأحد من الكليروسيين مثل القارئ والمرتلين والبوابين والخدمية ، الا للأساقفة والقسوس وحدهم ، الذين يخدم معهم الشماسة » وقد أثبت ذلك جميع آباء الكنيسة . قال القديس أغناطيوس الشهيد في رسالته الى أهل أزمير « لا يسمح لكم أن تعملوا بدون أسقف ولا أن تقربوا قرابين ولا أن تقدموا ذبيحة » وقال العلامة تروتليانوس « ان السلطة في تكميم المعمودية منوطة بالأسقف ثم بالقسوس مع الشماسة . ولكن ليس بدون إذن من الأسقف لشرف الكنيسة » وقال القديس أيبفانيوس « انه حسب النظام الكنسي لا يتم الشماسة سرا من الأسرار ، ولكنهم يخدمون في خدمة الأسرار ، غير أنه حينما تدعو الضرورة يسمح للعالميين (١) أيضا أن يعمدوا ، (ضد الهرطقات ٨٩) وقال أيضا « لو كان التعميد مسموحا به للنساء ، لما تقبل ربنا يسوع المسيح المعمودية من يوحنا ، بل من أمه الكلية القداسة ، (ضد الهرطقة ٧٩) .

٢ - واجبات المعتمدين :

الواجبات المطلوبة من المعتمدين هي :

أولا : الايمان بالرب يسوع (مر ١٦ : ١٦ ، أع ١٦ : ٣١) .

ثانيا : الاعتراف بهذا الايمان علنا وصريحا .

ثالثا : التوبة حسب قول بطرس الرسول « توبوا وليعتمد كل واحد

منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس . (أع ٢ : ٣٨ ، ٣ : ١٩)

(١) كلمة « العالميين » هنا يقصد بها على التغليب الشماسة لأن الكنيسة تقيمهم لمعاونة رجال الكهنوت في الخدمات الكنسية والخدمات في العالم بين الناس ، وقد اختار الرسل الشماسة السبعة كما جاء في سفر الأعمال لمثل ذلك .

رابعا : بما أن ابن الله أظهر لكى ينقض أعمال إبليس (١ يو ٣ : ٨) لذلك يجب على المعتمد قبل كل شيء أن يجحد الشيطان ويرفض أعماله ، ويتعهد بأن يتترك كل أباطيل العالم ويكفر بأعمال الظلمة ، لأنه رجع عن ظلمات الجهل والشر والخطية إلى نور المعرفة والقداسة والبر ، ومن سلطان الشيطان إلى الله (أع ٢٦ : ١٨) . والمراد بجحد الشيطان ترك الخطية ورفض كل أعمال إبليس ، وأتباع المسيح والسلوك بحسب تعليمه ، والسير في أثر خطواته . وهذا التعليم موافق كل الموافقة لروح الكتاب هكنا « لينتهرك الرب يا شيطان » (زك ٣ : ٢) « اذهب يا شيطان » (مت ٤ : ١٠) وما جاء في سفر أعمال الرسل من أن كثيرين من الذين آمنوا كانوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم . وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع ٠٠٠ الخ (أع ١٩ : ١٨ و ١٩) راجع أيضا (١ كو ١٠ : ٢٠ ، ٢ كو ٦ : ١٥ ، أف ٥ : ١١ ، تي ٣ : ٨ ، ١٣ ، كو ٣ : ٥ - ١٠) .

والكنيسة تمارس هذا الأمر من عهد تأسيسها وذلك بشهادة العلامة ترتليانوس (في المعمودية ٢٠) والقديس اكليمنضس الاسكندري (في الرسومات ٥ : ١١) وكيرلس الأورشليمي (عظة ١ : ٣٥) والقديس يوحنا ذهبي الفم (في مقالة على رسالة أفسس) .

وقد ورد في تاريخ موسهيم : « كان الأسقف والقسوس تحت أمره يعملون مرتين في السنة ، أى في الفصح والأحد الجديد بعد الفصح . فمن جهة الطالبين يظن أنهم كانوا يقطسون بأثناء كليا مع الابتهاال للثالوث الأقدس حسب أمر المخلص بعد أن يكونوا قد تلووا ما يسمونه قانون الإيمان ويرفضوا كل خطاياهم ولا سيما الشيطان وجنوده ، وكان يرسم الصليب على المعتمدين ويمسحونهم ويستودعونهم لله بالصلاة ووضع الأيادي وأخيرا يذيقونهم من اللبن والعسل ٠٠ كان على البالغين أن يروضوا عقولهم بالصلاة والصوم ورياضات آخر نشوعية . ووضع الأشابين أولا للبالغين ثم وضعوا للأطفال أيضا (موسهيم كتاب قرق ٢ قسم ٢ فصل ٤ عدد ١٣) .

وهذا الطقس لا يزال جاريا في جميع الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية والشيخ البروتستانتية . فقد جاء في كتاب الصلاة العامة للكنيسة الأسقفية : « بما أن هذا الوعد قد حصل من المسيح فينبغي لهذا الطفل أن يعد بأمانة على يدكم (أى الأشابين) معشر كفلائه إلى أن يبلغ . فيتعين عليه وفاء ذلك بأن يرفض الشيطان وجميع أعماله ويؤمن بكلمة الله المقدسة واسمها ، ويحافظ على وصاياها مطيعا ، ثم يسأل القسيس العراب (الأشابين) بالنبابة عن هذا ترفض الشيطان وجميع أفعاله وزخارف الدنيا ومجدها الباطل الخ ؟ (راجع كتاب الصلاة العامة . باب معمودية الأطفال) .

رابعا : بما أن ابن الله أظهر لكى ينقض أعمال إبليس (١ يو ٣ : ٨) لذلك يجب على المعتمد قبل كل شيء أن يجحد الشيطان ويرفض أعماله ، ويتعهد بأن يتترك كل أباطيل العالم ويكفر بأعمال الظلمة ، لأنه رجع عن ظلمات الجهل والشر والخطية الى نور المعرفة والقداسة والبر ، ومن سلطان الشيطان الى الله (أع ٢٦ : ١٨) . والمراد بجحد الشيطان ترك الخطية ورفض كل أعمال إبليس ، وأتباع المسيح والسلوك بحسب تعليمه ، والسير في أثر خطواته . وهذا التعليم موافق كل الموافقة لروح الكتاب هكنا « لينتهرك الرب يا شيطان » (زك ٣ : ٢) « اذهب يا شيطان » (مت ٤ : ١٠) وما جاء في سفر أعمال الرسل من أن كثيرين من الذين آمنوا كانوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم . وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع ٠٠٠ الخ (أع ١٩ : ١٨ و ١٩) راجع أيضا (١ كو ١٠ : ٢٠ ، ٢ كو ٦ : ١٥ ، أف ٥ : ١١ ، تي ٣ : ٨ ، ١٣ ، كو ٣ : ٥ - ١٠) .

والكنيسة تمارس هذا الأمر من عهد تأسيسها وذلك بشهادة العلامة ترتليانوس (في المعمودية ٢٠) والقديس اكليمنضس الاسكندري (في الرسومات ٥ : ١١) وكيرلس الأورشليمي (عظة ١ : ٣٥) والقديس يوحنا ذهبي الفم (في مقالة على رسالة أفسس) .

وقد ورد في تاريخ موسهيم : « كان الأسقف والقسوس تحت أمره يعملون مرتين في السنة ، أى في الفصح والأحد الجديد بعد الفصح . فمن جهة الطالبين يظن أنهم كانوا يقطسون بأثناء كليا مع الابتهاال للثالوث الأقدس حسب أمر المخلص بعد أن يكونوا قد تلووا ما يسمونه قانون الإيمان ويرفضوا كل خطاياهم ولا سيما الشيطان وجنوده ، وكان يرسم الصليب على المعتمدين ويمسحونهم ويستودعونهم لله بالصلاة ووضع الأيادي وأخيرا يذيقونهم من اللبن والعسل ٠٠ كان على البالغين أن يروضوا عقولهم بالصلاة والصوم ورياضات آخر نشوعية . ووضع الأشابين أولا للبالغين ثم وضعوا للأطفال أيضا (موسهيم كتاب قرق ٢ قسم ٢ فصل ٤ عدد ١٣) .

وهذا الطقس لا يزال جاريا في جميع الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية والشيع البروتستانتية . فقد جاء في كتاب الصلاة العامة للكنيسة الأسقفية : « بما أن هذا الوعد قد حصل من المسيح فينبغي لهذا الطفل أن يعد بأمانة على يدكم (أى الأشابين) معشر كفلائه الى أن يبلغ . فيتعين عليه وفاء ذلك بأن يرفض الشيطان وجميع أعماله ويؤمن بكلمة الله المقدسة واسمها ، ويحافظ على وصاياها مطيعا ، ثم يسأل القسيس العراب (الأشابين) بالنيابة عن هذا ترفض الشيطان وجميع أفعاله وزخارف الدنيا ومجدها الباطل الخ ؟ (راجع كتاب الصلاة العامة . باب معمودية الأطفال) .

كانت الكنيسة تلاحظ الذين يعتمدون وتراقبهم بكل حذر وتعلمهم أولا
 زمنا تحت التعليم حتى تتحقق من ثباتهم في الايمان ، ولما كانوا يمكنون
 مدة تحت الارشاد والموعظ فقد سميتهم « الموعوظين » وكانت الكنيسة ولا تزال
 نصلي لأجلهم مستمدة لهم من الرب نعمة الاستنارة ، وعنهم قال القديس
 غريغوريوس الثاولوغوس في مقالة يوم الخمسين « انه لا يليق ولا يوافق
 للعين الضعيفة أن تعين الشمس ، ولا للرضع أن يتناولوا طعاما كاملا ،
 بل الأجدر أن يتدرجوا قليلا قليلا الى ما هو قدام ويرتقوا الى الامور السامية ،
 فنحن بهذا الصنيع نمنح هؤلاء نورا بعد نور مبينين لهم من الحق يقينا » .

ولما كان الأطفال لا يدركون ماهية الايمان ، ولا يستطيعون اعلان
 ايمانهم ، ولا يفقهون معنى المعمودية ، ولا يمكن أيضا تلمذتهم ، فلذلك رأت
 الكنيسة منذ القديم أن تعمدهم على ايمان والديهم وتعهد أشباينهم ، الذين
 يتكفلون بتربيتهم التربوية المسيحية وتعليمهم حقائق الايمان ، ويتعهدون
 بذلك أمام الكنيسة .

أما كلمة « أشباين » فانها سريانية الأصل ومعناها الحارس أو الوصي .
 وتعيين الأشباين قديم جدا ويرجع الى زمن الرسل ، فقد ورد في سفر
 الاعمال أن الرب نفسه عهد الى حنانيا تعليم شاول وارشاده قبل عاصه
 (أع ٩) وبعد ذلك مكث في دمشق عند حنانيا مع التلاميذ أياما (أع ٩ : ٢٨)
 وكذلك عهد الى بطرس الرسول تعليم كرنيليوس القائد الروماني قواعد
 الايمان وارشاده الى طريق الحياة الأبدية بالمسيح يسوع (أع ١٠) وقد قال
 القديس ديوناسيوس الأريوباغي تلميذ بولس الرسول عن هذه العادة :
 « ان هذا الأمر ! ففكر به معلمونا الالهيون (الرسل) وراوه موافقا أن يقبل
 الأطفال على هذا الوجه الشريف أعني أنه يسلم الوالدان الطبيعيان ولدهم
 لمرب صالح وأن يبقى الولد فيما بعد تحت ادارته كأنه تحت عناية أب الهى
 وكفيل لحلاص مقدس ، فتمتم السر يرفعه وهو معترف الى الحياة المقدسة
 طالبا رفض الشيطان والاقرار الشريف » (في رئاسة الكهنوت ٧ : ١١)
 وقال القديس يوحنا ذهبى الفم « وان كان المعمدون أطفالا أو طرشا
 لا يستطيعون استماع التعليم فليجابوا أشباينهم عنهم ، وهكذا يعملون حسب
 العادة » (على مز ١٤) وقال القديس أغسطينوس « اننا نؤمن ونصدق بتقوى
 وصواب أن ايمان الوالدين والأشباين يفيد الأطفال ، وعلى هذا الايمان
 معمدون » (في السلطة الذاتية ٢٣ : ٦٧ ورسالة ١٩٣ : ٣) .

٢ - سر الميرون أو المسحة المقدسة

الفصل الأول

١ - ارتباط هذا السر بسر المعمودية وتعريفه وأسمائه وانغرض منه وتأسيسه .

إننا بسر المعمودية نولد ولادة ثانية من فوق . ومن ولد ولادة جديدة يحتاج الى قوة تثبته وتحفظ وجوده ونموه في الحياة الروحية ، ولهذا منح الرب يسوع هذا السر للمؤمنين لثباتهم في الايمان وتقويتهم ونموهم في التقوى . وبناء عليه يكون لهذا السر بالنسبة للمعمدين الرتبة الثانية بين الأسرار ، ولهذا السبب يمنح بعد المعمودية حالا .

وهو سر مقدس به ننال ختم موهبة الروح القدس .

وبالنظر الى طبيعة السر ومفاعيله دعى « وضع الأيادي » لأن الرسل كانوا يتمونه في العصر الأول بوضع الأيادي على المعتمدين ، وسمى غالبا مسحة ، ومسحة سرية ، وسر المسحة ، ومسحة الميرون ، ومسحة الخلاص ، وذلك لأنه يتم بمسح المعتمد بالميرون الذي هو طيب خاص . وأما بالنسبة لمفاعيله الداخلية الروحية فقد سمي موهبة الروح القدس ، وسر الروح ، وعلامة الروح ، وسر التثبيت ، وختم الروح ، وختم الحياة الأبدية .

٢ - الغرض من هذا السر :

أما الغرض من هذا السر فواضح مما تقدم ، وهو النمو والتدرج في الحياة الروحية ، فكما أنه توجد في الطبيعة البشرية للمولود جديدا قوة لازمة للنمو والنشوء للوصول الى الكمال ، وكما أنه توجد أيضا في القوى العقلية قوة كائنة - وإن كانت غير ظاهرة في الصغر - تنمو وتزداد شيئا فشيئا ، كذلك المولود روحيا بالعماد تلزمه قوة لينمو روحيا ، وتلك القوة تمنح بسر الميرون . ولما كانت حياتنا الروحية تبدأ وتنمو في دائرة روحية لزم أن تأتينا هذه القوة المكتملة للحياة من روح علوى ، وبما أن هذه الحياة هي الهية لزم أن ينميها روح الله نفسه . فإنا بالعماد نتطهر ، وبالميرون نتقوى . بالعماد ننجو من الموت ، وبالميرون نحيا ونثبت في الحياة . بالمعمودية ننال الولادة الثانية ونقبل الروح القدس للتبرير ، وبالميرون ننال الروح الثرى يهبنا

الكمال • بالمعمودية ندخل في ملكوت المسيح ، وبالميرون نتجند ونلبس أسلحة الحرب • بالمعمودية نتدرج ضمن عضوية الكنيسة ، وبالتثبيت نكون جنودا للمسيح • المعمودية تجعلنا من رعايا المسيح وبالميرون ندخل في صفوف الجيش •

٣ - تأسيس هذا السر :

وقد أسس الرب يسوع هذا السر عندما قال : « ان عطش أحد فليقبل الى ويشرب • من آمن بي كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حي • قال هذا عن الروح اندي فان المؤمنون به مزعمين أن يقبلوه لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد » (يو ٧ : ٣٧ - ٣٩) فمن هذا النص الشريف يتضح أن الرب يسوع يشير الى موهبة كان مزعما أن يهبها للمؤمنين ، وهي عطية الروح القدس الضرورية لكل مؤمن ، وليس الى المواهب غير الاعتيادية التي تمنح أحيانا الى بعض من المؤمنين لمقاصد خاصة ، كفعل المعجزات والتكلم بالألسنة وغير ذلك • (راجع ١ كو ١٢ : ٧ و ٢٩)

وللروح القدس أعمال عظيمة في سر الفداء وفي حياة الكنيسة • فهو منذ البدء يبث روح الحياة في المادة (تك ١ : ٢) وهو الذي أعلن الحقائق الالهية والنبوات الى الأنبياء • وهو الذي قدس السيدة العذراء لحلول المسيح في أحشائها • وهو الذي كرس ناسوت المسيح وجعل جميع أعماله العلنية مخصصة لله الأب • وقد أسس المسيح الكنيسة وجمعها وباركها وفداها ، والروح القدس قدسها وأنسأ فيها قوته المحيية وثبتها ووحدها ولا يزال يحييها •

ولذلك وعد الرب يسوع تلاميذه بحلول الروح القدس قائلا : « وأنا أطالب من الأب فيعطيتكم معزيا آخر ليتمكم الى الأبد • روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه • وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكن معكم ويكون فيكم » (يو ١٤ : ١٦ و ١٧) « ان لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ولكن ان ذهبت أرسله اليكم • واما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق • الخ » (يو ١٦ : ٧ و ١٣) « وأوصاهم أن لا يبرحوا من اورشليم بل ينتظروا موعد الأب ••• لأن يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس » (أع ١ : ٤ و ٥) •

ولا ريب أن العنصرة كانت للرسل تثبيتا ، وفي ذلك اليوم قبلوا هذا السر المقدس بمعجزة من الروح القدس مباشرة ، إذ لم يكن في الكنيسة أحد قبلهم ليمنحهم اياه •

وأما الرسل فقد أعطوا أن يمنحوا هذا السر لغيرهم من المؤمنين ، لأن المخلص أقامهم خلفاء لانجيله ووكلاء لأسرار نعمه ، وما تم للرسل في يوم الخمسين يمنح لكل مؤمن لدى قبوله سر التثبيت •

ثالثا : أن الرسل الأطهار يشيرون في رسائلهم إلى هذا السر المقدس ويؤكدونه للمؤمنين بانهم أخذوا به وهبة الروح القدس ، وهذا صريح في قول القديس يوحنا الانجيلي « وأما أنتم فلنكم مسحة من القدس وتعلمون كل شيء . . . وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء . وهي حق وليست كذبا كما علمتكم تثبتون فيه » (١ يو ٣ : ٢٠ ، ٢٧) وإذا قابلت كلام يوحنا هذا مع وعد المسيح عن الروح القدس بقوله « وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الأب بأسمى فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم » (يو ١٤ : ٢٦) رأيت أن المسحة التي يشير إليها هي حلول الروح القدس للتثبيت . لا سيما وأن هذا هو اصطلاح الكتاب فقد سبق اشعيا النبي وسمى حلول الروح مسحة بقوله « روح الرب علي لأن الرب مسحني » (اش ٦١ : ١) وبولس الرسول يقول « ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وثنا مسحنا هو الله الذي الذي ختمنا أيضا وأعطى عربون الروح في قلوبنا ، (٢ كو ١ : ٢١ و ٢٢) وعند كلامه عن المعمودية يقول « لكن اغتسلتم ثم يردفها بقوله - بل تقدستم » (١ كو ٦ : ١١) ويقول أيضا « خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس » (تي ٣ : ٥ ، أف ٥ : ٢٦) وفي (عب ٦ : ٢) يشير إلى تعليم المعموديات ووضع الأيدي ، وفي ذلك دلالة ظاهرة على أن وضع الأيدي خلاف المعمودية .

ومما تقدم يتضح أن الرسل يشيرون إلى هذه المسحة ويسموننها تثبيتا ، وختما ، ووضع الأيدي ، ومسحة . وذلك بالنظر إلى فعل السر الداخلي ، ويثبت ذلك أيضا أقوال الآباء الرسولين مثل ديوناسيوس الأريوباغي تلميذ بولس الرسول في (كتاب رئاسة الكهنوت ٧ : ٤ - ٧) وكيرلس الأورشليمي في (مقالة عن الأسمار) ويوحنا ذهبي الفم في (تفسير ٢ كو فصل ٢) وأمبروسيوس في (الأسمار فصل ٥) .

وبما أن الرسل يذكرون المسحة ووضع اليد في مقام واحد ، فيستنتج من ذلك أما أنهم كانوا عندما يتممون هذا السر بوضع اليد يستعملون في الوقت نفسه العلامة الثانية الظاهرة ، أي المسحة التي لم يذكر عنها شيء في سفر أعمال الرسل . وأما أنهم كانوا يتممون السر بوضع الأيدي فقط ثم استبدلوا - بإرشاد الروح القدس - وضع الأيدي بعلامة المسحة ، آخذين مبدأها من تعليم الكتاب عن المسحة في العهد القديم .

رابعا : إن الآباء الرسولين الذين تسلموا التعليم من الرسل أنفسهم يشيرون في أقوالهم إلى هذا السر .

قال القديس ديوناسيوس الأريوباغي في كلامه عن سر الشركة : « لكن توجد تكلمة أخرى ، عادلة لهذه (أي الشركة) يسميها معلمونا الرسل « تكلمة الميرون » ثم أخذ في شرح تجهيز الميرون وكيف تتم المسحة على المعتمدين .

والمواهب التي تمنحها الى أن قال « ان مسحة التكميل بالميرون المقدس
لأن استحق سر الولادة الثانية يمنحها حلول الروح ذى العزة الالهية » (كتاب
رئاسة الكهنوت ٤ : ١ و ١١ ، ٢ : ٨) .

وقال العلامة ترتليانوس : « بعد خروجنا من حميم المعمودية مسحنا
بزيت مقدس تبعاً للتكملة القديمة ، كما كانوا قديماً يدهنون بزيت القرن
لنوال الكهنوت . . . ان المسحة تتم علينا جسدياً لكننا نستثمر منياً أتمازاً
روحية ، كما في المعمودية حيث نعتمد جسدياً بالماء ونستثمر أتمازاً روحية
اذ نتقى من خطايانا . وبعد ذلك توضع اليد التي مع البركة تستدعي الروح
القدس وتحدره » (في المعمودية فصل ٧ وفي رفض الهراطقة فصل ٣٧ وضد
مركيانوس ٣ : ٢٢) .

ويذكر القديس أكليمندس الاسكندري في كلامه عن تلاميذ باسيليوس
الهراطقي أن المعمودية في هذا المذهب القتالي أى الذى ينسب كل شيء الى
المقدرة ، « ليست معمودية حقيقية ولا ختما مضبوطاً » (في البديعيات ١١ : ٣) .

وقال القديس كبريانوس : « من اعتمد ينبغي أن يسمح أيضاً لكي يصير
بواسطة المسحة ممسوحاً لله ويأخذ نعمة المسيح » (رسالة ٧٠) وقال في
(رسالة ٧٢ عن الهراطقة) « لأنهم لا يستطيعون أن يتقدسوا تماماً ويصيروا
أبناء لله بدون إعادة ولادتهم بواسطة السرين » وقال أيضاً في (رسالة ٧٣)
« كما أن الرسولين بطرس ويوحنا بعد صلاة واحدة استحلوا الروح القدس
على سكان السامرة بوضع الأيادي ، هكذا في الكنيسة أيضاً من ذلك الحين
جميع المعمدين يناون الروح القدس ويختمون بختمه عند دعاء الكهنة ووضع
أياديهم » .

وقد ورد في أوامر الرسل « بعد هذا فليعمده الكاهن باسم الآب والابن
والروح القدس وليمسحه بالميرون » (كتاب ٧ : ٤٣) .

وقال القديس كيرلس الأورشليمي : « قد صرتم مسحاء اذ قبلتم الروح
القدس ، وكل شيء قد صار عليكم بحسب الرسم اذ أنكم رموم المسيح ،
فانه لما استحم في نهر الأردن وصعد منه انحدر الروح القدس عليه جوهرياً
واستراح المثل على مثيله ، ونحن أيضاً بعد أن صعدنا من جرن الينابيع
المقدسة منححت لنا المسحة رسمياً كما مسح بها المسيح أعنى الروح القدس . . .
لكن أنظر واحترس من أن تظن ذلك الميرون بسيطاً ، لأنه كما أن خبز الشكر
بعد استدعاء الروح ليس خبزاً بسيطاً ، بل هو جسد المسيح . هكذا هذا
الميرون المقدس لا يعد ميروناً بسيطاً ولا عمومياً بعد الدعاء ، بل هو هوبة
المسيح وحضور الروح القدس فاعلا فاعل الوهيته فتمسح به على جبهتك .
وسائر حواسك ، والمسيح هو الذى رسم . فان الجسم يدهن بالميرون الظاهر
ولكن النفس تقديس معاً بالروح القدس المحيى » (تعليم الأسرار ٣ : ٣) .

وقال القديس افرام السريانى : « ان سفينة نوح كانت تبشر بمجيء المزمع أن يسوس كنيسته في المياه ، وأن يرتد أعضاؤها الى الخزية باسم الثالوث الأقدس . وأما الحمامة فكانت ترمز الى الروح القدس المزمع أن يصنع مسحة هي سر الخلاص » (خطاب ١٩ ضد الفاحشين) .

وقال القديس كيرلس الاسكندري : « ان الميرون يشير حسنا الى مسحة الروح القدس » (على يوثيل ٢ : ٢٣) .

خامسا : وما يستحق الاعتبار أن هذا السر وكلنا باقى الأسرار السبعة المقدسة محترمة ومعتبرة هكذا عند جميع الكنائس الشرقية والغربية ، مع اختلاف هذه الكنائس في أمور عقائدية كثيرة . فهنا الاتفاق العام دليل على أن هذا التعليم لم يصل الى الكنائس الا عن سلبهم رسولى منذ بداية الكنيسة .

سادسا : أما شهادة التاريخ فنكتفى هنا بما ذكره المؤرخ البروتستانتى موسهيم حيث قال : « كان الأسقف أو القسوس تحت أمره يعملون مرتين في السنة أى في الفصح والأحد الجديد الذى بعد الفصح . فمن جهة الطالبين يظن أنهم كانوا يغطسون بالماء كليا مع الابتهاال للثالوث الأقدس حسب أمر المخلص ، بعد أن يكونوا قد تلوا ما يسمونه القانون ويرفضوا كل خطاياهم ومعاصيهم ولا سيما للشيطان وجنوده . وكان يرسم الصليب على المعمدين ويمسحون ويستودعون لله بالصلاة ووضع الأيادى » .
(كتاب ١ قرن ٢ قسم ٢ فصل ٤ عند ١٣)

سابعا : ان كنائس كثيرة من الكنائس الحديثة التى أتبعته تعاليم لوثى وكلفن قد قبلت هذا السر وتمارسه . قال القس جيمس انس الأمريكى فى كتابه (نظم التعليم فى علم اللاهوت القديم) عن سر التثبيت « ان الكنائس اللوثرية والاكليزية الأسقفية والمصلحة الجرمانية تقبله نظير عمل يضاف الى المعمودية الأبطال بعد تعليمهم التعليم المسيحى » (جزء أول صحيفة ١١٧) والكنيسة الأسقفية تتمه بوضع الأيادى للذين اعتمدوا وبلغوا سن التمييز ، وله عندها طقس خاص كما هو واضح فى كتابهم (الصلاة العامة) .

قال القس بنيامين شنيدر الانكليزى فى كتابه (ربحانة النفوس فى أصل الاعتقادات والطقوس ص ١٦١) عن المسحة « قد أبتدىء باستعمالها قديما فان ترتوليانوس الذى توفى سنة ٢٢٠ يشير اليها (فى المعمودية رأس ٧) واهذا يتضح أنها كانت موجودة فى آخر الجيل الثانى أو أول الجيل الثالث . . . الا أن وجودها فى ذلك العصر كمادة مقبولة من عامة الكنيسة يتضح من كيرلس (تعليم مسيحى لكيرلس) ومن الكتاب المدعو القوانين الرمولية (كتاب ٣ رأس ١٧ و كتاب ٧ رأس ٢٢) ومن ايرونيوموس (فى نبوة حزقيال ص ٩) الى أن قال : بعد ذلك لم يكتفوا بهذه التشابيه بل أخذوا يستعملون عبارات

تشعر أن الروح القدس كان يعطى مع الزيت حتى أننا نجد عبارات مثل هذه في كبريانوس (رسالة ٧٠ الى يانوارينوس) وأمبروسوس (في الداخلين ٧) وأغسطينوس (فصل ٦ في تفسير رسالة يوحنا) .

وقال العالم أدورد وليم الانكليزي في كتابه (القلائد الدرية في الحياة المسيحية) « ولعل مما يزيل الأشكال من أذهان بعض الناس ايراد الأسماء المختلفة للمعمودية بالروح القدس ، فعبر عنها أحيانا « بالحلول » وأحيانا « بالنزول » وأحيانا « بالقبول » وأحيانا « بالتحتم » وأحيانا « بالمسحة » أى مسحة الروح القدس ، فعبر عنها بالمسحة في (١ يو ٢ : ٢٧) كما عبر بطرس عن المعمودية ربنا « بمسح الله اياه بالروح القوس والقوة » (أع ١٠ : ٣٨) وعبر عنها ربنا نفسه « بالحلول » أى حلول الروح القدس (أع ١ : ٨) وبهذا عبر عن قبول الأفسسين للروح القدس (أع ١٩ : ٦) وأكد لا أدري الى أى حد يجب أن أتقدم في هذا البيان . لأن ما يحتاج اليه من الايضاح أقل مما نحتاج اليه من الأشواق الى الله نفسه . وما يساعد بعض الناس ملاحظة أن الكنائس المسيحية القديمة تشهد بأنها قبلت الروح القدس بقانون التثبيت ، ولكن هذا القانون قلما فهم ، وكثيرا ما احتقر وأعتزل مع أنه قانون الرسل (أنظر أع ٨ و ١٩) وما اهتمت به الكنائس القديمة كل الاهتمام وحسب القانون اللاتم الذى لا بد منه الى نهاية الأيام ، ومراجعة هذا القانون تدفع اعتراضات كثيرة قامت على تعليم المعمودية بالروح ، وهى المعمودية الواحدة بدليل قوله « أننا جميعنا بروح واحد أيضا أعتمدنا الى جسد واحد » (١ كو ١٢ : ١٣) وقوله « رب واحد وإيمان واحد معمودية واحدة » (أف ٤ : ٥) ويحل ذلك المشكل أيضا برجوعنا الى الأصحاح الثامن من الأعمال ، حيث ورد فيه ولكن لما صدقوا (أى أهل السامرة) فيلبس وهو يبشر بالأمور المختصة بملكوت الله وباسم يسوع المسيح اعتمدوا رجالا ونساء » (أع ٨ : ١٢) ولكن ماذا كان بعد المعمودية « ان الروح لم يكن قد حل بعد على أحد منهم » (أع ٨ : ١٦) فنرى أنه قد مر وقت بين اعتمادهم ودخولهم الكنيسة وبين قبولهم الروح القدس (أع ٨ : ١٤ و ١٥) فلننظر هنا حسنا أنه كما لا ينكر أن امتيازات المعمودية متوقفة على قانون التثبيت لا ينكر أن المعمودية الواحدة قبول الروح القدس » (صحيفة ١٠ - ١٢) .

تشعر أن الروح القدس كان يعطى مع الزيت حتى أننا نجد عبارات مثل هذه في كبريانوس (رسالة ٧٠ الى يانوارينوس) وأمبروسوس (في الداخلين ٧) وأغسطينوس (فصل ٦ في تفسير رسالة يوحنا) .

وقال العالم أدورد وليم الانكليزي في كتابه (القلائد الدرية في الحياة المسيحية) « ولعل مما يزيل الأشكال من أذهان بعض الناس ايراد الأسماء المختلفة للمعمودية بالروح القدس ، فعبر عنها أحيانا « بالحلول » وأحيانا « بالنزول » وأحيانا « بالقبول » وأحيانا « بالتحتم » وأحيانا « بالمسحة » أى مسحة الروح القدس ، فعبر عنها بالمسحة في (١ يو ٢ : ٢٧) كما عبر بطرس عن المعمودية ربنا « بمسح الله اياه بالروح القوس والقوة » (أع ١٠ : ٣٨) وعبر عنها ربنا نفسه « بالحلول » أى حلول الروح القدس (أع ١ : ٨) وبهذا عبر عن قبول الأفسسين للروح القدس (أع ١٩ : ٦) وأكد لا أدري الى أى حد يجب أن أتقدم في هذا البيان . لأن ما يحتاج اليه من الايضاح أقل مما نحتاج اليه من الأشواق الى الله نفسه . وما يساعد بعض الناس ملاحظة أن الكنائس المسيحية القديمة تشهد بأنها قبلت الروح القدس بقانون التثبيت ، ولكن هذا القانون قلما فهم ، وكثيرا ما احتقر وأعتزل مع انه قانون الرسل (أنظر أع ٨ و ١٩) وما اهتمت به الكنائس القديمة كل الاهتمام وحسب القانون اللاتم الذى لا بد منه الى نهاية الأيام ، ومراجعة هذا القانون تدفع اعتراضات كثيرة قامت على تعليم المعمودية بالروح ، وهى المعمودية الواحدة بدليل قوله « اننا جميعنا بروح واحد أيضا أعتمدنا الى جسد واحد » (١ كو ١٢ : ١٣) وقوله « رب واحد وإيمان واحد معمودية واحدة » (أف ٤ : ٥) ويحل ذلك المشكل أيضا برجوعنا الى الأصحاح الثامن من الأعمال ، حيث ورد فيه ولكن لما صدقوا (أى أهل السامرة) فيلبس وهو يبشر بالأمور المختصة بملكوت الله وباسم يسوع المسيح اعتمدوا رجالا ونساء » (أع ٨ : ١٢) ولكن ماذا كان بعد المعمودية « ان الروح لم يكن قد حل بعد على أحد منهم » (أع ٨ : ١٦) فنرى أنه قد مر وقت بين اعتمادهم ودخولهم الكنيسة وبين قبولهم الروح القدس (أع ٨ : ١٤ و ١٥) فلننظر هنا حسنا أنه كما لا ينكر أن امتيازات المعمودية متوقفة على قانون التثبيت لا ينكر أن المعمودية الواحدة قبول الروح القدس » (صحيفة ١٠ - ١٢) .

الفصل الثالث

منح هذا السر حالا بعد المعمودية وخطا الذين يؤخرونه

ان الكنيسة الأرثوذكسية تمنح سر الميرون بعد المعمودية حالا ، متبعة في ذلك تعليم الرب يسوع ورسله الأطهار ، وما استلمته منذ العصر الرسولي . ولكن الكنائس الغربية بدأت منذ الجيل الثالث عشر أن تؤخر منحه للأولاد المعتمدين حتى تجاوزهم سن الطفولة ، أى فى السنة السابعة أو الثانية عشرة . حتى يشتركوا فيه بعقل بالغ ومعرفة كافية ، ولكن الأدلة الآتية تثبت الحقيقة الأرثوذكسية فى منحه بعد المعمودية حالا :

أولا : ان السيد المسيح له المجد لما اعتمد صعد للوقت من الماء ، واذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه (مت . ٣ : ١٦) وهذا يدل على أن الروح القدس يحل بواسطة الميرون بعد المعمودية حالا .

ثانيا : ان الرسل الأطهار الذين سلمونا وديعة الايمان كانوا يتممون هذا السر المقدس بوضع الأيادى بعد المعمودية حالا ، كما نرى ذلك فيما عمله بولس الرسول مع تلاميذا أفسس اذ قال لهم « هل قبلتم الروح القدس ، لما آمنتم . قالوا له ولا سمعنا . أنه يوجد الروح القدس . فعمدهم باسم الرب يسوع ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم » (أع ١٩ : ١ - ٦) وكما نشاهد ذلك أيضا من أنه حين سمع الرسل الذين فى اورشليم ان أهل السامرة قد قبلوا كلمة الله واعتمدوا على يد فيلبس الذى لا حق له فى وضع الأيادى ، أرسلوا اليهم بطرس ويوحنا اللذين لما نزلا صليا لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس ، لأنه لم يكن قد حل بعد على أحد منهم ، غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع . حينئذ وضع الأيادى عليهم فقبلوا الروح القدس (أع ٨ : ١٤ - ١٧) فمن ذلك يتضح أن الرسل كانوا يتممون هذا السر بعد المعمودية حالا .

ثالثا : ان آباء الكنيسة فى الأجيال الأولى كانوا يتمونه حسب التعليم الرسولى بعد المعمودية حالا ، وذلك بشهادة العلامة تروتوليانوس الذى عاش فى الجيل الثانى فقد قال : « بعد خروجنا من حميم المعمودية مسحنا بزيت مقدس تبعا للتكملة القديمة ، كما كانوا قديما يدهنون بزيت القرن لنوال

الفصل الرابع

الميرون واستخدامه وتاريخه

الميرون كلمة يونانية معناها « طيب » وتطلق في الاصطلاح الكنسى على المزيج السائل المركب من نحو ٣٠ صنفاً من أصناف الطيوب والعطور كالمر والعود والسليخة وقصب الذريرة وعود اللبان (راجع مز ٤٥ : ٨ ، خر ٣٠ : ٢٢ - ٣٣) وقد روى آباء الكنيسة أن الرسل الأطهار أخذوا الحنوط التي كانت على جسد الرب يسوع ، مع الحنوط والأطياب التي ابتاعتها النسوة (لو ٢٣ : ٥٦ ، ٢٤ : ١) وأضافوا اليها من زيت الزيتون وغيره وقدسوها بكلمة الله والصلاة وجعلوها ميرونا لسر المسحة ووزعوه على الكنائس وكانوا يمسحون به المعتمدين . وأمروا أن يكون مادة محسوسة وعلامة ظاهرة في سر التشبث ، وما زال الرسل وخلفاؤهم من بعدهم يستعملونه . وقد جاء في أوامر الرسل (ك ٧ ف ٣٢) ما يدل على ذلك « أيها الأسقف أو القس يجب أن تمسح بزيت ثم تعمد بماء وأخيراً تختتم بالميرون » وقولهم « بعد ذلك فليعمده الكاهن وليمسحه بالميرون » (ف ١٤٣) وقال القديس ديوناسيوس الأريوباغي تلميذ بولس الرسول « توجد تكملة أخرى معادلة لهذه (أى للشركة) يسميها معلمونا الرسل تكملة الميرون » وغير ذلك من أقوال الآباء التي أوردنا بعضها في صحيفة ٤٦ - ٤٨ مما يدل على أن هذا الاستعمال مأخوذ من الرسل .

أما الذى حدا بالرسل الى استعمال الميرون على هذا النحو فهو

أولاً : لأن لكل سر علامة ظاهرة ومادة منظورة ، فالمسح إشارة الى المسحة الروحية ، وكما أن المعمودية لها علامة ظاهرة وهى الماء مشابهاً لفعالها فى الجسد تمام المشابهة لفعالها فى النفس ، هكذا المسحة علامة منظورة مشابهاً لفظاً ومعنى للمسحة الداخلية التى من القدوس .

ثانياً : ان اسم المسيح مشتق من كلمة مسح حيث كان رؤساء الكهنة والملوك يمسحون بالزيت قبل نوالهم رتبتهن الكهنوتية أو الملوكية (راجع خر ٢٨ : ٤١ ، لا ٦ : ٢٢ ، ١ صم ١٠ : ١ ، ١٢ : ١٣) .

ثالثاً : ان كلمة مسحة وردت فى أقوال الرسل ، فقد قال يوحنا الرسول « لكم مسحة من القدوس . . . وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة

فيكم الخ » (١ يور ٢ : ٢٠ و ٢٧) وقال بولس الرسول « الذي يثبتنا معكم في المسيح قد مسحنا الخ » (٢ كو ١ : ٢١ و ٢٢) راجع أيضا (اش ٦١ : ١) .

رابعاً : يظهر مما تقدم أن الرسل الأظهارة هم الذين استعملوا المسحة في سر التثبيت مع وضع اليد الذي كان خاصاً بهم (أع ٨ : ١٤ - ١٧ ، ١٩ : ٦) وخولوا الكهنة حق مسح المعتمدين ، ولذلك قال القديس كيرلس الأورشليمي « من الضروري أن تعلموا أن رسم هذه المسحة هو في العهد القديم لأن موسى لما جاء بأمر الله إلى أخيه وجعله رئيس كهنة وبعد أن غسله بالماء مسحه ، وكان يدعى مسيحا من المسحة الرمزية . وهكذا رئيس الكهنة لما أقام سليمان ملكا مسحه بعد غسله في جيحون غير أن هذه الأمور جرت على أولئك رمزيا ، ولكنها عليكم ليست رمزية ، بل هي حقيقية لأنكم مسحتم حقيقة من الروح القدس » (في الأسرار ٣ : ٦) .

خامساً : إن استعمال المسحة حسب أمرا جوهريا لازما للمعتمدين بدليل ما ورد في أقوال آباء المجامع المسكونية دون أن يذكروا شيئا عن وضع اليد ، وهذا يدل على أن سر المسحة كان قائما في الكنيسة القديمة بمسح الميرون لا بوضع الأيادي ، وقد أضافت بعض كنائس الغرب وضع الأيادي في تسميته ، فإن القديس كبريانوس يذكر المسحة ويذكر وضع الأيادي ويصرح بأنه من الضروري أن ينال المسحة كل واحد من المستنيرين حديثا . والبابا اينوشنسيوس الثالث يقول « إن وضع الأيادي يشار إليه بمسح الجبهة وهو من وجه آخر يدعى مسحة » . والبابا أفجانيوس الثالث يقول « عوضا عن وضع اليد تمنح المسحة في الكنيسة » .

قال المطران جراسيموس مسرة صاحب كتاب الأنوار في الأسرار : « ما دام من المؤكد والثابت أن الرسل القديسين سلموا الكنيسة سر المسحة بالمسح بالميرون فلا يكون محل للنقول بأن الرسل أبدلوا وضع الأيدي بالمسحة » . لأن البحث إنما هو في الكيفية التي بها تسلمت الكنيسة الأسرار المقدسة من الرسل لا أكثر . ولا أظن أن الرسل تسلموا وضع اليد ثم أبدلوه بغيره وأبطلوه مع أن وضع اليد لم يزل في الكنيسة إلى الآن ، لكنهم كانوا يستعملون وضع اليد لغاية أعلى من الغاية المقصودة من سر المسحة أعني أنهم كانوا يضعون أيديهم على المؤمنين الحقيقيين لا للتثبيت وحده فقط بل ليمنحهم مع التثبيت مواهب خصوصية أيضا كموهبة التعليم والنبوة والكهنوت الخ . وأما التثبيت العمومي فكان محصورا بالمسحة كما تفعل الكنيسة الأرثوذكسية . . . وهذا يمكن اثباته بأن هذا السر (يقصد طقس الميرون) سمي مسحة وسر المسحة ورمزا ورسمًا وتثبيتًا وختمًا . ومعلوم أن لفظ المسحة والختم لا يدل على وضع اليد بل على الدهن والطبع بالميرون . وقد قال بعض اللاهوتيين إن وضع اليد التي كان الرسل يمنحون به للمؤمنين

• واهب الروح القدس لم يكن منفصلا عن المنسج في تميم سر المسحة ، بل كان ولم يزل متحدا معه لأن راعي الكنيسة حين يتم السر داهنا بيده جبهة المعتمد وسائر أعضاء جسده يرفع يمينه عليه ليدهنه ، فبرفعه يمينه يكون قد وضع يده عليه وتم وضع اليد ، (صحيفة ٣٩) •

تاريخ الميرون :

قلنا في الفصل السابق أن عمل الميرون بدأ من أيام الرسل ، وقد روى مؤرخو الكنيسة القبطية بأن الميرون الذي أتى به مار مرقس الانجيلي بقي حتى زمن انقديس اثناسيوس الرسولي العشرين في عدد باباوات الاسكندرية ، في أوائل القرن الرابع الى أن نفذ أكثره ولم يبق منه شيء في كنائس رومية وانطاكية والقسطنطينية ولما علم رؤساء تلك الكنائس بوجود بقية منه في كنيسة الاسكندرية بعثوا برسائل الى القديس اثناسيوس يطلبون منه امدادهم بجزء منه ، فأخبرهم بأن ما عنده لا يكفيهم وإياهم وأشار عليهم بعمله من الطيوب التي أمر بها موسى مضافا اليه ما عنده من الذخيرة الباقية من الميرون الأصلي • فاستحسنوا هذه الفكرة وأرسلوا اليه يشكرونه وسألوه الاسراع في هذا العمل • فاعتمد على الله وبانشر عمله وتقديسه بحضور لقيف الاساقفة ورؤساء الجامع ، وبعد تقديسه أضاف اليه ما عنده ووزعه على الكنائس وبعث اليهم بطريقة العمل لتكون مثالا يسرون عليه في عمل الميرون ، فاستقبلوه بفرح وابتهاج بالتراتيل الكنسية • أما كيفية عمله فواضحة في الكتاب الخاص الذي لا يزال موجودا بالكنيسة •

الفصل الخامس

نتائج السر وعدم اعادته وحق اتمامه

١ - نتائج سر المسحة :

ان نتائج سر المسحة غير المنظورة هي قبول الروح القدس ومواهبه التي أشار اليها اشعيا النبي بقوله : « ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب » (اش ١١ : ٢) .

وعليه فهذا السر :

أولا : يمنحنا انارة العقل والمعرفة . وقد أشار يوحنا الرسول الى ذلك بقوله : « أما أنتم فلنكم مسحة من القديس وتعلمون كل شيء . . . وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم الى أن يعلمكم أحد . بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهي حق وليست كذبا . كما علمتكم تثبتون فيه » (١ يو ٢ : ٢٠ و ٢٧) وقال القديس كيرلس الأورشليمي : « هذه المسحة احفظوها طاهرة لأنها تعلم كل شيء اذا لبنت فيكم كما سمعتم أقوال يوحنا المغبوط الذي قال أقوالا حكيمة كثيرة في هذه المسحة لأن الروح القدس حرز للجسد وخلص للنفس » (في الأسرار عظة ٣ : ٧) .

ثانيا : يمنحنا تقوية الارادة في العبادة وفي مخافة الرب حسب قول بولس الرسول : « ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله الذي ختمنا أيضا وأعطى عربون الروح في قلوبنا » (٢ كو ١ : ٢١ و ٢٢) وعن ذلك قال القديس كيرلس الأورشليمي : « بعد ذلك يمسحكم على صدوركم لكي تلبسوا درع العدل وتثبتوا لدى حيل الشيطان . وكما أن المسيح بعد المعمودية وحلول الروح القدس خرج وحارب المعاند ، هكذا أنتم بعد المعمودية المقدسة والمسحة السرية تثبتون لدى القوة المضادة لابسين سلاح الروح القدس الكامل وتحاربونها قائلين : اني أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني » (في الأسرار ٣ : ٤) .

٢ - علم اعادة السر :

وبما أن هذا السر يطبع فينا ختم موهبة الروح القدس كما قال بولس الرسول (٢ كو ١ : ٢٢) فقد اعتبر منذ القديم مثل المعمودية لا يتم ثلاثا إلا مرة واحدة .

الفصل الخامس

نتائج السر وعدم اعادته وحق اتمامه

١ - نتائج سر المسحة :

ان نتائج سر المسحة غير المنظورة هي قبول الروح القدس ومواهبه التي أشار اليها اشعيا النبي بقوله : « ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب » (اش ١١ : ٢) .

وعليه فهذا السر :

أولا : يمنحنا انارة العقل والمعرفة . وقد أشار يوحنا الرسول الى ذلك بقوله : « أما أنتم فلنكم مسحة من القديس وتعلمون كل شيء . . . وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم الى أن يعلمكم أحد . بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهي حق وليست كذبا . كما علمتكم تثبتون فيه » (١ يو ٢ : ٢٠ و ٢٧) وقال القديس كيرلس الأورشليمي : « هذه المسحة احفظوها طاهرة لأنها تعلم كل شيء اذا لبنت فيكم كما سمعتم أقوال يوحنا المغبوط الذي قال أقوالا حكيمة كثيرة في هذه المسحة لأن الروح القدس حرز للجسد وخلص للنفس » (في الأسرار عظة ٣ : ٧) .

ثانيا : يمنحنا تقوية الارادة في العبادة وفي مخافة الرب حسب قول بولس الرسول : « ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله الذي ختمنا أيضا وأعطى عربون الروح في قلوبنا » (٢ كو ١ : ٢١ و ٢٢) وعن ذلك قال القديس كيرلس الأورشليمي : « بعد ذلك يمسحكم على صدوركم لكي تلبسوا درع العدل وتثبتوا لدى حيل الشيطان . وكما أن المسيح بعد المعمودية وحلول الروح القدس خرج وحارب المعاند ، هكذا أنتم بعد المعمودية المقدسة والمسحة السرية تثبتون لدى القوة المضادة لابسين سلاح الروح القدس الكامل وتحاربونها قائلين : اني أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني » (في الأسرار ٣ : ٤) .

٢ - علم اعادة السر :

وبما أن هذا السر يطبع فينا ختم موهبة الروح القدس كما قال بولس الرسول (٢ كو ١ : ٢٢) فقد اعتبر منذ القديم مثل المعمودية لا يتم ثلاثا إلا مرة واحدة .

٣ - حق اتمام السر :

ان الكنيسة الأرثوذكسية تعلم أن تكريس سر الميرون هو من حق الأساقفة فقط ، أما اتمامه فلا يختص بالأساقفة وحدهم بل بالقسوس أيضا .
فقد ورد في أوامر الرسل « أيها الأسقف أو القس قد رتبنا سابقا والآن نقول . . . ينبغي أن تدهن أولا بزيت ثم تعمد بماء وأخيرا تختتم بالميرون » .
والقديس أمبروسيوس يؤكد أن مسحة الميرون تتم من القس ، وأنه عندما يصلح يحمل الروح القدس وقال « فمتدما تتقدم بعد هذا (أى بعد المعمودية) الى الكاهن ، تأمل ماذا يتم . أليس ما قتاله داود : مثل الدهن على الرأس .
النازل على اللحية لحية هرون ، هذا هو الميرون الخ » (فى الأسرار فصل ٧)
وقال القديس يوحنا ذهبى الفم : « لأنهم (أى الأساقفة) يعلون على القسوس بالشرطونية وحدها فقط ، وبها وحدها يظهر أنهم يسمون عليهم »
(مقالة ١٠ : ١ على ١ تي) وقال القديس أيارونيموس : « ما الذى يصنعه الأسقف ولا يصنعه ألقس غير الشرطونية » (رسالة ١٤٥ : ١) .

أما استناد الذين يقولون أن حق المسحة للأساقفة وحدهم بناء على ما جاء فى (أع ٨ : ١٤ - ١٦) من جهة ارسال بطرس ويوحنا الى أهل السامرة لوضع أيديهما عليهم لخلول الروح القدس ، فهذا لأن فيلبس الذى عمدهم كان شماسا ولم يكن قسا ، ولذلك قال يوحنا ذهبى الفم : « لماذا لم يكن هؤلاء السامريون قد نالوا الروح القدس بعد التعميد ؟ اما لأن فيلبس لم يمنحهم اياه اعتبارا للرسل على رأى بعضهم . وأما لأنه لم تكن له هذه السلطة بما أنه كان واحدا من الشمامسة السبعة وهذا هو الأرجح » .
(مقالة ١٨ : ٣ على سفر الأعمال)

٣ - سر الشكر أو الافخارستيا

الفصل الأول

١ - تعريف السر وسموه على باقى الأسرار :

سر الشكر هو سر مقدس به يأكل المؤمن جسد المسيح الأقدس ، ويشرب دمه الزكى تحت أعراض الخبز والخمر . ولهذا السر المقام الأسمى بين الأسرار السبعة المقدسة :

أولا : لغزارة نعمه وسموه عن الإدراك ، لأن النعمة بواسطة باقى الأسرار تفعل بحالة غير منظورة تحت مادة منظورة ، وتلبث تلك المادة غير متغيرة ولا مستحيلة . أما فى السر الأقدس فيستحيل جوهر المادة لأن الخبز والخمر مع حفظهما شكليةما وأعراضهما يستحيلان بوجه سرى عجيب الى جسد المسيح ودمه .

ثانيا : لفرط محبة ربنا يسوع المسيح التى أظهرها فى هذا السر ، وسمو المواهب التى يهبها لنا بتناوله ، فان المخلص له المجد يمنح المؤمنين بواسطة باقى الأسرار بعضا من مواهبه الخلاصية بحسب طبيعة كل سر منها ، ولكنه فى سر الشكر يقدم لنا ذاته غذاء مقدسا وتناوله نتحد به اتحادا تاما ونثبت فيه الى الأبد .

ثالثا : لأن كل سر من الأسرار يفعل فى الشخص الذى يقبله ، ولكن سر الشكر فضلا عن كونه أكثر سموا عن الإدراك وأكثر خلاصا بين الأسرار ، فهو أيضا ذبيحة تقدم لله كفارة عن الجميع أحياء وأمواتا .

٢ - أسماء السر :

وقد سمي هذا السر منذ القديم بأسماء متعددة فدعى « سر الشكر » و « العشاء الربانى » و « العشاء السرى » و « العشاء الإلهى » و « مائدة الرب » و « مائدة المسيح » و « المائدة المقدسة » و « المادة السرية » و « سر المذبح » و « خبز الرب » و « خبز الله » و « الخبز السماوى » و « الخبز الجوهري » و « جسد المسيح » و « الجسد الربانى والخلاصى والمقدس » و « دم

المسيح « و « الدم الكريم » وسمى أيضا « شركة » و « اتحادا » و « كأس
الحياة الخلاصية » و « الأسرار المقدسة » و « الأسرار الالهية » و « الأسرار
المخوفة السموية » و « الذبيحة المقدسة السرية » ، وهكذا من الأسماء
الرهيبه .

٣ - الوعد بهذا السر المقدس :

قد شاء مخلصنا له المجد أن يهيىء الناس لقبول هذا السر السامى قبل
تأسيسه بزمن ، فوعدهم به وأوضح لهم طبيعته وضرورته وقوته . وقد أنبأنا
بذلك القديس يوحنا الانجيلى فى الأصحاح السادس بعد ما صنع الرب معجزة
اشباع الخمسة آلاف رجل من خمسة أرغفة وسمكتين . فلما رأى الناس الآية
التي صنعها يسوع قالوا ابن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى الى العالم .
وأما يسوع فاذا علم أنهم مزعمون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا أنصرف
أيضا الى الجبل وحده . ولما تبعه الناس وأتوا اليه أراد أن يجذب أفكارهم
فوعدهم بتأسيس هذا السر المقدس ، وأخذ ينقل أفكارهم من القوت الجسدى
الى القوت الروحى غير الفاسد ، فقال لهم : « أنتم تطلبوننى ليس لأنكم رأيتم
آيات بل لأنكم أكلتكم من الخبز فنسبعتم . اعملوا لا للطعام البائس بل للطعام
الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الانسان ، الآن هذا الله الآب قد
ختمه » ولما قالوا له « آباؤنا أكلوا المن فى البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم
خبزا من السماء ليأكلوا » قال لهم يسوع « الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم
الخبز من السماء بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء . لأن خبز الله هو
النازل من السماء الواهب حياة للعالم . فقالوا له يا سيد أعطنا فى كل حين
هذا الخبز . فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة . من يقبل الى فلا يجوع
ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا » ولما تدهروا من كلامه قال لهم « آباؤكم أكلوا
المن فى البرية وماتوا . هذا هو الخبز النازل من السماء ، لكى يأكل منه
الانسان ولا يموت . أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء ، ان أكل أحد
من هذا الخبز يحيا الى الأبد ، والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله
من أجل حياة العالم » . ولما خاصم اليهود بعضهم بعضا قائلين كيف يقدر
هذا أن يعطينا جسده لناكل عاد فأكد لهم كلامه قائلا : « الحق أقول لكم ان
لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم ، من يأكل
جسدى ويشرب دمنى فله حياة أبدية وأنا أقيم فى اليوم الأخير ، لأن جسدى
مأكل حق ودمنى مشرب حق . من يأكل جسدى ويشرب دمنى يشبه فى وأنا
فيه . كما أرسلنى الآب الحى وأنا حى بالأب فمن يأكلنى فهو يحيا بى .
هذا هو الخبز الذى نزل من السماء ، ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا .
من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا الى الأبد » حتى أن كثيرين من تلاميذه قالوا ان
هذا الكلام صعب ، من يقدر أن يسمعه . فقال لهم يسوع « أهذا يعثركم
فإن رأيتم ابن الانسان صاعدا الى حيث كان أولا ، ومن هذا الوقت رجع

الفصل الثاني

١ - ايمان الكنيسة الارثوذكسية في هذا السر :

اننا نؤمن أنه بعد تقديس سر الشكر واستدعاء حلول الروح القدس على القرايين يستحيل الخبز والخمر استحالة سرية الى جسد المسيح ودمه الأقدسين . حتى أن الخبز والخمر اللذين ننظرهما على المائدة ليسا خبزا وخمرا بسيطين بل هما جسد الرب ذاته ودمه تحت شكل الخبز والخمر . ونؤمن أن ربنا يسوع المسيح حاضر في هذه الخدمة لا بوجه الرمز أو الإشارة أو الرسم أو الصورة أو المجاز . ولا بأنه مستتر في الخبز بل هو حاضر حضورا فعليا . وهذا الايمان هو ايمان الكنيسة كلها شرقا وغربا منذ ابتدائها . لأن الرسل الأطهار تسلموا هذا الايمان وتسلموه لجميع المؤمنين في كل المسكونة . وظل هذا السر يمارس في جميع الكنائس على هذا الايمان الى الآن وإلى الأبد .

٢ - الذين أنكروا حقيقة هذا السر :

وحتى القرن الثامن لم يتم من يقاوم حقيقة هذا السر الأقدس ، مع أنه قام كثيرون من الهرطقة وقاوموا أكثر التعاليم اللاهوتية . ولكن في القرن التاسع قام يوحنا أريجانا الأيرلندي وأبتدع بدعة بأن هذا السر لا يحوى جسد المسيح ودمه حقيقة ، زاعما أن الافخارستيا ليست الا صورة يسوع المسيح . وفي هذه الهرطقة عينها وقع برنغاريوس رئيس مدرسة تورس بفرنسا في القرن الحادي عشر أخذنا هذا التعليم من كتاب أريجانا المذكور . وفي القرن الثاني عشر كان البطروب روسيون (تلاميذ بطرس دي بريز بفرنسا) وأتباع هنريكوس الايطالي يعلمون هذه الضلالة أيضا قائلين ان سر الشكر ليس الا إشارة محضة الى جسد المسيح ودمه . وفي هذا الضلال وقع أيضا الهرطقة المعروفون باسم الالبيجنسيين في القرن الثالث عشر . ثم نشر هذه المزاعم أخيرا يوحنا ويكلف الانجليزى وزوينكل وكلفن وتلاميذهم الذين ينكرون حضور الرب يسوع في هذا السر ، ويعلمون أن الخبز والخمر يلبثان بعد التقديس خبزا بسيطا وخمرا بسيطة ، وليس هما سوى إشارة وصورة ورمزا ومثالا ومجازا لجسد المسيح ودمه .

أما أتباع لوثيروس فانهم يخالفون تلك الآراء ويعتقدون بحقيقة حضور الرب يسوع المسيح في سر الشكر ، غير أنهم يزعمون أن حضوره انما هو بواسطة دخوله في الخبز والخمر اللذين يلبثان غير متغيرين ولا مستحيلين . وفي ذلك قال لوثيروس : « أو جسد المسيح هو في الخبز مع الخبز تحت الخبز ، ولكن الكنيسة الأرثوذكسية تذكر وترفض كل هذه الآراء والمزاعم من أسسها .

الفصل الثالث

اثبات صحة الحفيفة الأرتوذكسية في هذا السر

ان الكنيسة الأرتوذكسية قبلت هذا السر وما زالت تقبله مفسرة كلام المسيح على حقيقته تفسير حرفيا . ومن الأدلة الآتية يتضح لك صحة هذا الايمان وخطأ الذين يزعمون بأن هذا الكلام رمز أو مجاز :

أولا : ان كلام المسيح له المجد في هذا السر يتضمن ثلاث قضايا أساسية ايجابية وهي : الشهادة ، والميثاق ، والأمر . فالشهادة الصحيحة في سائر الأحكام الشرعية محكوم بها على حسب نطقها الصريح . ولا يدخلها المجاز ولا تقبل التأويل . وبمقتضاها يتبرر الانسان أو يحكم عليه . وإذا دخلها شيء من المجاز أو التأويل أو لم تكن متوفرة الشروط المعتبرة فإنها ترفض ولا يحكم بموجبها . وكما قال القديس يوحنا الرسول : « ان كنا نقبل شهادة الناس فشهادة الله أعظم » (١ يو ٥ : ٩) فالسيد المسيح شهد لجسده بأنه مآكل حق ولدمه بأنه مشرب حق . ونظير هذه الشهادة شهد لأبيه قائلا « كلامك هو حق » وشهد الآب لابنه قائلا « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » فمن ذا الذي يتجاسر وينكر شهادة المسيح . فإذا كانت شهادة المسيح لجسده مجازية تكون شهادة الآب لابنه مجازية أيضا ، وهذا كفر لا يقول به أحد من المسيحيين .

أما الميثاق فهو عبارة عن عقد معاهدة بين اثنين فصاعدا . وحكمه كحكم الشهادة بالتمام . لأن الموائيق يحكم بمقتضاها في سائر الأحوال الشرعية على حسب شروط المتعاقدين ويستحيل ادخال أقوال في شروطها من قبيل المجاز أو أي قول يقبل التأويل . والشرط الذي يوجد فيه شيء من ذلك يرفض ولا يصح أن يكون ميثاقا ، لأن ذلك يوجب وقوع الأشكال والتنازع بين المتعاقدين ، وفي هذه الحالة يؤول كل من المتعاقدين الكلام بحسب غرضه فيتعذر صحة الحكم . وان لم تكن الموائيق متوفرة الشروط المعتبرة فإنها لا تعتبر وتكون ملغاة لا عمل لها . وبحسب هذه القاعدة نرى المخلص له المجد في كلمات العهد الجديد قرر ميثاقا أبديا عاقدنا به بقوله « من لم يأكل جسدي ويشرب دمي فليس له حياة أبدية » ونظير ذلك قرر أن « من لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يعاين ملكوت الله » « ومن لم يؤمن يدن » فإذا كان ميثاق السيد المسيح عن جسده مجازا تكون كل عهوده وموائيقه مجازية لا حقيقة فيها . وهذا ضلال كبير .

أما الأمر فشرطه أن يكون صريحا ، خاليا من كل ابهام ، غير قابل للتأويل والمجاز ، لأنه لو قبل ذلك لتوقف عمله ، والأوامر الإلهية منزهة عن التأويلات . فالسيد المسيح له المجد أمر تلاميذه قائلا : « ابتدوا هذا هو جسدى وهذا هو دمي » فمن يقدر أن يغير كلامه أو يدخل فيه نوعا من المجاز ويقول انه شبه جسده أو رسم جسده أو رمز إلى جسده . وإذا كانت الأوامر الملكية تقبل كنعصها الظاهر ولا يدخلها التأويل والمجاز فكيف يجوز للانسان أن يؤول أوامر الله ويحولها من الحقيقة إلى المجاز . فلو صح ذلك لأصبحت كل أوامره قابلة للتأويل ، وبالتالي أمكننا أن نفسر كل شيء حسب غرضنا ، وليس من يقول بذلك .

ولنرجع الآن إلى تلك الأوقات والظروف التي فيها وعد السيد بهذا السر ، وظروف تأسيسه ، لنرى هل كان كلام السيد مجازا أم حقيقة :

أولا : ان اليهود أنفسهم الذين خاطبهم السيد بتلك الأقوال قد فهموها فهما حرفيا لا رمزيا ولا مجازيا . لأنهم عندما سمعوه يقول : « أنا هو الخبز إلى الذي نزل من السماء . ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد . والخبز الذي أنا أعطى هو جسدى الذي أبتذله من أجل حياة العالم » (يو ٦ : ٥١) ابتدأوا يتخاصمون ويتساءلون فيما بينهم لعدم إمكانهم فهمه . وقالوا - كما يقول المعترضون اليوم - كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لناكله . فلو لم يفهموا كلام السيد فهما حرفيا لما كان محل لهذا الاعتراض ، ولا وجد داع لهذا الخصام .

ثانيا : ان الرب يسوع كان من عادته متى تكلم عن أمر ورأى أن اليهود قد فهموه على غير المقصود ، يبادر له المجد ويوضح لهم المعنى الحقيقي ويرفع من أمامهم كل ابهام (راجع يو ٢ : ٣ - ٥ ، ٤ : ٣٢ ، ٨ : ٢١ - ٤٠ ، ١١ : ١٦ ، ١٨ ، مت ١٦ : ٦ ، ١٩ : ٣٤) فلو رأى الرب أن اليهود أخطأوا في فهم كلامه وقصده لأوضح لهم ذلك وأبان لهم أنه يتكلم مجازيا ورمزيا . ولكننا نرى الأمر بالعكس فإنه أخذ يردف كلامه بالأقوال المتكررة المشددة ، ويزيد الكلام قوة وأيضا للمعنى الحرفي قائلا : « الحق الحق أقول لكم ان لم تأكلوا جسدي وتشربوا دمي فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير . لأن جسدي مأكلا حق ودمي مشرب حق » (يو ٦ : ٥٣ - ٥٥) فنلاحظ هنا :

١ - انه بدأ كلامه بقوله « الحق الحق » التي كان معتادا أن يبدأ بها عندما يقصد ايضاح حقيقة من الحقائق وزيادة تأكيدها .

٢ - انه يفرض الشركة في جسده وفي دمه أمرا ضروريا للحصول على الحياة الأبدية بقوله « ان لم تأكلوا . . . فليس لكم حياة فيكم . . . من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية » .

أما الأمر فشرطه أن يكون صريحا ، خاليا من كل ابهام ، غير قابل للتأويل والمجاز ، لأنه لو قبل ذلك لتوقف عمله ، والأوامر الإلهية منزهة عن التأويلات . فالسيد المسيح له المجد أمر تلاميذه قائلا : « ابتدوا هذا هو جسدى وهذا هو دمي » فمن يقدر أن يغير كلامه أو يدخل فيه نوعا من المجاز ويقول انه شبه جسده أو رسم جسده أو رمز إلى جسده . وإذا كانت الأوامر الملكية تقبل كنعصها الظاهر ولا يدخلها التأويل والمجاز فكيف يجوز للانسان أن يؤول أوامر الله ويحولها من الحقيقة الى المجاز . فلو صح ذلك لأصبحت كل أوامره قابلة للتأويل ، وبالتالي أمكننا أن نفسر كل شيء حسب غرضنا ، وليس من يقول بذلك .

ولنرجع الآن إلى تلك الأوقات والظروف التي فيها وعد السيد بهذا السر ، وظروف تأسيسه ، لنرى هل كان كلام السيد مجازا أم حقيقة :

أولا : ان اليهود أنفسهم الذين خاطبهم السيد بتلك الأقوال قد فهموها فهما حرفيا لا رمزيا ولا مجازيا . لأنهم عندما سمعوه يقول : « أنا هو الخبز إلى الذي نزل من السماء . ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد . والخبز الذي أنا أعطى هو جسدى الذي أبتذله من أجل حياة العالم » (يو ٦ : ٥١) ابتدأوا يتخاصمون ويتساءلون فيما بينهم لعدم إمكانهم فهمه . وقالوا - كما يقول المعترضون اليوم - كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لناكله . فلو لم يفهموا كلام السيد فهما حرفيا لما كان محل لهذا الاعتراض ، ولا وجد داع لهذا الخصام .

ثانيا : ان الرب يسوع كان من عادته متى تكلم عن أمر ورأى أن اليهود قد فهموه على غير المقصود ، يبادر له المجد ويوضح لهم المعنى الحقيقي ويرفع من أمامهم كل ابهام (راجع يو ٢ : ٣ - ٥ ، ٤ : ٣٢ ، ٨ : ٢١ - ٤٠ ، ١١ : ١٦ ، ١٨ ، مت ١٦ : ٦ ، ١٩ : ٣٤) فلو رأى الرب أن اليهود أخطأوا في فهم كلامه وقصده لأوضح لهم ذلك وأبان لهم أنه يتكلم مجازيا ورمزيا . ولكننا نرى الأمر بالعكس فانه أخذ يردف كلامه بالأقوال المتكررة المشددة ، ويزيد الكلام قوة وايضا للنمى الحرفي قائلا : « الحق الحق أقول لكم ان لم تأكلوا جسدي وتشربوا دمي فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير . لأن جسدي مأكلا حق ودمي مشرب حق » (يو ٦ : ٥٣ - ٥٥) فنلاحظ هنا :

١ - انه بدأ كلامه بقوله « الحق الحق » التي كان معتادا أن يبدأ بها عندما يقصد ايضاح حقيقة من الحقائق وزيادة تأكيدها .

٢ - انه يفرض الشركة في جسده وفي دمه أمرا ضروريا للحصول على الحياة الأبدية بقوله « ان لم تأكلوا . . . فليس لكم حياة فيكم . . . من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية » .

٣ - ان كلمة « حق » في قوله « جسدى مآكل حق ودمى مشرب حق » تشهد بأن « موضوع التأكيد في كلامه غير قابل للتغيير الى معنى آخر غير معنى الجسد » .

ثالثا : ان تلاميذ المسيح قد فهموا هذا المعنى الحرفى ولذا ضاق فكرهم ولم يستطيعوا فهمه . فطلق كثيرون منهم يتذمرون قائلين : « ان هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه » (يو ٦ : ٦٠) ولذلك أخذ المسيح يقنعهم بإمكان شركتهم في جسده ودمه مؤيدا كلامه بآية أخرى وهى صعوده الى السماء حيث كان أولا . وكان يأتي بهذا البرهان كلما افتضى الحال إقامة برهان يدل على اقتداره .

رابعا : ان كثيرين من تلاميذه رجعوا عنه لأنهم لم يقدرُوا أن يفهموا كلامه واستصعبوا الأمر ، فلو لم يكن المسيح يقصد جسده الحقيقى ودمه الحقيقى بل يقصد الرمز الى جسده - كما يتوهم البعض الآن - لكان فسر لهم ذلك ولم يدع هؤلاء التلاميذ ينفصلون عنه ، وهو الذى يريد أن جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون .

خامسا : ان السيد المسيح سلم هذا السر الأقدس فى ليلة آلامه الى تلاميذه وأخصائه وأصفيائه الذين قال لهم أنتم أصدقائى ، ونطق بكلامه فى برهة لم يكن يتكلم فيها بأمثال والغاز ورموز ومجازات ، بل تكلم صريحا وعلنا لأنها الساعة الأخيرة من حياته . ومن المعلوم أن الانسان فى مثل هذه الساعة يفتح قلبه لأصدقائه ويبين لهم ما يريد بكل إيضاح لا بالغاز ولا بمجاز . فهل يليق بالمسيح أن يأتى فى مثل هذه الظروف التى لا تسمح للانسان الا بأن يوضح كلامه بكل صراحة ، ويستعمل المجاز والرمز ؟

سادسا : ان جميع آباء الكنيسة شرقا وغربا قد فهموا هذا الكلام وقبلوه بمعناه الحرفى . وكذلك فسرتهم المجامع . فلو فرضنا فرضا مستحيلا بأن السيد المسيح قصد بكلامه المعنى الرمضى لا المعنى الحرفى . فهل يا ترى خدع المسيح تلاميذه الذين فهموا الكلام حرفيا ، والتلاميذ خدعوا الكنيسة كلها التى فهمت هذا الفهم عينه ؟ ومن يتجاسر ويقول ذلك ؟ ومن يستطيع أن يغير الكلام الذى يقوله الله ؟ قال الرسول « فماذا ان كان قوم لم يكونوا أمناء . أفهل عدم أمانتهم يبطل أمانة الله . حاشا . بل ليكن الله صادقا وكل انسان كاذبا » (رو ٣ : ٣ و ٤) .

سابعا : ان عبارة « أكل اللحم » فى الكتاب المقدس اذا وردت بمعنى رمضى فانها تدل على الوقية والسعاية والندمة وعمل الشر (راجع مز ٢٦ : ٢ ، أى ١٩ : ٢٢ ، مى ٣ : ٣ ، غل ٥ : ١٥) ولا تدل فى الكتاب على غير هذا :

المعنى فمن أراد أن يفسر كلام المسيح عن أكل جسده بهذا المعنى الرمزي
يسقط في أشنع تفسير .

ثامنا : ان قرائن الأحوال تدحض رأى المعارضين الذين يفسرون كلمة
« أكل الجسد » بمعنى الاتحاد والاشتراك الروحي مع المسيح وبالتالي الايمان
به . اذ يرد عليهم بأن المسيح كان يتكلم وقتئذ مع سامعيه ، ويعددهم بطعام
جديد لم يذوقوه الى ذلك الوقت ، وأنه مزعج أن يعطيه لهم في المستقبل « الخبز
الذى أنا أعطى هو جسدى » فلو كان يشير الى الايمان به لا الى جسده لوجب
أن نصدق أن جميع تلاميذه الى ذلك الحين لم يكونوا قد آمنوا به ، على أن
ظروف الأحوال ونفس الكلمات التى كررها المسيح تنفى هذا الزعم الباطل .

ثاسعا : اذا التفتنا الى كلام الانجيليين نجد فيه الأدلة القوية التى تزيل
كل ريب ، حيث أن القديسين متى ومرقس ولوقا يوضحون المعنى بكلام صريح
العبارة ، لا رمز ولا مجاز فيه ، وبولس الرسول الذى لم يكن حاضرا هذا
السر وتسلمه فيما بعد يقول لأهل كورنثوس : « أقول كما للحكماء .
احكموا أنتم فى ما أقول . كأس البركة التى نباركها . أليست هى شركة
دم المسيح . الخبز الذى تكسره . اليس هو شركة جسد المسيح » (١ كو
١٠ : ١٥ و ١٦) . فمن هذا الكلام يتضح :

١ - أننا نشترك فى جسد المسيح ودمه بواسطة اشتراكنا فى الخبز وفى
الكأس .

٢ - أن الذى نشترك فيه هو جسد الرب ذاته لأن من يتناوله بدون استحقاق
يكون مجرما فى جسد الرب . فاذا لم يكن هو جسد الرب ذاته فكيف
يكون انسان مجرما فيه ؟ هل يعطينا الله حجرا ويطالبنا بجوهرة ؟
وهل يعطينا خبزا بسيطا - كما يقول المعارض - ويطالبنا بجسده ؟
لذلك تهدد الرسول الذين يتناولون بدون استحقاق قائلا : « لأن
الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير
مميز جسد الرب » . وأخيرا أتى الرسول بالأدلة المحسوسة على أن
الذين يقتربون من تلك الأسرار بدون استحقاق يقعون فى الأمراض
وفى الموت بقوله : « من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون
يرقدون . لاننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا » .
(١ كو ١١ : ٢٩ - ٣١)

وقد أخبر القديسان كبريانوس ويوحنا ذهبى الفم فى أيامهما أن بعضا
من الذين أكلوا ذبائح الأوثان ثم تقدموا الى الافخارستيا ، اغتالهم يد النعمة
الالهية ، فممنهم من بلى بالحرس . ومنهم من أكل لسانه . ومنهم من كان
يعذب بعذاب شديد ، الى غير ذلك من البلايا التى حلت عليهم .

ما الماء الى خمر في قانا الجليل باشارته ، أفليس مصدقا اذا قال انه حول الخمر الى دم ؟ وقد دعى الى عرس جسدي فصنع فيه تلك العجيبة الفائقة . فكيف لا نعترف له بالأحرى بأنه منح بنى العرس التمتع بجسده ودمه ؟ فلنتناولهما اذن باليقين التام أنهما جسده المسيح ودمه . لأنه برسم الخبز يعطى لك الجسد ، وبرسم الخمر يعطى لك الدم ، لكي بتناولك من جسد المسيح ودمه تصير متحدا معه جسدا ودمًا . لأننا بهذه الحالة نصير لابسى المسيح ، أى بامتزاج جسده ودمه في أعضائنا ، وبهذه الوسطة نصير مشاركي الطبيعة الالهية كما يقول بطرس المغبوط . فلا تنظر اذن الى الخبز والخمر كأنهما عاديان ، اذ هما جسد ودم حسب القول السيدى . لأنه وان كان الحسن يظهرهما لك عاديين لكن الايمان يحقق لك أنهما جسد ودم . فلا تحكم اذن بحسب النوق الحسى بل تحقق من الايمان وتأكد بلا ارتياب أنك قد أهلت لجسد المسيح ودمه ، (فى الأسرار ٤ : ١ و ٢ و ٣ - ٦) .

وقال القديس يوحنا ذهبى الفم : « كم منكم يقول الآن ليتنى كنت ارى هيئة الرب وشكله وملابسه . فما أنت تنظره وتلمسه وتأكله هو نفسه ، وأنت تشتتى أن ترى ملابسه مع أنه هو يعطيك ذاته ، لا لتراه فقط . بل لتلمسه أيضا ولتأكله ولتأخذه في داخلك ، فلا يتقدم أحد غافلا ولا مترائخيا ، بل فلنبادر جميعنا بحماسة وحمية ونهضة . . . ويجب أن نكون من كل جهة ساهرين ، لأن القصاص المعد للمشركين على خلاف الاستحقاق ليس صغيرا . تقطن كم أنت تتمرر من الذى خانه وبين الذين صلبوه . فاحترس اذن من أن تصير أنت أيضا مجرما فى جسد المسيح ودمه . فان أولئك قد ذبحوا الجسد الكلى قدسه ، وأما أنت فتقبله حينئذ بنفس دنسة بعد احسانات كثيرة جدا . لأنه لم يكتف بأن يصير انسانا ، ويضرب ويذبح عنا بل أن يمزج ذاته فينا ، لا بالايمان فقط بل بالفعل أيضا ، جاعلا ايانا جسدا له أفلا ينبغى أن لا نكون أقل نقاوة من الذى يتمتع بهذه الذبيحة . وأى شعاع شمسي (١) يجب أن لا يكون أقل بهاء من اليد التى تقطع هذا الجسد ، والفم الذى يمتلىء من النار الروحانية ، واللسان الذى يضطبخ بالدم المخوف ؟ فتأمل الكرامة التى كرمتها والمائدة التى تتمتع بها . ان الذى تنظر اليه الملائكة وترتعد ولا تجسر أن تحدث به بلا خوف من البرق الساطع منه ، هذا نفسه نحن نفتدى به ، وبه ننعجن وقد صرنا جسدا واحدا للمسيح لحما ودمًا . من يتكلم بعظائم الرب ويجعل تسابيح مسموعة ؟ أى راع يغذى خرافه بأعضائه . وما لى أذكر الراعى . كثيرا ما دفعت أمهات أولادهن بعد أوجاعهن الى مرضعات آخر ، وهو لم يطق أن يفعل ذلك ، بل شاء هو نفسه

(١) يقصد بقوله (أى شعاع شمسي الخ) أن يقارن بين الأشعة الطاهرة وبينه اليد التى تمسك جسد الرب ، والفم الذى يأكله ، وأن يبين أن هذه الأشعة مع نقائها فهى أقل بهاء من هذه اليد وهذا الفم .

أن يغذيها بدمه ويجعلنا مرتبطين ومتحدين بذاته بكل الوسائط ، (تفسير متى مقالة ٨٢ : ٤ و ٥) .

وقال القديس أمبروسيوس : « هذا الجسد الذي تقدمه في سر الشكر قد جاء من البتول ، ولماذا تبخنون هنا وتطنبون العمل الطبيعي والموضوع هو جسد يسوع المسيح . أفلم يولد الرب نفسه من البتول بحال تفوق الطبيعة . هذه هي بشرة يسوع المسيح المصلوبة والمدفونة . فهذا هو اذن سر الجسد بعينه بكل الحقيقة » (في الأسرار ٩ : ٥٣ ، ٨ : ٣٧ و ٤٨) كأنه يقول كيف آمنتم بسر نجسده الفائق الطبيعة ثم تحاولون وضع سر الشكر تحت البحث العقلي فقط مجردا من الايمان .

والخلاصة أن هذا الايمان هو ايمان جميع الآباء في كل عصر منذ نشأت الكنيسة حتى الآن ، وتجد هذا التعليم في مؤلفات القديس اكليمينطس الامكندري (كتاب المربي ١ : ٦١ ، ١١ : ٥) والعلامة تروتوليانوس في (كتابه ضد مركيون ٥ : ٨) وديوناسيوس الاسكندري في (مجموع القوانين) والقديس باسيليووس في (رسالته ٩٣) والقديس ابيمانيووس والقديس كيرلس الاسكندري في (تفسيره يوحنا ٢٠ : ٣٧ وضد نستور ٤ : ٥ : ٦) وغيرهم من الآباء .

وكذلك ترى هذا التعليم واضحا في أقرار المجامع فقد ورد في قرارات المجمع المسكوني الأول « لا ينبغي أن ننظر على المائدة المقدسة الى الخبز والكأس كأنهما مقدمان على بسيط الحال ، بل يجب أن نرفع الروح فوق الحواس ، ونتفهم بالايمان أن حمل الله الرافع خطية العالم يستريح هنا مذبوحا من الكهنة ، وأنهم يتناولون جسد الرب نفسه ودمه الكريم نفسه اللذين نؤمن بأنهما رسوم لقيامتنا » .

وقد ثبت المجمع الثالث المسكوني رسالة القديس كيرلس بطريرك الاسكندرية الى نسطور ، وهذه الرسالة كتبت من قبل مجمع اسكندرية المكاني وجاء في نصها هذه العبارة وهي « اننا ننادى بأن ابن الله الوحيد ربنا يسوع المسيح مات بالجسد ، وتقر بقيامته وبصعوده الى السموات ، فنتمم في الكنائس الذبيحة الغير الدموية ، وهكذا تقترب من الأسرار المباركة وتتقدس اذ نشارك جسد يسوع المسيح مخلصنا المقدس ودمه الكريم ... لكن لا ينبغي أن ننظر الى جسده كما الى جسد انسان يماثلنا من كل الوجوه في أهوائنا ، بل يجب أن نؤمن أنه بالحقيقة جسد الذي قد صار وسمى لأجلنا ابن الانسان نفسه ، (مجمع أفسس جلسة ١ وكيرلس الاسكندري جزء ٥ قسم ٢٢) .

تمسك مارثين لوثر واعتقاده بهذا السر :

ومما يجب ذكره هنا أن مارثين لوثر زعيم البروتستانت عندما كان يجادله أصحابه جدالا عنيفا في هذا السر ، لم يخرج عن الاعتقاد الصحيح ولم يتحول عن فكره ، بل كان يقرر قول الرب « هذا هو جسدي » ويكتبها في المحضر بخطه أمام الجميع ، وايضا كل فلسفة بشرية ، ويقول « انى اصرح بانى اختلفا عن خصومى في تعليم عشية الرب ، وانى اختلف دائما عنهم فان المسيح قد قال هذا هو جسدي ، فليبينوا لى أن الجسد ليس هو جسده . وانى ارفض العقل والعرف والاحتجاجات اللحمية والبراهين التعليمية فان الله اعلى من الهندسيات . عندنا كلام الله فيجب علينا أن نكملة ونحترمه » (راجع تاريخ الاصلاح للعلامة ميرل روبينياه جزء ٢ صحيفة ٣٨٢) .



الفصل الخامس

كيفية حضور الرب في هذا السر ومعنى الاستحالة

مما تقدم يتضح جليا أن التقدمة المقدسة لا تبقى بعد البركة خبزا بسيطا ولا خمرا بسيطة بل يتناولهما المؤمنون بأنهما جسد المسيح نفسه حسب قوله الطاهر . وذلك يتم باستحالة سرية لا تدرك بالحواس ويتضح ذلك مما يأتي :

أولا : من عبارات الكتاب الالهى التى أوردناها سابقا ، فإن الرب جل ذكره لما وعد بهذا السر قال « أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء . ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الأبد . والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم » (يو ٦ : ٥١) وحين سلم تلاميذه هذا السر قال « اخذوا هذا هو جسدى . وهذا هو دمي » وبولس الرسول كتب الى أهل كورنثوس يقول « كأس البركة التى نباركها أليست هى شركة دم المسيح الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح » (١ كو ١٠ : ١٦) وقال « اذن أى من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرما في جسد الرب ودمه . ولكن ليمتحن الانسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب » (١ كو ١١ : ٢٧ - ٢٩) . والحقيقة هنا واضحة من كل هذه النصوص وهى أن الرب والرمول يسميان الخبز جسد المسيح ، والخمر دم المسيح بأصريح عبارة . ولم يقل الكتاب ان جسد المسيح يكون في الخبز ، أو مع الخبز ، أو تحت الخبز . ولم يقل السيد أن الخبز الذى أعطيه يكون فيه جسدى ، بل قال « الخبز الذى أنا أعطى هو جسدى » .

ثانيا : إذا راجعنا جميع كتب القداسات المستعملة في كل الكنائس شرقا وغربا ، وهى قديمة جدا . نجدها كلها متفقة في تضرعاتها على هذه الكلمات « ليحل روحك القدوس على هذه القرابين الموضوعة ويطهرها وينقلها ويظهرها قديسا لقسيسيك . وهذا الخبز يجعله جسدا مقدسا له ، وهذه الكأس أيضا دما كريما للعهد الجديد الذى له . الخ » وهذا يدل على ايمان الكنيسة الجاهة الذى لم يتغير منذ القديم حتى الآن .

ثالثا : مما ورد في أقوال الآباء التى سبق ذكرها حيث وردت فيها كلمات « ينتقلان ، يتغيران ، يستحيلان » كما قال القديس غريغوريوس « اننى أعتقد وأقر بالحقيقة أن الخبز يستحيل اليوم أيضا إذ يتقدس بالكلمة الالهية الى

جسد الاله الكلمة ، (تعليمه فصل ٣٧) وقال القديس امبروسيوس « كلما تناولته القرايين المقدسة التي تتحول سرىا بالطلبة المقدسة الى جسد المسيح ودمه نخبر بموت الرب » (فى الايمان ٤ : ١٠ : ١٢٤) وقال القديس افرام السريانى « انكم تشتركون فى جسد الرب الكلى قدسه بايمان كامل غير مرتابين بانكم تاكلون الحمل كله » وقال فى موضع آخر « ان جسد الرب يتحد بجسدنا على وجه لا يلفظ به أيضا ودمه الطاهر يصب فى شراييننا ، وهو كله بصلاحه الاقصى يدخل فينا » (جزء ٣ : ٤٢٤) .

عسر انقسام القدسات مع تفصيل اجزائها ، ووحدة السر :

وان كان الجسد المقدس يفصل ويقسم فى سر الشكر ، ويوزع على المؤمنين تحت شكلى الخبز والخمر اللذين بهما يصير الجسد والدم منظورين وملموسين ، الا أنهما كاملان ببلاتهما وغير منقسمين . ولهذا نؤمن أن كل جزء من الخبز ومن الخمر فى هذا السر الأقدس حتى أصغر الأجزاء منها ليس هو جزء من جسد المسيح ودمه ، بل ينال به المؤمن جسد المسيح كله ودمه كله .

كذلك وان كان سر الشكر يتم فى جميع كنائس المسكونة ، فجسد المسيح هو واحد ودمه واحد فى جميع الامكنة والازمنة ، والمسيح حاضر فيه بذاته . لا يمكن ادراك وفهم ذلك الا بالايمان . كما نؤمن أيضا أن الخبز والخمر بعد تقديسهما وانتقالهما واستحالتهما سرىا الى جسد الرب ودمه ، يلبثان دائما هكذا أى أن حضور الرب فى الأسرار بعد التقديس هو ثابت وغير منقطع فى وقت الشركة وبعده ، خلافا للذين يزعمون أن حضور الرب محصور فى وقت اشتراك المؤمنين بالأسرار ، وأن القرايين بعد الشركة ليست سوى خبز وخمر بسيطين .

وبما أن الخبز والخمر فى هذا السر الأقدس هما جسد المسيح ودمه فيجب أن تقدم لهما العبادة والسجود . قال القديس يوحنا ذهبى الفم « هذا الجسد لما كان بعد فى هذا المذود خجل منه المجوس ، ورجال كفرة وبرابرة تركوا أوطانهم وبيوتهم وقطعوا طريقا طويلة ، وأتوا بخوف وارتجاف كثير وسجدوا له . فلنقتدين اذن بالبرابرة على الأقل نحن أبناء السموات . لأن أولئك مع أنهم رأوه فى مذود وضمن كوخ ، ولم يروا شيئا مما تراه أنت الآن تقدموا برعب كثير . وأما أنت فلست تراه فى مذود بل على مذبح ، ولست ترى امرأة حاملة اياه بل كاهنا واقفا وروحا طائرة على الموضوعات ونازلا عليها بغزارة لأنك لست تنظر الجسد وحده فقط على بسيط الحال مثل أولئك ، لكنك تعلم أيضا قدرته وكل التدبير ، وليس خافيا عليك شىء مما تم به لأنك تعلم جميع الأسرار بتدقيق » (مقالة على تفسير ١ كو ٢٤ : ٥) وقال القديس أغسطينوس « ما من أحد يشارك جسد يسوع المسيح ما لم يقدم له عبادة الهية » (على مزور ٩٨) .

الفصل السادس

ادحاض الاعتراضات على هذا السر

ان بعض الفرق المسيحية الذين لا يؤمنون بهذا السر الأقدس يعترضون على تعليم الكنيسة في شأنه ببعض اعتراضات نذكر هنا أهمها مع الرد عليها
أوصى :

أولا : يزعمون أن الخبز والحمر في هذا السر ما هما الا مثال ورمز لجسد المسيح ودمه .

ولدفع هذا الاعتراض نقول : جاء في كتاب القواعد السنوية في تفسير الأسفار الالهية تأليف القس جيمس أنس الأمريكى (صفحة ١٦٢) ما يانى : « ان الرمز هو ما عينه الله اشارة الى أمر أعظم منه عتيد أن يكون في نظام ملكوته سمي المرموز اليه . وهذا الحد يتضمن ثلاثة شروط . الأول : وجود اشارة حقيقية في الرمز الى المرموز اليه وهى مبنية اما على مشابهة خارجية أو داخلية روحية . والثانى : تعيين الرمز من قبل الله للاشارة الى المرموز تاليه . وهذا التعيين من باب الاستعداد لاطهار المرموز اليه في حينه . والثالث : ان المرموز اليه يكون من الأمور المتعلقة بمستقبل ملكوت الله » . فاذا طبقنا هذا التعريف على ما نحن بصدده ظهر الفرق الواضح بين الرمز وبين هذا السر الذى وضعه السيد للعهد الجديد .

قال طيب الذكر المرحوم عريان مفتاح في رده على هذا الاعتراض « المثال والرمز لا بد أن يكون بينهما وبين الممثل به والرموز اليه تناسب معنوى يدل على صفته التى يقصد تمثيلها والرمز اليها ، والقياس على ذلك ذبيح اسحق . حين أمر الله أباه ابراهيم بأن يقدمه له قربانا (تك ٢٢ : ١ - ١٨) فالتناسب المعنوى الذى بينه وبين المسيح هو أنه كان الابن الحبيب لأبيه ، ولما أراد أبوه أن يقدمه ذبيحة أطاع أباه حتى الموت ، وحمل الحطب الذى كان مزعما أن يرفع عليه ، هكذا السيد المسيح فانه الابن الحبيب للآب ولما سر الآب أن يقدمه ذبيحة عن خطايا العالم أطاع حتى الموت وحمل صليبه . كذلك كان خروف الفصح الذى بلا عيب الذى كان يقدمه بنو اسرائيل رمزا الى المسيح ، فكما أنه بواسطة ذبيحة وارقة دمه نجا بنو اسرائيل من الهلاك الأزمنى ، هكذا بسفك دم المسيح حمل الله الذى بلا عيب ، خلصنا من الهلاك الأبدى . وفس على ذلك باقى الرموز والمثالات التى وردت في العهد القديم . ولكن في أكل خبز وحمر بسيطين - كما يزعم المعارض - لا نجد أدنى

ألقى وأن المسيح مزعم أن يؤسس كنيسته على صخرة هذا الايمان ، وتسميته .
تلاميذه بملح الأرض لأنهم يكونون بصفة مصلحين لفساد العالم ، وقس .
على ذلك . فهذه العبارات المجازية متضمنة معانيها ، وفيها قرائن تدل على
المراد بها ولا ينطبق شيء منها على سر الافخارستيا مطلقا ، فلماذا نترك معنى
الكتاب الواضح وتلتفتت الى تأويلات بعيدة عن الصواب ؟ قال لوثيروس :
« ان معنى الكتاب المقدس البسيط هو أساس الايمان ، والأمر الوحيد الذي
لا يتزعزع في وقت الضيق والامتحان » وقال القس جيمس أنس الأمريكي .
مؤلف كتاب « القواعد السنوية في تفسير الأسفار الألهية » عند كلامه عن المجاز :
« لا بد للمجاز من قرينة تدل عليه وهي اما لفظية أو معنوية . فأن انتفت
القرينة حمل الكلام على الحقيقة ما لم يعلم أو يظن ان قائله لم يعتقد ظاهره .
(ص ١٢٢) وقال في القاعدة الأولى من قواعد التفسير « ان معنى الكتاب
البسيط الواضح هو على الغالب المعنى الصحيح ، وفسر هذه القاعدة بأن
البسيط الواضح هو الكلام المتبادر اليه فهم الجمهور ، ويؤيد ذلك كون
الكتاب كتب للعالم أجمع ، فلا بد أن معناه يطابق ظاهر الكلام » (صفحة ٧٨)
وقال في القاعدة السادسة من قواعد المجاز « ان المجاز وحده ليس أساسا
كافيا لتعاليم مهمة ولا يناسب لأنه أحيانا يقود الى الضلال » (صفحة ١٤٥) .

ثالثا : يقولون ان السيد المسيح قال عن هذا السر « اصنعوا هذا
لذكرى » فهو إذن تذكار لجسد المسيح ودمه ، والشئ لا يكون تذكارا لنفسه .

وندفع هذا الاعتراض بعد أن نعرف أنواع التذكار : قسم المرحوم عريان
مفتاح التذكار الى أربعة أنواع . فقال يلزم أن يكون التذكار بأحد أربعة
اشياء . اما عينا (أى من عين الشئ) كالمن الذى أمر الله موسى بحفظه
في قسط من الذهب تذكارا للمن (وهذا ينفي القول بأن الشئ لا يكون
تذكارا لنفسه لأن المن كان تذكارا لنفسه) واما أثرا كالحجارة التى أمر
يشوع بن نون بأخذها من أرض الأردن تذكارا لمرورهم فيه (يش ٤ : ٩)
واما صورة كالكروبيين اللذين أمر موسى النبي بصنعهما ووضعهما في قبة
الشهادة تذكارا للسماويات (خر ٢٥ : ١٧ - ٢٢) واما خبرا كما فعل موسى
النبي إذ قص على بنى اسرائيل ما ورد في سفرى الخروج والعدد ، عما صنع
الله على يديه معهم ، والوقائع التى حدثت في خلال ذلك . واذا طبقنا تذكار
موت المسيح على أحد هذه الأنواع الأربعة فإنه يلزم أن يكون اما عينا أى من
عين جسده ودمه . واما أثرا أى بالآلات التى استعملت في آلامه وموته .
واما صورة أى برسم هيئة الواقعة . واما خبرا أى بخبرها الوارد في الأناجيل
المقدسة . فالخبز والخمر اللذين سلمهما السيد لتلاميذه ليسا تذكارا أثريا
ولا صوريا ولا خبريا ، لأنهما ليسا آلة من آلات موته ، ولا هما صورة مرسومة
على هيئته ، ولا هما مجرد حكاية تاريخية تحفظ لنا تذكار الواقعة خبريا .
وكيف يحصل تذكار موت المسيح من أكل خبز وشرب خمر ، اذا كانا لا يزالان .

على بساطتهما ولا يتحولان الى جسده الحقيقي ودمه الحقيقي . فلا بد اذن أن يكون السر تذكارا من عين الشيء ، أى من عين جسده ودمه ، كما كان المن تذكارا لنفسه . وقد يكون الذكر أيضا لما يتصوره العقل ولا تدركه الحواس ، فان الله تعالى مثلا حاضر فى كل مكان ، ومع ذلك يقال ان الابرار يتذكرونه دائما ، كقول المرتل « ذكره الى جيل الأجيال » فاذن يقال بكل صواب ان هذا السر تذكار لموت المسيح لأنه حاضر فيه بنوع سرى غير منظور ولا تدركه حواسنا .

رابعا : يزعمون أن السيد المسيح قصد بكلامه عن جسده ودمه فى الاصحاح السادس من انجيل يوحنا الايمان به .
 وندفعه بأن قرائن الكلام وظروف الأحوال تنفى هذا الزعم ، لأن السيد له المجد كان يعدهم بطعام لم يذوقوه بعد ، بل وعدهم بأنه سيعطيهم اياه فى المستقبل . فلو كان كلامه يقصد منه الايمان به لا الى جسده ودمه لوجب أن نسلم بأن جميع الذين كانوا يسمعونهم كانوا غير مؤمنين به ، والحال أن تلاميذه سبق فآمنوا به ، وأن نعمة الايمان كانت قد أعطيت لكثيرين ولا محل للوعد بها فى المستقبل . ومن الملاحظات الجديرة بالاعتبار أن يوحنا الانجيلي اكتفى بما أورده عن هذا السر فى الاصحاح السادس ، ولم يذكر تأسيسه عندهما سلمه الرب لتلاميذه كما كتب باقى الانجيليين ، وهذا دليل مقنع بأن يوحنا الانجيلي يقصد بكلامه جسد الرب ودمه لا الايمان به .

خامسا : يزعمون بأن كلام بولس الرسول (١ كو ١٠ : ١٥ - ٢٢) عن كأس البركة والخبز المقدس أنها شركة جسد المسيح ، لا يترتب عليه أن يكون الخبز والخمر جسد المسيح ودمه بل شركة فقط ، وأن تسمية الرسول لهما خبزا وكأسا دليل على عدم الاستحالة .

وندفع هذه المغالطة بأن الاشتراك فى الشيء هو الحصول عليه ، ولا فلا يكون المسيح اشترك فى جسدهنا . لأن الرسول يقول « فاذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضا كذلك فيهما » (عب ٢ : ١٤) ويقول « لأننا أعضاء جسده من لحمه ومن عظامه » (أف ٥ : ٣٠) ويقول (أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح » (١ كو ١٠ : ١٨) بل ان كلام الرسول عن الشركة لا يقبل هذا التأويل ، لأنه يقول بصريح العبارة هكذا « احكموا أنتم فى ما أقول . كأس البركة التى نباركها أليست هى شركة دم المسيح . الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح » (١ كو ١٠ : ١٥ و ١٦) لا سيما وأنه قال بعد ذلك « لأننى تسلمت من الرب بما سلمتكم أيضا ، الى أن قال « اذن أى من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرما فى جسد الرب ودمه . ولكن ليمنحنا الانسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب . من أجل هذا فيكم كثيرون

على بساطتهما ولا يتحولان الى جسده الحقيقي ودمه الحقيقي . فلا بد اذن أن يكون السر تذكارا من عين الشيء ، أى من عين جسده ودمه ، كما كان المن تذكارا لنفسه . وقد يكون الذكر أيضا لما يتصوره العقل ولا تدركه الحواس ، فان الله تعالى مثلا حاضر في كل مكان ، ومع ذلك يقال ان الابرار يتذكرونه دائما ، كقول المرتل « ذكره الى جيل الأجيال » فاذن يقال بكل صواب ان هذا السر تذكار لموت المسيح لأنه حاضر فيه بنوع سرى غير منظور ولا تدركه حواسنا .

رابعا : يزعمون أن السيد المسيح قصد بكلامه عن جسده ودمه في الاصحاح السادس من انجيل يوحنا الايمان به .
 وندفعه بأن قرائن الكلام وظروف الأحوال تنفى هذا الزعم ، لأن السيد له المجد كان يعدهم بطعام لم يذوقوه بعد ، بل وعدهم بأنه سيعطيهم اياه في المستقبل . فلو كان كلامه يقصد منه الايمان به لا الى جسده ودمه لوجب أن نسلم بأن جميع الذين كانوا يسمعونهم كانوا غير مؤمنين به ، والحال أن تلاميذه سبق فآمنوا به ، وأن نعمة الايمان كانت قد أعطيت لكثيرين ولا محل للوعد بها في المستقبل . ومن الملاحظات الجديرة بالاعتبار أن يوحنا الانجيلي اكتفى بما أورده عن هذا السر في الاصحاح السادس ، ولم يذكر تأسيسه عندهما سلمه الرب لتلاميذه كما كتب باقى الانجيليين ، وهذا دليل مقنع بأن يوحنا الانجيلي يقصد بكلامه جسد الرب ودمه لا الايمان به .

خامسا : يزعمون بأن كلام بولس الرسول (١ كو ١٠ : ١٥ - ٢٢) عن كأس البركة والخبز المقدس أنها شركة جسد المسيح ، لا يترتب عليه أن يكون الخبز والخمر جسد المسيح ودمه بل شركة فقط ، وأن تسمية الرسول لهما خبزا وكأسا دليل على عدم الاستحالة .

وندفع هذه المغالطة بأن الاشتراك في الشيء هو الحصول عليه ، ولا فلا يكون المسيح اشترك في جسدهنا . لأن الرسول يقول « فاز قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضا كذلك فيهما » (عب ٢ : ١٤) ويقول « لأننا أعضاء جسده من لحمه ومن عظامه » (أف ٥ : ٣٠) ويقول (أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح » (١ كو ١٠ : ١٨) بل ان كلام الرسول عن الشركة لا يقبل هذا التأويل ، لأنه يقول بصريح العبارة هكذا « احكموا أنتم في ما أقول . كأس البركة التي نباركها أليست هى شركة دم المسيح . الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح » (١ كو ١٠ : ١٥ و ١٦) لا سيما وأنه قال بعد ذلك « لأننى تسلمت من الرب بما سلمتكم أيضا ، الى أن قال « اذن أى من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرما في جسد الرب ودمه . ولكن ليمنحنا الانسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب . من أجل هذا فيكم كثيرون

ضعفاء ومرضى كثيرون يرقدون الخ ، (١ كو ١١ : ٢٣ - ٢٤) .

وأما تسمية الرسول للجسد والدم خبزا وخمرا فذلك بناء على ظهور السر أمام أعيننا هكذا ، وبناء على ما كانا عليه قبل التقديس ، وهذا أمر جائز في كل لغة إذ يسمى الشيء باسم ما كان عليه أولا ، وقد ورد مثل ذلك في الكتاب المقدس ، كما ذكر عن الماء الذي حوله السيد المسيح إلى خمر في عرس قانا الجليل حيث يقول « فلما ذاق رئيس المتكأ الماء » (يو ٢ : ٩) مع أنه كان قد تحول خمرا ، فسماه ماء باعتبار ما كان أولا ، ومنه قول الكتاب « ولكن عصا هرون ابتنعت عصيهم » (خر ٧ : ١٢) مع أنها كانت تحولت إلى ثعبان ، وقوله عن لعازر عند قيامته « فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقطة الخ » مع أنه خرج حيا . فسماه « الميت » باعتبار ما كان ، ولم يقل خرج الحي الذي كان ميتا ، ولا خرج الميت الذي صار حيا . فهل يترتب على ذلك أن لعازر كان لا يزال مائتا حال خروجه . وبناء عليه لا تكون تسمية الرسول للسر خبزا وخمرا دليلا على عدم تغيره واستحالاته إلى جسد المسيح ودمه .

« ماداما : يعترضون بقولهم كيف أن الخبز والخمر اللذين هما من نباتات الأرض يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه ويكونون هما جسد ودم المسيح .

ونرد على ذلك بأن الاستحالة نوعان ، حسية أي واقعة تحت الحواس ، وسرية لا يقع عليها حكم ، والاستحالة هي انتقال الشيء إلى غيره . فالحسية هي تحويل طبع وصورة وفعل شيء ما إلى طبع وصورة وفعل الشيء الذي يتحول إليه ، كتحويل امرأة لوط إلى عمود ملح ، وتحويل عصا هرون إلى ثعبان ، وتحويل ماء النهر في مصر إلى دم ، وتحويل الماء في عرس قانا الجليل إلى خمر . وأما الاستحالة السرية التي لا تدخل تحت الحواس فهي استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه في سر الأفخارستيا ، وذلك بناء على قول السيد العمريج « هذا هو جسدي وهذا هو دمي » . وإن قال المعارض كيف يكون ذلك ؟ فنرد عليه بأن أعمال الله لا يسأل عنها بكيف . وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون استحالة امرأة لوط إلى ملح ، والماء إلى دم في مصر ، وإلى خمر في عرس قانا الجليل لضرورة اعتبار الحس ، لأن الغاية منها ظهور توة الله علنا . وأما الاستحالة في سر الأفخارستيا فليس من الضروري ظهورها للحواس : وليس أيضا من المناسب إذ لا يمكن للإنسان أن يأكل لحما ويشرب دما ، فهذه الاستحالة سرية لا تدرك بالحواس ، فمع أننا نأكل خبزا ونشرب خمرا إلا أن هذا الخبز وهذا الخمر ليسا بعد التقديس خبزا وخمرا عاديين بل هما جسد ودم المسيح كما قال الرسول « لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان » (٢ كو ٥ : ٧) « ولأننا بالرجاء نخلصنا . ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء ، لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضا » (رو ٨ : ٢٤) والإيمان بأعمال الله السرية أعظم من الإيمان بأعماله الظاهرة ، لأن هذه يحكم عليها بالحواس ،

وأما تلك فيراها العقل بنور الايمان . وقد سبق نيقوديموس وسأل المسيح له المجد عن سر الميلاد الثاني فأجابه موبخا « المولود من الجسد جسده هو ، والمولود من الروح هو روح (وطبعاً يحصل ذلك بسر لا يدرك وإنما يفعله الروح القدس) لا تتعجب انى قلت لك ينبغى أن تولدوا من فوق . الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها ولكنك لا تعلم من أين تاتى ولا الى أين تذهب . هكذا كل من ولد من الروح » (يو ٣ : ٦ - ٨) .

أما قول المعترض أن الحبز والخمر هما من نباتات الأرض فإنه اذا تأمل فى فعل الطبيعة وجد أن كل جسد ودم هما من نبات الأرض ويعودن أيضاً نباتاً ، وهذا أمر مسلم به ، وأما صيرورتها جسد المسيح ودمه فهذا موكول لفعل القدرة الالهية التى لا يشك فيها .

سابعاً : يقولون كيف أن الذى سلمه السيد المسيح لتلاميذه هو جسده ودمه ، مع أنه كان جالساً فى وسطهم ، ولم يسلمهم الا خبزاً وخمراً منظورين .

فنقول بأن هذا الاعتراض ليس موجهاً لنا ، وإنما هو موجه لشخص السيد ، لأن هو الذى قال هذا وفعل هكذا ، وقد سبق أن أعترض اليهود بهذا الاعتراض قائلين « كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لناكل » فسمعوا جوابه المسكت « ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . لأن جسدى مأكول حق ودمى مشرب حق » . ونحن هكذا آمننا وقبلنا هذا السر بناء على شهادته الصادقة . أما الذين لا يؤمنون ولا يصدقون الا بناء على شهادة الحواس فانهم يهدمون أركان الديانة المسيحية . لأن الحواس لا تستطيع أن تدرك شيئاً من أسرار الديانة . فمثلاً ان الله الآب قد شهد لابنه قائلاً « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » فإذا اعتمدنا على الحواس رأينا أن العين لم تشاهد الا هيئة شخص مثل بنى البشر . فإذا كنا لا نؤمن الا بما تحكم به الحواس أنكرنا هذه الشهادة (حمانا الله من ذلك) . وليقل لنا الذين يهتمون بحكم الحواس كيف صير الله نار أتون بابل على الفتية الثلاثة كنسيم بارد ، حتى انها لم تؤثر فى أجسامهم ولا فى شعورهم ولا فى رائحة ثيابهم . فان قالوا قد بزعت منها قوة الأحراق فنجيبهم كيف اذن أحرقت الكلدانيين الذين اقتربوا منها؟ وان كان فيها قوة الأحراق فلماذا لم تحرق الفتية؟ كيف تكون النار حارة وباردة فى آن واحد؟ هل يمكن أن يفهم ذلك بالحواس . وكيف أشبع السيد المسيح الألوف من خمسة أرغفة وسمكتين وفضل عنها اثنتا عشرة قفة من الكسر . وكيف تجسد المسيح فى بطن السيدة العنبراء وهو مالىء الكون ، وكيف صلب على الصليب وهو مع ذلك لا يزال فى حضن أبيه ، وكيف خرج من القبر وهو مختوم والحراس واقفون على بابه ؛ وكيف دخل على التلاميذ والأبواب مغلقة؟ الا نعترف بأن الديانة المسيحية كلها أسرار فائقة لا قدرة للعقل ولا للحواس على ادراكها . ألم يقل السيد

بأن كلامه هو روح وحياة ، وبولس الرسول يقول « كلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الانسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة لكنى لا يكون ايمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله » (١ كور ٢ : ٤ و ٥) وقوله « ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله التى نتكلم بها أيضا . لا بأقوال تعلمها حكمة انسانية بل بما يعلمه الروح القدس قارئين الروحيات بالروحيات ، ولكن الانسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لانه عنده جهالة ، ولا يقدر أن يعرفه لانه انما يحكم فيه روحيا » (١ كور ٢ : ١٢ - ١٤) فعلينا أن نرفع أسرار الديانة فوق العقل والحواس حتى نستطيع أن نؤمن بها .

وهالى أقول بوجود أسرار فى الديانة ، وهذا الطبيعة كلها أسرار لا تزال فائقة لا تدرك ، مثال ذلك الانسان فاننا نعلم أنه مؤلف من نفس وجسد متحدين اتحادا طبيعيا جوهريا ، ولكن لا يوجد من يستطيع أن يدرك كيفية هذا الاتحاد العجيب . ونعلم أن نفسنا تأمر يدينا ورجلينا بالحركة ولا نعرف كيف ينفذ هذا الروح البسيط أمره بهذه السرعة العجيبة فى الجسد الهيولى . ونرى أن حبة صغيرة تبرز فى الأرض وبعد قليل نشاهدها شجرة كبيرة ذات أغصان مرتفعة ولا ندرك سر نموها . وأيضا نرى صور المبصرات تنطبع فى العين معكوسة ولكننا نراها مستقيمة ولا نقدر أن نبرهن علة ذلك . وها هى المآكل التى نأكلها ونغتذى بها كل يوم تتحول الى دم ينبث وينتشر فى سائر أجزاء الجسد ولا نعلم كيف يكون ذلك . والمياه التى نشربها مركبة من الأوكسجين والهيدروجين ، فالأول عنصر بسيط يعين المواد على الاشتعال اذ يتحد بكاربونها ، والثانى عنصر بسيط يشتعل باتحاده مع الأوكسجين ويولد حرارة عظيمة ، ونفس هذا الاتحاد يولد لنا المياه التى نروى بها عطشنا فكيف أن المياه المؤلفة من عناصر نذيب الجلود لشدة حرارتها نرتوى بها . فهذا الانقلاب الذى حدث فى طبيعة هذين العنصرين لا يعلم كيفيته الا الله ، وهكذا من الأسرار الغريبة نظير القوة الكهربائية ، والقوتين الجاذبة والدافعة وسير النور العجيب ، والهواء المتحرك والنار المخيفة ، وغير ذلك من الأسرار التى نؤكد وجودها فى الطبيعة ونجهل كيفيتها وعلتها الحقيقية . فهذه كلها تبطل ادعاء الفهم البشرى وتبرهن على ضعفه . فإذا كانت الطبيعة مملوءة بالأسرار العسرة الفهم فهل من المستحيل وجود أسرار فائقة الإدراك فى الديانة الالهية . فاما أن توجد حقائق فائقة الإدراك البشرى ، واما أن يكون العقل قياس كل الحقائق . وبذلك نسقط فى مذهبى العقلين والماديين المرفوضين من كل المسيحيين ، ونسقط فى ضلال وخيم ، هو أن معرفة الله لا تتميز عن معرفة البشر . وهذا ظاهر البطلان .

ثالثا : ان ذبيحة العهد الجديد سبق الله فأثبا بها على لسان ملاخي النبي . قائلا « ليست لي مسرة بكم قال رب الجنود ولا أقبل تقدمة من يديكم . لأنه من مشرق الشمس الى مغربها اسمى عظيم بين الأمم وفي كل مكان يقرب لاسمى بخور وتقدمة طاهرة لان اسمى عظيم بين الأمم قال رب الجنود » (ملا : ١٠ و ١١) وواضح من هذا القول أن النبي يتكلم عن ذبيحة جديدة طاهرة . ولا يمكن أن نقول انها ذبائح اليهود التي أعلن الرب كراهيته لها ، وهي محصورة ضمن حدود اليهودية . ولا يمكن القول أيضا انها ذبائح الأمم التي لا قيمة لها في الكتب المقدسة لأنها رجسة ومرذولة عند الله . ولا يمكن الظن بأن النبي يشير الى الذبيحة الروحية التي أشير اليها في المزمور (٥١ : ١٩) لان هذه الذبيحة قدمها كثيرون من رجال الله الأتقياء منذ تأسيس العالم . لا سيما وأن ملاخي النبي يخبر عن ذبيحة جديدة لم تكن موجودة من قبل . ذبيحة منظورة مدركة ومعدة لأن تبطل الذبائح اليهودية وتحل محلها . ولا يمكن الظن بأن النبي قصد بهذه الذبيحة تلك الذبيحة السامية التي قدمها المخلص على الصليب ، لأن هذه الذبيحة قدمت في مكان واحد وهو الجلجثة . ولكن النبي يخبرنا عن ذبيحة طاهرة مزمنة أن تقدم في كل مكان على الأرض . فلا يبقى إذن سوى أن نعترف بأن هذه الذبيحة هي سر الشكر الذي يقدم ذبيحة طاهرة لله في كل مكان .

رابعا : ان الكنيسة المقدسة قد علمت منذ نشأتها هذه الحقيقة وهي أن سر جسد يسوع المسيح هو ذبيحة حقيقية وتعترف بذلك في قداساتها بأنها تقدم لله ذبيحة مقدسة ناطقة غير دموية حيث تقول « فقيما نحن أيضا نصنع ذكر آلامه . . . نقرب لك قرابينك من الذي لك » وعندما يبسط الكاهن يديه يقول « ربنا والهنا ومخلصنا يسوع . . . يعطى عنا خلاصا وغفرانا للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه » وقوله « هوذا كائن معنا على هذه الأثدة اليوم عمانوئيل الهنا حمل الله الذي يحمل خطية العالم كله » .

خامسا : نجد هذا التعليم واضحا في شهادات المجامع المسكونية فقد جاء في قوانين المجمع المسكوني الأول هذا التصريح « على المائدة المقدسة يوضع حمل الله الرافع خطايا العالم ويذبح من خدام الله ذبيحة غير دموية » وجاء في شهادات مجمع أفسس هكذا « اننا نقدم في الكنائس الذبيحة غير الدموية ، وهكذا نلمس الأسرار المقدسة والمباركة ونتقدس باشتراكنا بالجسد المقدس جسد المسيح مخلص العالم كله وبدمه الكريم » وجاء في أعمال مجمع نيقية « لا الرب ولا الرسل ولا الآباء سمعوا » الذبيحة غير الدموية « المقدسة من الكهنة » صورة « بل هم يسمونها دائما جسد الرب نفسه ودم الرب نفسه » .

سادسا : قد شهد جميع الآباء بهذه الحقيقة في تعاليمهم . فقد قال القديس اغناطيوس « أن جسد الرب يسوع واحد . هو ودمه المهرق عنا واحد . خبز واحد كسر . وكأس واحدة وزعت للجميع . ومذبح واحد لكل

الكنيسة » (رسالة الأهل فيلادلفيا فصل ٤ والى أهل مغنيسيا فصل ٨ والى أهل أنسس فصل ٥) وقال القديس يوستينوس الشهيد « نقدم باسمه ذبيحة » قد أمر الرب يسوع أن تقدم ، وذلك في سر الخبز والكأس وهي ذبيحة مقدمة من المسيحيين في كل مكان على الأرض « ذبيحة طاهرة ومرضية لله » (في خطابه الى تريفن) وقال القديس ايريناوس « ان المسيح علمنا « ذبيحة » جديدة لجهود الجديد فالكنيسة تسلمتها من الرسل وتقدمها في كل المسكونة بحسب نبوة أحد الأنبياء الاثنى عشر وهو دلاخي حيث يقول لا ارادة لي بكم الخ وينادي بأن الشعب الاول (أي اليهود) سيكف عن أن يقدم لله ذبائح وأنه في كل مكان ستقدم ذبيحة طاهرة لاسمه الممجد في الأمم » (ضد الهرطقة) . وقال القديس ايبوليطس « اننا من بعد صعود المخلص تقدم بحسب وصيته « ذبيحة » طاهرة غير دموية » (في المواهب فصل ٢٦) وقال القديس كبريانوس « ان دم المسيح لا يقدم ما لم يكن في الكأس خمر » وتقدم « ذبيحة الرب » لا يتم قانونيا ما لم يكن « قرباننا وذبيحتنا » مطابقين لآلامه ... لانه اذا كان الهنا ونخصنا يسوع المسيح وهو رئيس الكهنة العظيم لاله الآب قد قدم نفسه ضحية للآب وأمرنا أن نصنع ذلك لذكروه فلا يتم الكاهن على الحقيقة (١) عمل المسيح ما لم يعمل كما عمل يسوع المسيح نفسه . أعني أن يقدم في الكنيسة للاله الآب « الذبيحة الحقيقية بتماها » متبعا في ذلك مثال المخلص نفسه » (رسالة ٤٣) وقال القديس غريغوريوس « لان المدبر لكل شيء بحسب سلطانه السيدى لم ينتظر الاضطراب الناتج عن الخيانة (٢) ، ولا هجوم اليهود اللصى ، ولا محاكمة بيلاطس الخارجة عن اشريعة ، كى لا يكون شر هؤلاء بدءا لخلاص الناس العام وعللة له . لكنه بتدبيره قد سبق هجومهم وهو نفسه قدم ذاته قربانا وذبيحة عنا . بعمل التقديس الذى لا ينطق به ، غير المنظور من البشر اذ هو كاهن معا وحمل الله الرافع خطية العالم . وان سألت متى كان هذا ؟ أجيبك . انه كان عندما جعل جسده مأكلا بصريح العبارة وأعطاه للأكل وصارت ذبيحة الحمل كاملة . لانه لو كان الجسد ذا روح لما كان ضحية تصلح للأكل . فلما منح تلاميذه أن يأكلوا جسده ويشربوا دمه « ضحى جسده » بوجه لا ينطق به وغير منظور . مدبرا هذا السر كما أرادت سلطته » (على قيامة المسيح خطاب ١) وقال القديس يوحنا ذهبى الفم « ألسنا نحن نقدم كل يوم قربانين ؟ نعم نقدم ولكننا نصنع تذكارات موته ، وهذه الذبيحة « التى كل يوم تقدمها هي واحدة لا أكثر لانه قدم مرة واحدة مثل الذبيحة التى كانت تقدم الى قدس القديسين (٣) . وكما أنه هو رسم لتلك هكذا هذه

(١) أى على الوجه الأكمل

(٢) أى لم ينتظر السيد ما ينتج بالضرورة عن خيانة يهوذا وغيره من صلب وفلاء حتى لا يكون عملهم الشرير بدءا لخلاص الناس .

(٣) يقصد قدس الأقداس

« الذبيحة » رسم لها • لاننا نقدمه نفسه دائما حملا واحدا ، ولا نقدم الآن خروفا آخر بل الحمل نفسه دائما • « فالذبيحة » اذن هي واحدة • أو هل المسحاء كثيرون لأن « الذبيحة » تقدم في محلات كثيرة ؛ حاشا • لأن المسيح واحد في كل مكان ، وهو هنا بكلية جسدا واحدا ، كما أنه يقدم في أماكن متعددة ولا يزال جسدا واحدا لا أجسادا كثيرة ، هكذا « الذبيحة » أيضا واحدة هي • (في تفسيره العبرانيين مقالة ١٦ : ٧ وعلى ١ كو ٢٤ : ٤ وعلى رسالة أفسس ٣ : ٥ وخطاب ٣ : ٤ ، ٤ : ٤ في الكهنوت) ونجد مثل هذه الآتوال في تعاليم جميع آباء الكنيسة شرقا وغربا •

وهذه الذبيحة التي نقدمها لله في سر الشكر ، هي الذبيحة التي قدمت على الصليب لأن الذي نقدم على المذبح الآن هو حمل الله نفسه الذي قدم ذاته على الصليب لأجل خطايا العالم . وكما أن المخلص له المجد كان على الصليب مقدما ما ومقدما هكذا الآن هو أيضا المقرب والمقرب والضحية والمضحى • وفي هذا المعنى قال القديس يوحنا ذهبى الفم « ان رئيس كهنتنا العظيم قدم الذبيحة التي تطهرنا • ومن ذلك الوقت الى الآن تقدم نحن أيضا هذه الذبيحة نفسها ، وهذه الذبيحة غير الفانية وغير النافذة هي نفسها ستتم الى انقضاء الدهر حسب وصية المخلص « هذا اصنعوه لذكري » غير أن بين ذبيحة سر الشكر والذبيحة التي قدمت على الصليب فرقا بالنظر الى ظروفهما وطريقة تقديمهما ، فإن المخلص قدم لأبيه على الصليب جسده ودمه الكريمين ذبيحة منظورة • وأما في سر الشكر فلا يقدمهما تقديما حسيا منظورا بل سرى تحت شكل الخبز والخمر • على الصليب قدم الذبيحة الاستغفارية لأنه رئيس الكهنة الأعظم ، وهنا على المذبح تقدم تلك الذبيحة بواسطة كهنته • هناك على الصليب قدمت ذبيحة حقيقية بذبح الحمل وهرق دمه ، وهنا بما أنه قام من الأموات أولا يسود عليه اموات مرة ثانية تقدم الذبيحة في سر الشكر باستحالة سرية بدون هرق دم ولا موت • ولهذا سميت هذه الذبيحة « ذبيحة غير دموية » • يذبيحة الصليب حصل الخلاص لكل الجنس البشرى وتم وفاء العدل الالهى ، وأما ذبيحة سر الشكر فانها تستعطف الله دائما للصفح عن خطايا الذين قدمت لأجلهم فينالون الحياة الأبدية بالتناول منها ، ان ذبيحة الصليب قدمت مرة واحدة على الجبلجلة ، ولكن ذبيحة سر الشكر فمئذ تأسيسها تقدم دائما وتقدم الى الأبد الى وقت مجيء المسيح الثانى فى كل العالم ، وعلى مذابح لا تعد ولا تحصى : ونستنتج مما تقدم أن الذبيحتين متحدتان بلا انفصال وهما ذبيحة واحدة ، الأولى أصل والثانية شجرة ثابتة من ذاك الأصل ، غطت أغصانها كل كنيسة المسيح وتغذى جميع الذين يطلبون الحياة الأبدية بالتناول منها •

ولهذه الاعتبارات اعتبرها جميع الآباء بأنها ذبيحة استغفار تقدم عن الأحياء والأموات ، كما ورد ذلك فى كتب القدايس وفي شهادات الآباء

القديسين . قال العلامة تروتوليانوس « انها تقدم عن الأحياء والأموات
(في الاكليل ٣ وفي وحدة الزبيحة فصل ٩) . وقال القديس كبريانوس
« انها تقدم عن الأموات » (رسالة ٦٦) وقال القديس كيرلس الأورشليمي
« انها ذبيحة استغفارية . واننا نقدم المسيح مذبحا لأجل خطايانا ،
مستغفرين الاله المحب البشر عنا وعنهم » (في الأسرار ٦ : ٨ ، ٥ : ٨ و ١٠) .

وقال القديس يوحنا ذهبى الفم « لأنه لم يرتب هذا الترتيب على بسيط
الحال ، ولا باطلا نذكر المتوفين على الأسرار الالهية ، ونأتى متضرعين لأجلهم
للدحمل الموضوع الرافع خطية العالم ، بل نكى تحصل من ذلك تعزية لهم .
ولا عبثا يصرخ الواقف على المذبح عند تتميم الأسرار الرهيبة من أجل جميع
الراقدين بالمسيح والذين يصنعون التذكار من أجلهم . ولو لم يتم التذكار
من أجلهم لما قيلت هذه الكلمات . فلا نكل اذن في مساعدتنا الراقدين بتقديمنا
الصلوات من أجلهم لأن التنقية العامة لكل المسكونة هي حاضرة . ولهذا
نتعاسر أن نطلب من أجل المسكونة وقتئذ وندعو للراقدين والشهداء
والمترفين والكهنة » (مقالة ٤١ : ٤ على ١ كو) وفي محل آخر يشهد أن
اقامة التذكارات في سر الافخارستيا عن الراقدين شريعة رسولية ويقول
« لم يشرع عبثا من الرسل اقامة تذكار الراقدين حين تتميم الأسرار الرهيبة
لأن الرسل يعرفون أن للراقدين ربعا عظيما ونفعا جزيلا من ذلك » (مقالة
٣ على رسالة فيلبى) ويقول القديس كيرلس الأورشليمي « ثم بعد أن نتم
الذبيحة الروحية والعبادة غير الدموية نضرع الى الله تجاه ذبيحة الاستغفار
هذه من أجل سلامة الكنائس عموما ، ومن أجل الملوك ، ومن أجل الجنود
والمحاربين معهم ، من أجل الذين في الأمراض ، ومن أجل المتعبين ، وبالاجمال
من أجل جميع المحتاجين الى مساعدة . فنطلب نحن جميعا ونقدم هذه
الذبيحة » (في الأسرار ٥ : ١) .

القديسين . قال العلامة تروتوليانوس « انها تقدم عن الأحياء والأموات (في الاكليل ٣ وفي وحدة الزبيحة فصل ٩) . وقال القديس كبريانوس « انها تقدم عن الأموات » (رسالة ٦٦) وقال القديس كيرلس الأورشليمي « انها ذبيحة استغفارية . واننا نقدم المسيح مذبحا لأجل خطايانا ، مستغفرين الاله المحب البشر عنا وعنهم » (في الأسرار ٦ : ٨ ، ٥ : ٨ و ١٠) .

وقال القديس يوحنا ذهبى الفم « لأنه لم يرتب هذا الترتيب على بسيط الحال ، ولا باطلا نذكر المتوفين على الأسرار الالهية ، ونأتى متضرعين لأجلهم للحمل الموضوع الرافع خطية العالم ، بل نكى تحصل من ذلك تعزية لهم . ولا عبثا يصرخ الواقف على المذبح عند تتميم الأسرار الرهيبة من أجل جميع الراقدين بالمسيح والذين يصنعون التذكار من أجلهم . ولو لم يتم التذكار من أجلهم لما قيلت هذه الكلمات . فلا نكل اذن في مساعدتنا الراقدين بتقديمنا الصلوات من أجلهم لأن التنقية العامة لكل المسكونة هي حاضرة . ولهذا نتجاسر أن نطلب من أجل المسكونة وقتئذ وندعو للراقدين والشهداء والمترفين والكهنة » (مقالة ٤١ : ٤ على ١ كو) وفي محل آخر يشهد أن اقامة التذكارات في سر الافخارستيا عن الراقدين شريعة رسولية ويقول « لم يشرع عبثا من الرسل اقامة تذكار الراقدين حين تتميم الأسرار الرهيبة لأن الرسل يعرفون أن للراقدين ربعا عظيما ونفعا جزيلا من ذلك » (مقالة ٣ على رسالة فيلبى) ويقول القديس كيرلس الأورشليمي « ثم بعد أن نتمم الذبيحة الروحية والعبادة غير الدموية نضرع الى الله تجاه ذبيحة الاستغفار هذه من أجل سلامة الكنائس عموما ، ومن أجل الملوك ، ومن أجل الجنود والمحاربين معهم ، من أجل الذين في الأمراض ، ومن أجل المتعبين ، وبالاجمال من أجل جميع المحتاجين الى مساعدة . فنطلب نحن جميعا ونقدم هذه الذبيحة » (في الأسرار ٥ : ١) .

الفصل الثامن

وجوب تناول السر تحت الشكلين

ان الرب يسوع له المجد قد سلم جسده ودمه الأقدس لتلاميذه الأطهار تحت شكلي الخبز والخمر ، فقد أخذ الخبز وشكر وأعطاهم قائلا « خذوا كلوا هذا هو جسدي الخ » وكذلك أخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا « اشربوا منها كلكم » وقد سبق له المجد وقال « الحق الحق أقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير » (يو ٦ : ٥٣ و ٥٤) وكذلك قال بولس الرسول « لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضا أن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزا وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم . اصنعوا هذا لذكرى . كذلك الكأس أيضا بعد ما تعشوا قائلا هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي . اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى . فانكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء » (١ كو ١١ : ٢٣ - ٢٦) وعلى ذلك سارت الكنيسة المسيحية منذ نشأتها بأن يتناول المؤمنون هذا السر تحت الشكلين الخبز والخمر ، ويشهد بذلك سفر أعمال الرسل حيث يقول « وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات » (أ ع ٢ : ٤٢ - ٤٦) راجع أيضا (١ كو ١٠ : ١٧ ، ١١ : ٢٠) .

ولكن كنيسة رومية خالفت هذا التعليم فمنعت الشعب من تناول كأس الرب الخلاصية ، اذ أنها تناولهم الجسد فقط دون الدم . والبراهين الآتية تبين فساد ذلك التعليم :

أولا : كلام المخلص له المجد حين وعده بسر الشكر فقد قال بصريح العبارة « الحق أقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير » (يو ٦ : ٥٣ و ٥٤) .

ثانيا : كلام المخلص لتلاميذه حين تأسيس هذا السر الأقدس فقد قال لهم « خذوا كلوا هذا هو جسدي » وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا « اشربوا منها كلكم » فان قالوا ان هذا الكلام موجه للرسل ، نرد عليهم بأنه قال أيضا « خذوا كلوا هذا هو جسدي » وقوله موجه للرسل أيضا لأنهم هم وحدهم الذين تسلموه ، فيلزم على هذا القياس الباطل حرمان الشعب من الجسد أيضا ، لأن الكلام في كلا الأمرين موجه لأشخاص الرسل الأطهار .

ثالثا : قول بولس الرسول الذي يخاطب به أهل كورنثوس « أحكموا أنتم في ما أقول • كأس البركة التي نباركها ليست هي شركة دم المسيح • الخبز الذي نكسره ليس هو شركة جسد المسيح » (١ كو ١٠ : ١٥ و ١٦) وقوله أيضا « أذن أى من كل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرما في جسد الرب ودمه • ولكن ليمتحن الانسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس » (١ كو ١١ : ٢٧ و ٢٨) فهل يوجد أوضح وأصرح من هذه الأقوال •

رابعا : ان الكنيسة المقدسة هكذا سارت منذ نشأتها • واليك شهادة القديس يوستينوس الذي يقول في احتجاجاته (١ : ٨٥) « وبعد أن يتم الخادم الشكر ويقول الشعب « آمين » يناول الشماسة جميع الحاضرين من الخبز والخمر والماء ، ويحفظون جزءا من التقدمة للغائبين » وشهادة القديس كبريانوس الذي يقول في (رسالة ٥٤) « اننا نحنهم ونحرضهم على الجهاد ولا نتركهم بلا سلاح ، بل نحصنهم بالسلاح الكامل وهو جسد ودم المسيح ، لاننا كيف نعلم أن ندعو الى الاعتراف باسمه أن يهرقوا دمهم اذا كنا لا نمنح دم المسيح للمجاهدين عنه ؟ » وهكذا يقول كيرلس في (الأسرار ٤ : ٣ و ٦) والقديس يوحنا ذهبي الفم في (مقالة ٨٢ على تفسير متى) والقديس أمبروسيوس في (الأسرار ٨ : ٥٨) والقديس ايريناوس (ضد الهرطقة ٤ : ١٨ : ٥ ، ٥ : ٢) وترتليانوس في (قيامة الأموات فصل ٨) •

خامسا : يشهد بهذه الحقيقة بعض البابوات ، فمنهم البابا لاون الكبير في القرن الخامس الذي قال في إحدى عظاته في الصوم الكبير « انهم يتناولون بأفواه غير مستحقة جسد المسيح ، لكنهم يبتعدون كل البعد عن دم افتدائنا فنذكر ذلك على علم من قدسكم ، لكي يصير هؤلاء معروفين عندنا ويكشف رباؤهم التاليم الالهيات ويمنعوا عن الاشتراك بالقدسات » ، والبابا جلاسيوس في القرن الخامس الذي كتب هكذا « قد أتضح لنا أن بعضا من المسيحيين يتناولون جسد المسيح الالهي ، لكنهم يبتعدون عن كأس الدم الالهي • ولا نعلم لأي سبب يعملون هذا • فتأمر اذن أنه يجب على الجميع أن يشتركوا بالسر المقدس كاملا والا فليكن أمثال أولئك غير مقبولين فيه ، لأن قبسمة السر الواحد غير ممكنة من دون حصول اهانة عظيمة للموضوعات المقدسة والاشياء الشريفة » وكثير من المؤلفين الرومانيين يؤكدون أن الكنيسة الغربية كانت في القرون الأثنى عشر الأولى تمنح سر الشركة لجميع المسيحيين تحت الشكلين مثل كنائس الشرق • (راجع المجمع الترينتيني جلسة ٢١ في الشكر قسم ١ فصل ٣ قضية ٢٥ قانون ٢ وبيرون في مقدمات اللاهوت) ، وقال الكاردينال بارونبيوس المؤرخ « ان غريغوريوس بابا رومية قال ان المسافرين يحملون معهم جسد المسيح ودمه » (تاريخه خطاب ٣ فصل ٣١) ويشهد الكاردينال بونا نفس هذه الشهادة في النساك في (الخدم ٢ : ١٨ : ١١) ويذكر مثال مريم البارة المصرية التي كانت تشترك من يدى القديس زوسيمما بجسد المسيح ودمه (راجع السنكسار) •

الفصل العاشر

الأثمار الخلاصية التي ننالها بواسطة سر الشكر

ان الذين يتناولون هذا السر الأقدس باستحقاق ينالون أثمارا خلاصية
أهمها :

أولا : الثبات والاتحاد مع المسيح له المجد ، وذلك بناء على وعده الصادق القائل « من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه » (يو ٦ : ٥٦)
فبتناولنا من هذا السر نكون - كما يقول آباء الكنيسة - أعضاء جسده
ومشاركي طبيعته الالهية .

ثانيا : النمو في النعمة والكمال الروحي والحياة في الرب يسوع لانه
له المجد يقول « جسدي مأكّل حق ودمي مشرب حق .. كما أرسلني الأب الحي وأنا حي بالأب فمن يأكلني فهو يحيا بي . هذا هو الخبز الذي نزل
من السماء . ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا . من يأكل هذا الخبز فانه
يحيا الى الأبد » (يو ٦ : ٥٥ - ٥٨) .

فاذا كان القوت العادي يغذي الجسم ويقويه ويعيد اليه قواء ويمنحه
دقائق حيوية جديدة ، فكم بالحري هذا القوت الروحي يمنحنا الصحة والغذاء
لأرواحنا ويوحدنا بالمسيح ويشفي ضعفنا وينقى نفوسنا من الخطايا .

ثالثا : يمنحنا عربون الحياة والقيامة المجيدة كما قال له المجد « من
يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير ..
من يأكل هذا الخبز فانه يحيا الى الأبد » (يو ٦ : ٥٤ - ٥٨) .

وقد قال عنه الآباء القديسون انه دواء لعدم الموت وحرز ضده ، وتثبيت
للحياة الأبدية بيسوع المسيح ، وأن الاشتراك في سر الشركة هو الاشتراك
في الحياة الأبدية .

الفصل العاشر

الأثمار الخلاصية التي ننالها بواسطة سر الشكر

ان الذين يتناولون هذا السر الأقدس باستحقاق ينالون أثمارا خلاصية
أهمها :

أولا : الثبات والاتحاد مع المسيح له المجد ، وذلك بناء على وعده الصادق القائل « من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه » (يو ٦ : ٥٦)
فبتناولنا من هذا السر نكون - كما يقول آباء الكنيسة - أعضاء جسده ومشاركي طبيعته الالهية .

ثانيا : النمو في النعمة والكمال الروحي والحياة في الرب يسوع لانه له المجد يقول « جسدي مأكّل حق ودمي مشرب حق .. كما أرسلني الأب الحي وأنا حي بالأب فمن يأكلني فهو يحيا بي . هذا هو الخبز الذي نزل من السماء . ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا . من يأكل هذا الخبز فانه يحيا الى الأبد » (يو ٦ : ٥٥ - ٥٨) .

فاذا كان القوت العادي يغذي الجسم ويقويه ويعيد اليه قواء ويمنحه دقائق حيوية جديدة ، فكم بالحري هذا القوت الروحي يمنحنا الصحة والغذاء لأرواحنا ويوحدنا بالمسيح ويشفي ضعفنا وينقى نفوسنا من الخطايا .

ثالثا : يمنحنا عربون الحياة والقيامة المجيدة كما قال له المجد « من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير .. من يأكل هذا الخبز فانه يحيا الى الأبد » (يو ٦ : ٥٤ - ٥٨) .

وقد قال عنه الآباء القديسون انه دواء لعدم الموت وحرز ضده ، وتثبيت للحياة الأبدية بيسوع المسيح ، وأن الاشتراك في سر الشركة هو الاشتراك في الحياة الأبدية .

الفصل الحارث عشر

وجوب استعمال الخبز والخمير ، وادحاض بدعة الفطير

ان الكنيسة الأرثوذكسية قد تسلمت من السيد المسيح والسادة الرسل الأطهار أن تتم سر الشكر بخبز خمير ، تابعة في ذلك تعليم الانجيل وما جرى عليه الرسل وآباء الكنيسة . ولكن كنيسة رومية ابتدعت منذ الجيل الحادى عشر بدعة جديدة وهى تقديس هذا السر بالفطير . ولما رأت أن كثيرين من أتباعها الشرقيين لم يقبلوا هذا التعليم ، فلئلا ينشققوا عن كنيستهم ، سمحت لهم باتمام السر بالخبز الخمير ، مدعية أنه لا يجوز تقديس هذا السر بالنعجين سواء من الخمير أو الفطير ، ولكنها لا تتمه الا بالفطير .

وأول ما ابتدع هذه البدعة هو أبوليناريوس الملحد الذى جدف قائلا عن المسيح له المجد انه لما تجسد أخذ من البتول القديسة مريم والدته جسدا بلا نفس ولا عقل ، زاعما زعما فاسدا أن لاهوت المسيح أغنى عن هذين الاثنين (النفس والعقل) وبناء على بدعته هذه بدأ يقديس سر الشكر بالفطير خاليا من الملح والخمير . مشيرا بذلك الى أن المسيح عادم النفس والعقل البشرين ، وقد قطع أبوليناريوس هذا من الكنيسة واعتبر هرطوقيا ، وأنكرت الكنيسة استعمال الفطير في هذا السر المقدس .

ولدحض هذا التعليم تذكر بالاختصار سنة الفطير عند اليهود وزمن تعبيدهم الفصح وسبب ذلك . فنقول انه لما أراد الله أن يخرج بنى اسرائيل من أرض مصر وشرع يضرب المصريين الضربة الأخيرة ، التى هى اماتة الأبنكار من الناص والبهائم . أمر بنى اسرائيل أن تأخذ كل عائلة منهم حملا وذلك فى اليوم العاشر من شهر نيسان ، الذى جعل رأسا لسننتهم . وأن يذبحوه فى اليوم الرابع عشر ويأخذوا من دمه ويجعلوه على قائمتى الباب وعتبته العليا . ويأكلوا لحمه فى تلك الليلة التى هى الخامس عشر من الشهر مشويا بالتلا مع فطير على أعشاب مرة . ويأكلونه وأحقاؤهم مشدودة وأحذيتهم فى أرجلهم وعصيهم فى أيديهم ويأكلونه بعجلة . هو فصع للرب ، فان الرب يجتاز فى تلك الليلة ويضرب كل بكر فى أرض مصر ، ويورى الرب الدم علامة على بيوت الامرائيليين فلا يكون عليهم ضربة للهلاك . ويكون ذلك فریضة دهرية لهم يخاون منازلهم سبعة أيام من الحمير ويأكلون عوضه فطيرا (راجع خر ١٢ و ١٣ ، لا ٢٣ ، عدد ٩ و ٢٨ ، تث ١٦) .

وبناء على ذلك تعلم كنيستنا أن المسيح له المجد صنع العشاء الرباني قبل أن يأتي عيد الفصح بيوم كامل • أي مساء الخميس ١٣ نيسان الذي هو بدء الجمعة ١٤ منه • لأن اليوم يبتدىء من مساء اليوم الذي قبله • فبدء الجمعة هو مساء الخميس • وبدء السبت الذي كان واقعا وقتئذ ١٥ نيسان أي اليوم الأول من عيد الفطير هو مساء الجمعة ، وعليه يكون السيد له المجد تم هذا السر بخبز خمير قبل أن يبدأ استعمال الفطير • وأما الكنيسة الباباوية فتزعم أن الخميس الذي صنع المسيح في مسائه العشاء السرى كان واقعا وقتئذ ١٤ نيسان لا ١٣ منه كما تعلم كنيستنا ، فيكون اليوم الأول من عيد الفطر وقتئذ الجمعة وبدؤه مساء الخميس • وسنورد فيما يأتي البيئات الكتابية القاطعة لاثبات صحة تعليم الكنيسة الأرثوذكسية :

أولا : قال القديس يوحنا الانجيلي « أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم الى الأب اذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم أحبهم الى المنتهى • فحين كان العشاء وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الأسخريوطي أن يسلمه ••• قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتزر بها • ثم صب ماء في مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متزرا بها ••• وقال الحق الحق أقول لكم ان واحدا منكم سيسلمني ••• أجاب يسوع هو ذاك الذي اغمس أنا اللقمة وأعطيه • فغمس اللقمة وأعطاهم ليهوذا سمعان الأسخريوطي فبعد اللقمة دخله الشيطان » (يو ١٢ : ١ - ٢٧) ••

فهنا يصرح يوحنا الانجيلي أن العشاء الرباني الذي عقبه غسل أرجل التلاميذ وتسليم يهوذا ، قد صنعه الرب يسوع قبل عيد الفصح لا فيه أو بعده •

ثانيا : قال القديس يوحنا الانجيلي « ثم قبل الفصح بستة أيام أتى يسوع الى بيت عنيا حيث كان لعازر الميت الذي أقامه من الأموات • فصنعوا له هناك عشاء ••• وفي الغد سمع الجمع الكثير الذي جاء الى العيد أن يسوع أت الى اورشليم فأخذوا سعوف النخل وخرجوا للقاءه » (يو ١٢ : ١ - ١٣) ، فهذا العشاء الذي صنعه يسوع كان قبل الفصح بستة أيام • أي كان مساء ليلة الأحد الذي دخل فيه الرب الى اورشليم راكبا الأتان • وهذا يؤيده تفاسير الباباويين • قال نيافة المطران يوسف الدبس مطران الموارنة في كتابه « تحفة الجليل في تفسير الأناجيل » الذي ترجمه عن اللاتينية من تفاسير كرنيليوس الحجري ويوحنا ملدوناتوس ويعقوب تيريني اليسوعيين في صفحة ٣١٤ عند تفسير العدد ٦ من ص ٢٦ من تفسير متى « وفيما كان يسوع في

بيت عنيا : ان هذا الأمر كان حدوثه قبل هذا الوقت (١) في اليوم السادس مساء الأحد الذي دخل فيه الى اورشليم راكبا الآتان ، وذكره متى هنا تمهيدا لذكر خيانة يهوذا ، وذلك يظهر من بشارة يوحنا (١٢ : ١) حيث روى أن يسوع أتى الى بيت عنيا قبل الفصح بستة أيام فصنعوا له هناك عشاء ، وإذا تقرر أن قبل الفصح بستة أيام كان السبت مساء الأحد ، فهل يكون عيد الفصح عند اليهود الخميس مساء الجمعة كما تدعى الكنيسة الباباوية أم الجمعة مساء السبت كما تعلم الكنيسة الأرثوذكسية :

ثالثا : جاء أيضا في (يو ١٨ : ٢٨) « ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا الى دار الولاية ، وكان صبح ، ولم يدخلوا هم الى دار الولاية لئلا يتنجسوا فيأكلون الفصح » والظاهر من هذه العبارة أن اليهود لم يدخلوا دار الولاية صباح الجمعة لئلا يتنجسوا لأن الذي يأكل الفصح يجب أن يكون طاهرا ، وإذا تنجس امتنع عن أكل الفصح كما جاء في سفر العدد (٨ : ٦ - ١١) وهذا يدل على أن فصح اليهود لم يكن قد بدأ في يوم الجمعة صباحا وهم يكونوا آكلوه بل كانوا مستعدين لآكله يوم الجمعة مساء ، وهذا أمر لا يحتمل تأويلا .

رابعا : قال القديس متى الانجيلي (٢٧ : ٦٢ - ٦٤) « وفي الغد الذي بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون الى بيلاطس ، قائلين : « فمر بضبط انقبر الى اليوم الثالث الخ ، وقال مار مرقس الانجيلي (١٥ : ٤٢ و ٤٣) « ولما كان المساء اذ كان الاستعداد ، أي ما قبل السبت جاء يوسف وطلب جسد يسوع ، وقال لوقا الانجيلي في (٢٣ : ٥٤) « وكان يوم الاستعداد والسبت يلوح » وقال يوحنا الانجيلي في (١٩ : ٤٢) « فهناك (أي في القبر) وضعنا يسوع لسبب استعداد اليهود لأن القبر كان قريبا » يتضح من أقوال الانجيليين الأربعة أن يوم الجمعة الذي صلب فيه المسيح كان يوم استعداد للفصح لا يوم الفصح ، وعليه تسقط دعوى الكنيسة الباباوية بأن ذلك الجمعة كان ١٥ نيسان أي بدء عيد الفطر - وإذا اعترض الباباويون بأن ذلك الاستعداد كان للسبت لا للفصح فنندفع اعتراضهم بقول يوحنا الانجيلي « فلما سمح بيلاطس هذا القول أخرج يسوع وجلس على كرسي الولاية » وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة « (يو ١٩ : ١٣ و ١٤) فيوحنا الانجيلي يصرخ بأن ذلك الاستعداد كان للفصح لا للسبت ، وأما قول مرقس « ما قبل السبت » ولوقا « وأخذ السبت يلوح » فلا يفهم منه أن الاستعداد كان للسبت بل أن ذلك السبت كان واقعا فيه الفصح ، ولو كانت

(١) قبل هذا الوقت : أي الوقت الذي تم فيه الفصح ، فقد وقع الفصح بعد دخول السيد بيت عنيا بستة أيام .

الفصح واقعا يوم الخميس مثلا لقالا « ما قبل الخميس » « وأخذ الخميس يلوح »
ولا يكون المعنى حينئذ أن الاستعداد للخميس بل أن الفصح متفق وقوعه يوم
الخميس .

خامسا : جاء في (مت ٢٧ : ٢ - ٧) « حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه
انه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ . . .
فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم ،
فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء » وورد في مرقس
(١٥ : ٤٦) ولوقا (٢٣ : ٥٣) « فاشترى يوسف كتانا فأنزله وكفنه
بالكتان ووضع في قبر » وورد أيضا في (مر ١٥ : ٢١ ، لو ٢٣ : ٢٦)
« فسخرها رجلا مجتازا كان آتيا من الحقل وهو سمعان القيرواني أبو الكندرس
وروفس ليحمل صليبه » فمن قول متى أن رؤساء الكهنة اشتروا يوم الجمعة
حقل الفخاري نتأكد أن يوم الجمعة لم يكن قد دخل الفصح لانه لو كان دخل
فكيف جاز لهم أن يشتروا فيه ، والتاموس ينهى عن ذلك في اليوم الأول من
العيد . كذلك من قول مرقس أن يوسف الذي كان من كبار اليهود اشترى
كتانا يوم الجمعة نتأكد أن يوم الجمعة لم يكن قد دخل الفصح ، وكذلك أيضا
نتأكد من قول مرقس ولوقا أن سمعان القيرواني كان آتيا من الحقل يوم
الجمعة ، أن ذلك اليوم لم يكن يوم عيد الفصح .

سادسا : قال يوحنا الانجيلي « ثم اذ كان استعداد فلكني لا تبقى الأجساد
على الصليب في السبت لأن يوم ذلك السبت كان عظيما سأل اليهود بيلاطس
أن تكسر سيقانهم ويرفعوا » (يو ١٩ : ٣١) ففي هذه الآية نرى :

١ - أن يوم ذلك السبت كان عظيما بسبب وقوع الفصح فيه .

٢ - أن عصر الجمعة حين موت المسيح على الصليب كان استعداد الفصح
لا يوم الفصح .

٣ - أن اليهود في عصر ذلك اليوم سألوا بيلاطس أن تكسر سيقان المصلوبين
لموتهم ودفنهم قبل السبت لثلا تبقى الأجساد على الصليب في ذلك
السبت الواقع فيه الفصح ، لأن دفنها فيه محرم وبقاؤها يذهب ببهاء
العيد . فلو كان الفصح وقتئذ الجمعة لما كانوا يلحون على بيلاطس في
طلبهم .

سابعا : قال الانجيليون متى ومرقس ولوقا بأن الوالي كان يطلق لليهود
في العيد أسيرا من أرادوه وأنه أطلق لهم باراباس وأسلم اليهم يسوع
بعد ما جلدته (مت ٢٧ : ١٥ - ٢٦ ، مر ١٥ : ٦ و ١٥ ، لو ٢٣ : ١٧)
فمن اطلاق بيلاطس الوالي باراباس اللص يوم الجمعة حينما حوكم المسيح

الى ذلك الحين كانوا يأكلون الخبز المختمر . واذا سألنا نحن المعترض من أين وجد الفطير قبل حلول العيد ؟ فانه يصعب عليه الجواب . ولكن مرقس الانجيلي يرفع كل شبهه بقوله « وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزا » (مر ١٤ : ٢٢) كذلك الرسل لم يستعملوا سوى الخبز الخمير الاعتيادي كما ورد في سفر الأعمال (راجع أع ٢ : ٤٢ و ٤٦ ، ٢٠ : ٧ ، ١ كو ١٠ : ١٦ و ١٧ ، ١١ : ٢٣) .

ثاني عشر : ان سر الافخارستيا لم يتم منذ الأزمنة الرسولية الا بخبز خمير للأسباب الآتية :

- ١ - لأن الخبز الذي كان يستعمل في السر كان يجمع من تقدمات الشعب أي من بيوت المؤمنين وكانوا يقدمونه خبزا اعتياديا يصلح لموائد المحبة التي كانوا يعملونها ولاعانة الفقراء .
- ٢ - لم يسمه أحد من الآباء الأقدمين فطيرا بل يسمونه خبزا اعتياديا وأحيانا خبزا مختمرا .
- ٣ - ان القديس أيبفانيوس رئيس أساقفة قبرص عند تكلمه عن الهراطقة قال عن هرطقة الأبيونيين « انهم كانوا يتمسكون بالشرعية الموسوية وانهم كانوا يتممون سر الافخارستيا بفطير وماء فقط » (هرطقة ٣٠ : ١٦) ، موضحا أن ذلك مخالف لعادة الكنيسة .
- ٤ - ان كثيرين من المؤلفين الغربيين من الكاثوليك والبروتستانت يعترفون في مؤلفاتهم ويبرهنون على أن الفطير لم يكن مستعملا في الكنيسة الغربية الى القرن الحادي عشر : « منهم (سيرموند في تأليفه في الفطير سنة ١٦٥١ وكوتيلاريوس في مؤلفه في الكنيسة اليونانية (صفحة ١٠٨) وباكبيوس في حواشيه على تاريخ بارون (١٥:٣١٣) وبينكام في الكنيسة القديمة (١٥ : ٢) وتاريخ الكنيسة لكلاين (جزء ٤ صفحة ٤٣٠) . قال البابا أيتوشنسيوس « ان القسوس يأخذون خبزا مختمرا لكي يشبهوا ذواتهم (١) منفصلين عن ذلك الاله العلي » (رسالة ٢٥ : ٤ : ٨) وقال ملتيا دس في ترجمته « هكذا قد صنع ان تقدم قرابين للكنيسة . . . القرابين التي نسميها « مختمرا » . وقال بيرون في كتابه مقدمة اللاهوت في شرح سر الافخارستيا (قسم ٢ فصل ٣ قضية ١) « ان الخمير والفطير يصلحان على السواء لانما سر الشكر الالهي » ولكنهم في التقديس لا يستعملون غير الفطير وحده .

(١) لكي يشبهوا ذواتهم منفصلين . . . الخ يقصد أن بعض قسوسهم كانوا يقدمون الخبز بدل الفطير في سر الشكر ، وبهذا يعلنون انفصالهم حسب رأيه عن الله لأنه كان يقدم الفطير .

الى ذلك الحين كانوا يأكلون الخبز المختمر . واذا سألنا نحن المعترض من أين وجد الفطير قبل حلول العيد ؟ فانه يصعب عليه الجواب . ولكن مرقس الانجيلي يرفع كل شبهه بقوله « وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزا » (مر ١٤ : ٢٢) كذلك الرسل لم يستعملوا سوى الخبز الخمير الاعتيادي كما ورد في سفر الأعمال (راجع أع ٢ : ٤٢ و ٤٦ ، ٢٠ : ٧ ، ١ كو ١٠ : ١٦ و ١٧ ، ١١ : ٢٣) .

ثاني عشر : ان سر الافخارستيا لم يتم منذ الأزمنة الرسولية الا بخبز خمير للأسباب الآتية :

- ١ - لأن الخبز الذي كان يستعمل في السر كان يجمع من تقدمات الشعب أي من بيوت المؤمنين وكانوا يقدمونه خبزا اعتياديا يصلح لموائد المحبة التي كانوا يعملونها ولاعانة الفقراء .
- ٢ - لم يسمه أحد من الآباء الأقدمين فطيرا بل يسمونه خبزا اعتياديا وأحيانا خبزا مختمرا .
- ٣ - ان القديس أيبفانيوس رئيس أساقفة قبرص عند تكلمه عن الهراطقة قال عن هرطقة الأبيونيين « انهم كانوا يتمسكون بالشرعية الموسوية وانهم كانوا يتممون سر الافخارستيا بفطير وماء فقط » (هرطقة ٣٠ : ١٦) ، موضحا أن ذلك مخالف لعادة الكنيسة .
- ٤ - ان كثيرين من المؤلفين الغربيين من الكاثوليك والبروتستانت يعترفون في مؤلفاتهم ويبرهنون على أن الفطير لم يكن مستعملا في الكنيسة الغربية الى القرن الحادي عشر : « منهم (سيرموند في تأليفه في الفطير سنة ١٦٥١ وكوتيلاريوس في مؤلفه في الكنيسة اليونانية (صفحة ١٠٨) وباكبيوس في حواشيه على تاريخ بارون (١٥:٣١٣) وبينكام في الكنيسة القديمة (١٥ : ٢) وتاريخ الكنيسة لكلاين (جزء ٤ صفحة ٤٣٠) . قال البابا أيتوشنسيوس « ان القسوس يأخذون خبزا مختمرا لكي يشبهوا ذواتهم (١) منفصلين عن ذلك الاله العلي » (رسالة ٢٥ : ٤ : ٨) وقال ملتيا دس في ترجمته « هكذا قد صنع ان تقدم قرابين للكنيسة . . . القرابين التي نسميها « مختمرا » . وقال بيرون في كتابه مقدمة اللاهوت في شرح سر الافخارستيا (قسم ٢ فصل ٣ قضية ١) « ان الخمير والفطير يصلحان على السواء لانما سر الشكر الالهي » ولكنهم في التقديس لا يستعملون غير الفطير وحده .

(١) لكي يشبهوا ذواتهم منفصلين . . . الخ يقصد أن بعض قسوسهم كانوا يقدمون الخبز بدل الفطير في سر الشكر ، وبهذا يعلنون انفصالهم حسب رأيه عن الله لأنه كان يقدم الفطير .

الفصل الثاني عشر

ادحاض الاعتراضات في هذا الشأن

أما دعاوى الكنيسة الباباوية التي تقدمها وتزعم بناء عليها أن يوم ذلك الجمعة الذي صلب فيه المسيح كان ١٥ نيسان أول العيد . وأن المسيح له المجد قدس سر جسده ودمه الأقدس على الفطير ، فنوردها هنا مع الرد عليها :

أولا : جاء في انجيل متى « وفي أول أيام الفطير تقدم التلاميذ الى يسوع قائلين : له أين تريد أن نعد لك لتأكل الفصح . فقال اذهبوا الى المدينة الى فلان . وقولوا له المعلم يقول ان وقتي قريب . عندك أصنع الفصح مع تلاميذي . ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح » (مت ٢٦ : ١٧ - ١٩) وفي انجيل مرقس « وفي اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح قال له تلاميذه . أين تريد أن نمضي ونعد لتأكل الفصح الخ » (مر ١٤ : ١٢) وفي انجيل لوقا « وجاء يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يذبح فيه الفصح . فأرسل بطرس ويوحنا قائلا اذعبا وأعدا لنا الفصح لتأكل » (لو ٢٢ : ٧ و ٨) ويستندون على قول متى ومرقس « وفي أول أيام الفطير » وقول لوقا « وجاء يوم الفطير » .

فرد على ذلك بأنه لا توجد مناقضة بين انجيل وآخر . ولا بين آية وغيرها ، ولا يمكن أن يخالف انجيلي نفسه أو غيره . وهذا أمر مسلم به عند جميع المسيحيين . وقد أثبتنا فيما سبق أن الانجيليين الثلاثة متى ومرقس ولوقا يصرحون أن يوم الجمعة كاف استعداد الفصح لا يوم الفصح . وأن اليهود في ذلك اليوم كانوا يشترون ويعملون يوم الجمعة أعمالا لا تجوز مطلقا في اليوم الأول من العيد ، مثل شراء حقل الفخاري ، وشراء يوسف كتانا ، وذهاب سمعان القيرواني الى الحقل ، وتسخيره حمل الصليب . وأن ظهر الجمعة أطلق باراباس اللص قبل أن يدخل العيد وغير ذلك . فمن المستحيل أن يناقض الانجيليون أنفسهم ، ومن المستحيل أيضا أن يناقضوا أخاهم يوحنا الانجيلي الذي يصرح أن قبل الفصح صنع يسوع العشاء السرى . وأن اليهود صباح الجمعة لم يكونوا أكلوا الفصح ، بل كانوا مستعدين لأكله ، وأن يوم ذلك السبت كان عظيما لوقوع اليوم الأول من الفطير فيه . . . الخ .

فاذن لا بد أن نبسط الغرض والمعنى في قول الانجيليين ونوضحه بأجلى بيان .

أما قول لوقا « وجاء يوم الفطير » فهو بمعنى « قرب » لأن الأمور المقرر وقوعها في وقت معين يقال عنها جاءت أو بلغت إذا كان هذا الوقت قريبا جدا . ففي يوم الجمعة العظيمة أو يوم السبت عندنا نحن المسيحيين يصح أن يقال « جاء عيد الفصح » أي صار قريبا جدا لا أنه جاء حقيقة ، وهكذا قصد لوقا كما يتضح من نفس قوله « وأعدنا لنا الفصح لتأكل » لأن الاستعداد يكون قبل دخول العيد لا بعده ، وهذا ما قاله القديس يوحنا ذهبي الفم في شرحه كلام لوقا « وجاء يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يذبح فيه الفصح يعني أنه كان قريبا على الأبواب لا أنه أتى » (تفسير متى ٢٦ : ١٧) .

أما كلام الانجيلي متى في اليوناني فهو (تي بروتى تون أزيمون) وتعريبه « وفي أول الفطير » وقول مرقس (كى تي أيميراتون أزيمون) وتعريبه « وفي أول يوم الفطير » فلفظة « بروتى » التي تعريبها « أول » تأتي أحيانا في اللغة اليونانية بمعنى « قبل » ، وقد وردت مرارا في شعر هوميروس أعظم شعراء اليونان بمعنى « قبل » . واليانوس أحد كتبة اليونان المشاهير استعملها بمعنى « قبل » في قوله « اي بروتى موتافتا انيخنيفساندس ني » وتعريبه « الذين قبلي بحثوا هذه الأبحاث » فضلا عن أن القديس يوحنا الانجيلي نفسه أوردها في الأصحاح الأول من بشارته بمعنى « قبل » حيث يقول « أوتى بروتوس موين » أي « الذي يأتي بعلى انه كان قبلي » (يو ١ : ١٥) وفي لغتنا العربية تأتي « أول » أحيانا بمعنى قبل نحو « أول من أمس » أي قبل أمس . فقول متى ومرقس « وفي أول أيام الفطير » يقصد به « قبل الفطير » كما يتبين من قولهما أين تريد أن نعد لك لتأكل الفصح .

وقد شرح كثيرون من اللاهوتيين بأن الفصح الذي صنعه مخلصنا ليس هو الفصح اليهودي القديم ، بل هو الفصح الجديد الذي أشار إليه المخلص بقوله « هذا هو دمي الذي للعهد الجديد » (مت ٢٦ : ٢٨) وبقوله « شهرة أشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتالم » (لو ٢٢ : ١٥) فالفصح الناموسى اليهودى ما كان يشتهي ، لأنه كان قد آكله معهم مرات ، بل الفصح الجديد ، أي أنه اشتهى أن يسلمهم فصحا جديدا بعهد جديد . ومن المعلوم أن مخلصنا وتلاميذه كانوا متكئين في هذا الفصح ، وكانوا يشربون خمرا ويغمسون أيديهم في الصفحة وما أشبه . فلو كان الفصح اليهودى لما جاز لهم ذلك ، لأنه يجب أن يأكله اليهود وقوفا بحمل مجرد مع أعشاب مرة فلا يتكثون ولا يشربون معه خمرا أو غيره . فضلا عن أن الفصح الاسرائيلي ابتداء في ذلك الوقت مساء الجمعة بدء السبت ، والمسيح صنع فصحه مساء الخميس بدء الجمعة . والقديس يوحنا ذهبي الفم في شرحه الأصحاح ٢٦ من بشارة متى ظن أن في مساء الخميس بدء الجمعة حينما صنع المسيح العشاء كان قد دخل

الفصح اليهودى • ولكنه عندما شرح انجيل يوحنا غير رايه بعد أن تحقق وقال في شرح الأصحاح الثامن عشر منه ما نصه « ان المسيح صنع الفصح قبل بيوم حافظا ذبيحة الى الجمعة عندما صار الفصح قديما أيضا ، (١) •

ثانيا : يزعم الباباويون ان حمل الفصح الاسرائيلى الذى خلص الاسرائيليين قديما كان رمزا الى المسيح حمل الله الراجع خطايا العالم • فمن الضرورى أن يذبح المسيح يوم ذبح الحمل الفصحى الاسرائيلى ، وبما أن المسيح صلب يوم الجمعة فيكون عيد الفطير يوم الجمعة لا يوم السبت •

ونرد على ذلك بأن هذه الدعوى عليهم لا لهم ، لأن حمل الفصح يجب أن يذبح مساء اليوم الرابع عشر بدء اليوم الخامس عشر ، ويؤكل تلك الليلة ولا يبقى منه شيء الى الصباح • فلو كان عيد الفطير يوم الجمعة حين صلب المسيح لكان ذبح الحمل الفصحى مساء الخميس • والمسيح ذبح الساعة التاسعة من يوم الجمعة ، وبين مساء الخميس وعصر يوم الجمعة احدى وعشرون ساعة ، وعلى ذلك يكون العيد يوم السبت ليذبح الحمل الفصحى الاسرائيلى مساء الجمعة ، أى وقت ذبح المسيح أو بعده بساعتين ، وحينئذ يقال ان المسيح والحمل تقدا في وقت واحد ، فاذن تلك الدعوى ساقطة •

ثالثا : يزعمون أن المسيح له المجد لما رافق التلميذين في طريقهما الى عمواس يوم قيامته في عيد الفطير وأتكا معهما « أخذ خبزا وبارك وكسر وناولهما » (لو ٢٤ : ١٣ - ٤٥) وعلى ذلك يكون الرب يسوع صنع سر الشكر بفطير • فنحضر هذا الزعم بأن ما عمله مخلصنا في عمواس لم يكن سر الافخارستيا :

١ - لأن الرب عمل هذا السر مرة واحدة وسلمه لتلاميذه قائلا « اصنعوا هذا لذكرى ، وهو غير محتاج أن يذكر نفسه للتلميذين في طريق عمواس • وجميع الآباء القديسين متفقون على أن المسيح له المجد صنع عشاء السرى مرة واحدة يوم الخميس مساء •

٢ - ان المسيح أعطي هذين التلميذين خبزا فقط ولم يعطهما خمرا ، ومن المعنوم أن هذا السر لا يتم الا تحت الشكلين الخبز والخمر •

٣ - ان المسيح لما ناولهما الخبز لم يقل لهما هذا هو جسدى كما سماه يوم الخميس ، ليعلم التلاميذ أن القصد من تلك البركة تقديسه وصيرورته جسدا • أما هنا فاكفى بأن بارك وكسر وناولهما ، وقصد بهذه البركة اعجوبة تفتيح أعين التلميذين ليعرفاه ، أما كونه كسر وبارك فهكذا اعتماد المخلص ، لأنه أيضا بارك وكسر وأعطى الخمسة

(١) قوله صنع الفصح أى الفصح الجديد بسر الشكر • وقوله (قبل بيوم) أى قبل فصح اليهود بيوم ثم قدم نفسه ذبيحة يوم الجمعة الذى فى مسائه أكل اليهود فصحهم •

٤ - سر التوبة

الفصل الأول

تعريف سر التوبة وتأسيسه

سر التوبة هو سر مقدس به يرجع الحاطيء الى الله ويتصالح معه تعالى ، باعترافه بخطاياہ امام كاهن الله ليحصل على حل منه بالسلطان المعطى له من الرب يسوع . وبه ينال تجديده وغفران خطاياہ . وقد دعا العلامة ترتوليانوس هذا السر « حلا للخطايا » و « ميناء ثلانية بعد الغرق » ودعاہ القديس ايريناوس « اعترافا » ودعاہ أغسطسينوس « مصالحة » ودعاہ مجمع قرطاجنة « معمودية ثانية » ، وقبل أن يؤسس الرب يسوع هذا السر وعد به مرتين : **الأول** : عندما اعترف به بطرس قائلا أنت هو المسيح ابن الله الحي . فقل له السيد « وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات . فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السموات . وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا في السموات » (مت ١٦ : ١٩) ، **والثانية** : عندما أعطى الكنيسة سلطان الحل والربط بقوله لتلاميذه « والله لم يسمع منهم فقل للكنيسة . وان لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار . الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء . وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا في السماء » (مت ١٨ : ١٧ و ١٨) وبناء على هذه المواعيد أسس الرب هذا السر بعد قيامته عندما ظهر لتلاميذه وقال لهم « سلام لكم . كما أرسلني الأب أرسلكم أنا . ولما قال هذا بفتح وقال لهم اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياہ تغفر له . ومن أمسكتم خطاياہ أمسكت » (يو ٢٠ : ٢١ - ٢٣) فيتضح من هذه النصوص الالهية أن الرب يسوع منح تلاميذه وخلفاءهم سلطانا أن يحلوا الخطايا ويربطوها ، وان يتركوها ويمسكوها بقوة روح الله القدس . وأن يعلنوا غفران الخطايا للبشر .

الفصل الثاني

استعمال هذا السر في الكنيسة

قد نشأت الكنيسة منذ العصر الرسولي وهي تستعمل وتمارس هذا السر ، وقد حفظه وعلم به جميع آباء الكنيسة بكل تدقيق . فقد ورد في قوانين الرسل هكذا أن كل أسقف أو قسيس لا يقبل من يرجع عن خطيته بل يطرده يقطع لأنه يحزن المسيح القائل يصير في السماء فرح بخاطيء يتوب » (قانون ٥٢) وورد أيضا في أوامر الرسل تذكير المتقدمي الكنيسة بأنهم أؤتمنوا على سلطان الحل والربط ، وإشارة إلى الوجوه التي بها يفحصون الخطاة ويرشدون التائبين ، وفي الوقت نفسه أوصت المؤمنين بأن « وقروهم (الآباء الروحانيين) وأكرمواهم وقدموا لهم جميع أنواع الكرامة ، لأنهم أخذوا من الله سلطان الحياة والموت بأن يحاكموا الخطاة ويحكموا بموت نار أبدى ، وأن يحلوا الراجعين عن خطاياهم » (راجع كتاب ٢ : ١١ و ١٢ و ١٥ و ١٦ وفصل ٣٦ - ١٠ : ٤٨) وقد مارس الرسل أنفسهم هذا السلطان كما يتضح مما جاء في سفر أعمال الرسل (١٩ : ١٨) « وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرنين ومخبرين بأفعالهم » .

وقد أستعمل بولس الرسول هذا السلطان مع المختلط بالدم في كورنثوس حيث حرمه وفرزه من الكنيسة ، ولما أثمر فيه العلاج عاد وحله من قصاصه وأعادته إلى الكنيسة (راجع ٢ كو ٢ : ٥ - ١١) .

وقد اعترف جميع آباء الكنيسة صراحة بهذا التعليم فقد قال القديس كبريانوس « ان هؤلاء قبل أن يتوبوا عن خطاياهم بانسحاق قلب وبساطة وقبل أن يعترفوا أمام كهنة الله العلي ويطهروا ضمائرهم ، ويطلبوا من الكهنة علاجات خلاصية لجراحهم الروحية ، ويستعطفوا الرب على الإهانة التي أهانوا بها إيمانه العديم العيب كانوا يتجاسرون بلا حياء أن يشتركوا بجسد الرب ودمه . . . فاطلب اليكم أيها الأحباء أنه تعترفوا بخطاياكم ما دمتم في الحياة الحاضرة ، حيث الصفح عن الخطايا الممنوح من الكهنة مقبول ومرضى عند الله أيضا » (في الساقطين ٢٨ و ٢٩) وقال القديس أثناسيوس « كما أن المعمد يستنير بنعمة الروح القدس ، هكذا بواسطة الكاهن ينال التائب الغفران بنعمة المسيح » (ضد النواتيين) وقال القديس باسيليوس الكبير « إن الاعتراف بالخطايا للمؤمنين على تدبير أسرار الله ضروري ، لأن الذين كانوا

الفصل الثاني

استعمال هذا السر في الكنيسة

قد نشأت الكنيسة منذ العصر الرسولي وهي تستعمل وتمارس هذا السر ، وقد حفظه وعلم به جميع آباء الكنيسة بكل تدقيق . فقد ورد في قوانين الرسل هكذا أن كل أسقف أو قسيس لا يقبل من يرجع عن خطيته بل يطرده يقطع لأنه يحزن المسيح القائل يصير في السماء فرح بخاطيء يتوب » (قانون ٥٢) وورد أيضا في أوامر الرسل تذكير المتقدمي الكنيسة بأنهم أؤتمنوا على سلطان الحل والربط ، وإشارة إلى الوجوه التي بها يفحصون الخطاة ويرشدون التائبين ، وفي الوقت نفسه أوصت المؤمنين بأن « وقروهم (الآباء الروحانيين) وأكرمواهم وقدموا لهم جميع أنواع الكرامة ، لأنهم أخذوا من الله سلطان الحياة والموت بأن يحاكموا الخطاة ويحكموا بموت نار أبدى ، وأن يحلوا الراجعين عن خطاياهم » (راجع كتاب ٢ : ١١ و ١٢ و ١٥ و ١٦ وفصل ٣٦ - ١٠ : ٤٨) وقد مارس الرسل أنفسهم هذا السلطان كما يتضح مما جاء في سفر أعمال الرسل (١٩ : ١٨) « وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرنين ومخبرين بأفعالهم » .

وقد أستعمل بولس الرسول هذا السلطان مع المختلط بالدم في كورنثوس حيث حرمه وفرزه من الكنيسة ، ولما أثمر فيه العلاج عاد وحله من قصاصه وأعادته إلى الكنيسة (راجع ٢ كو ٥ : ١١) .

وقد اعترف جميع آباء الكنيسة صراحة بهذا التعليم فقد قال القديس كبريانوس « ان هؤلاء قبل أن يتوبوا عن خطاياهم بانسحاق قلب وبساطة وقبل أن يعترفوا أمام كهنة الله العلي ويطهروا ضمائرهم ، ويطلبوا من الكهنة علاجات خلاصية لجراحهم الروحية ، ويستعطفوا الرب على الإهانة التي أهانوا بها إيمانهم العديم العيب كانوا يتجاسرون بلا حياء أن يشتركوا بجسد الرب ودمه . . . فاطلب إليكم أيها الأحباء أنه تعترفوا بخطاياكم ما دمتم في الحياة الحاضرة ، حيث الصفح عن الخطايا الممنوح من الكهنة مقبول ومرضى عند الله أيضا » (في الساقطين ٢٨ و ٢٩) وقال القديس أثناسيوس « كما أن المعمد يستنير بنعمة الروح القدس ، هكذا بواسطة الكاهن ينال التائب الغفران بنعمة المسيح » (ضد النواتيين) وقال القديس باسيليوس الكبير « إن الاعتراف بالخطايا للمؤمنين على تدبير أسرار الله ضروري ، لأن الذين كانوا

يندهون قديما نرى أنهم هكذا صنعوا نحو القديسين وقد كتب في الانجيل أنهم كانوا يعترفون بخطاياهم ليوحنا المعمدان . وفي أعمال الرسل أنهم كانوا يعترفون للرسل الذين كانوا يعمدون منهم . (قوانينه المختصرة جواب على سؤال ٢٨٨) وقال القديس يوحنا ذهبى الفم « لأن ساكنى الأرض والقاطنين فيها قد سمح لهم أن يسوسوا ما فى السموات ، وأخذوا سلطانا لم يعطه الله لا للملائكة ولا لرؤساء الملائكة ، لأنه لم يقل لأولئك كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء ، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء . . . ثم ان لمنسلطين سلطانا فى الأرض أن يربطوا ولكنهم يربطون أجسادا فقط ، وأما هذا الرباط فانه يمس النفس عينها ، ويجتاز السموات ، وما عمله الكهنة تحت يثبته الله فوق ، ويؤيد السيد رأى العبيد (١) » (فى الكهنوت خطاب ٣ : ٤ و ٥) وقال أيضا « أى سلطان يمكن أن يكون أعظم من هذا السلطان ؟ ان الأب أعلى الحكم كله للأبن وأرى أن هؤلاء تسلموه كله من الابن . . . وقد كان لكهنة اليهود سلطانا أن يطهروا برص الجسد ، وبالأحرى لم يكونوا يطهرونه بل يفحصون المعتوقين منه ، وأنت تعلم كم كان سلطانهم وقتئذ مشتبه . ولكن هؤلاء قد نالوا سلطانا لا على برص جسدانى بل على الدنس النفسانى ، ولا أن يفحصوه بعد التطهير بل أن يطهروه تماما » (الكهنوت خطاب ٣ : ٥ و ٦) وقال القديس امبروسىوس « من يستطيع أن يترك خطايا الا الله وحده والذين أعطاهم هو هذا السلطان » (جزء ٥ : ١٣) وقال « ان هذا الحق أعطى للكهنة وحدهم » (التوبة ١ : ٢) وقال « ان البشر يتممون سر التوبة لفقران الخطايا من دون أن يكون لهم سلطان فى ذلك باسمهم ، وإنما يتمونه بالاسم المجد اسم الأب والابن والروح القدس ، فهم يطلبون والله يعطى وعلى البشر الطاعة هنا ومن الله الهبة العظيمة » (فى الروح القدس ٣ : ٨) وقال القديس كيرلس الاسكندرى « ان المتوشحين بالروح القدس يتركون الخطايا أو يمسكونها على نوعين كما أرى : اما بأنهم يدعون الى المعمودية الذين اقتضى نوالهم اياها حسن سلوكهم وخبرتهم فى الايمان ، واما بأنهم يمنعون البعض ويحجبونهم عن النعمة الالهية ، لأنهم لم يصيروا بعد مستحقين لها . أو على وجه آخر أيضا يتركون الخطايا ويمسكونها ، وذلك اما بقصاصهم أبناء الكنيسة عندما يخطئون واما بمسامحتهم اياهم عندما يندمون » (تفسير يوحنا ٢٠ : ٢٣) وقال القديس أغسطينوس « ان الخطية اذا فعلها موعوظ تغسل بالمعمودية ، واذا فعلها معتمد تترك بالتوبة » .

ويقول أخيرا ان هذا التعليم قد أجمعت عليه جميع الكنائس الرسولية شرقا وغربا ، وهذا الاتفاق العام دليل على أنه تعليم رسولى مارسته الكنيسة

(١) يقصد بالعبيد : الكهنة الذين يؤيد الله سلطانهم فى الحل والربط .

الرسولية منذ أنشائها ، والتاريخ يشهد أيضا بهذه الحقيقة . أضف الى ذلك أن الكنيسة البروتستانتية التي أنكرت هذا التعليم تسلّم به في كتبها ، فقد جاء في كتاب نظام التعليم في علم اللاهوت القويم ما نصه : « الكنائس اللوثرية والأسقفية تستحسن الاعتراف السري للمراعى في بعض الأحوال . وجميع الانجيليين يرفضون الحلة الكهنوتية الا نظير تصريح قانوني للمتائبين برحمة الله الغافرة » (جزء ١ صحيفة ١١٧) وجاء في كتاب الصلاة العامة للكنيسة الأسقفية ما نصه « وهنا يحث القس (الانسان) المريض على الاقرار بخطاياهم وبعد الاقرار يحله القس على هذا الوجه : ربنا يسوع المسيح الذي ترك لكنيسته سلطانا على أن يحلوا جميع المتائبين المؤمنين به حقا ، ليغفر لك خطاياك برحمته العظيمة ، وأنا بسلطانه الذي فوض الى أحلك من جميع خطاياك باسم الأب والابن والروح القدس آمين » (صحيفة ٢٧٩) .

الفصل الثالث

شروط التوبة

للتوبة أربعة شروط :

- ١ - انسحاق القلب وندامته على الخطايا السالفة .
- ٢ - عزم ثابت على اصلاح السيرة .
- ٣ - ايمان وطيد بالمسيح يسوع ورجاء في تحننه .
- ٤ - اعتراف شفوي بالخطايا امام الآب الروحي .

فالشرط الأول : وهو انسحاق القلب ضرورى جدا ، وهو شرط جوهرى لازم للتوبة الحقيقية . فان على التائب حقيقة أن يشعر بتقل خطاياہ ويعترف بنتائجها المهلكة ، ويعترف أنه أقترف أمام الله جريمة استحق بها ابتعاد الله عنه . وعليه أن يحزن ويتوجع لأنه أغضب الله وتعدى على شريعته واذا فقد هذا الانسحاق وهذه الندامة فليست هناك توبة حقيقية بل رياء ظاهرى . ولهذا لما طلب الله من الاسرائيليين أن يرجعوا اليه بالتوبة قال لهم « ارجعوا الى بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح . ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا الى الرب الهكم لأنه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر » (يوثيل ٢ : ١٢ و ١٣) وقال المرنم « ذبائح الله هى روح منكسرة القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره » (مز ٥١ : ١٧) . ولما أراد المخلص أن يبين في العهد الجديد علامات التوبة الحقيقية في الراجعين ، أوضح ذلك في مثل الابن الشاطر الذى حكم على نفسه بأنه غير مستحق أن يكون ابنا ورجع الى أبيه متخشعا منسحقا قائلا « أنظطأت الى السماء وقدامك . ولست مستحقا بعد أن ادعى لك ابنا . اجعلنى كأحد أجراك » (لو ١٥ : ١٨ و ١٩) ومثل العشار الذى تواضع بحزن شديد وتنهيدات عميقة طالبا رحمة الله قائلا « اللهم ارحمنى أنا الخاطيء » (لو ١٨ : ١٣) وكما قال بولس الرسول « لأن الحزن الذى بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة » (٢ كو ٧ : ١٠) . وبناء على هذا التعليم اعترف جميع آباء الكنيسة بأن الانسحاق والندامة على الخطية خاصة جوهرية للنوبة . وكتب القديس كبريانوس هكذا : « اخوتى الأحباء : هلموا الى الندامة والتخضع بنفس منسحقة وافحصوا خطاياكم واعرفوا ثقل الأوزار بضمير حسن وافتحوا عين قلوبكم لتدركوا نقائصكم . وبقدر ما نكثر من الخطايا نحن مديونون أن ننوح على الخطايا » .

(في الساقطين ٢٥) وقال القديس يوحنا ذهبي الفم « ان كان بكاء بطرس محا خطية عظيمة جدا ، فانت اذا بكيت، كيف لا يمحو الله خطيتك ؟ الآن انكار ذاك لسيدك لم يكن جريمة صغيرة بل عظيمة وقوية . ومع ذلك فقد محت الدعوى الخطية . فابك اذن انت ايضا على خطيتك ، ولكن لا يكونن بكاؤك على حسب العادة وفي الظاهر فقط بل أبك بمرارة مثل بطرس وقدم ينابيع دموعك من داخل العمق حتى يتحنن عليك السيد ويصفح عن ذنبك » (في التوبة ٣ : ٣) وقال القديس باسيليوس « يجب على التائبين أن يبكوا بمرارة وأن يظهرها من قلوبهم سائر علامات التوبة » (في أدبياته ١ : ٣) وقال أيضا « ان التوبة تدعو الانسان أولا أن يصرخ في نفسه ويسحق قلبه ثم أن يصير قدوة صالحة للآخرين ويجعل طريقة توبته مسموعة ويشهرها » (شرح اشعياء ١٥) .

ولا يجب أن يكون هذا الانسحاق ناتجا عن الخوف من العقاب ، بل ينبغي أن يكون انسحاق القلب ناشئا عن شعور بأنه أغضب الله المحسن اليه ، لأن الحزن الأول هو حزن العبيد ، أما النوع الثاني فهو شعور الأبناء . قال القديس يوحنا ذهبي الفم « تنهد عندما تخطيء لا لأنك مزعم أن تعذب لأن هذا ليس شيئا ، بل لأنك خالفت سيدك الوديع الذي يود ويصبر الى خلاصك حتى أنه أعطى ابنه عنك ، فلهذا تنهد واصنع هكذا دائما لأن هذا هو اعتراف » (مقالة ٧ : ٥ على ٢ كو) .

والشرط الثاني : الذي هو العزم الثابت على اصلاح السيرة هو نتيجة ضرورية للانسحاق على الخطية . ولا فائدة للتوبة ولا معنى لها بدون هذا الشرط . ولذلك لما نادى يوحنا المعمدان بالتوبة ورأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون الى معموديته قال لهم « يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي . فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة » (مت ٣ : ٧ و ٨) وقال السيد للمخلع الذي شفاه « ها أنت قد برئت . فلا تخطيء أيضا لثلاثا يكون لك أثر » (يو ٥ : ١٤) وقال للخاطئة « ولا أنا أدينك . اذهبي ولا تخطئي أيضا » (يو ٨ : ١١) وقال بطرس الرسول « توبوا وأرجعوا لتمحو خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب » (أع ٣ : ١٩) وفي سفر الرؤيا وجه السيد الخطاب الى ملاك كنيسة أفسس قائلا « فأذكر من أين سقطت وتب وأعمل الأعمال الأولى والا فاني آتيك عن قريب وأزحزح منارتك من مكانها ان لم تتب » (رؤ ٢ : ٥) وقال القديس باسيليوس « لأن ليس الذي يقول أخطأت ويلبث مصرا على الخطية يعترف . لا . بل الذي يجد (١) خطيته ويبغضها كما قال الزبور . فما الفائدة للضعيف من اجتهاد

(١) كلمة « يجد » تأتي في اللغة بمعنى يقطع ويوقف .

الفصل الرابع

الاعتراف

الاعتراف في اللغة هو الاقرار بالشيء والتصريح به علنا . وفي اصطلاح الكنيسة هو اقرار الخاطيء بخطاياہ أمام كاهن الله اقرارا مصحوبا بالندامة والتأسف والعزم الثابت على ترك الخطية وعدم الرجوع اليها ، لينال الحل منه بالسلطان المعطى له من الله القائل « من غفرتم خطاياہ تغفر له ومن أمسكتم خطاياہ أمسكت » .

فالاعتراف اذن جزء من سر التوبة . ومن المعلوم أن الأسرار هي بركات ومنح بها ننال نعماء غير منظورة تحت مادة منظورة . فالعمل المنظور في سر التوبة هو توبة الخاطيء وندامته واعترافه وجماعه الحل من الكاهن . أما النعمة غير المنظورة فهي غفران خطاياہ وسلامه مع الله وانعتاقه من عقاب الخطية ونيله الرجاء بالحياة الأبدية .

أما وجوب الاعتراف واثباته فيظهر من الأدلة الآتية :

أولا : من الطبيعة . فإن الانسان في كل أدوار حياته يحتاج إلى من يواسيه في أموره ، فتراه يشكو همومه وأتعبه وما يضايق نفسه إلى صديق أو حبيب له ، طلبا لمشورة أو تنفسيا لكرب ، أو تخفيفا لألم ، أو مشاطرة . له فيما يشعر به . وما أحسن أن يكون للانسان أب روحى ومعلم مرشد يرجع إليه في أموره الروحية لارشاده وهدايته . أضف إلى ذلك أن الانسان إذا أخطأ ضد انسان آخر وأعترف له بخطأه وطلب سماحه استراح ضميره . وتصلح مع خصمه ، وكانت النتيجة سلاما وهندوا في الخارج وفي الداخل . وإذا تأملنا في التوراة نجد أن آدم لما أخطأ مهد الله له طريق الاعتراف بخطاه وسأله « هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها » (تك ٣: ١١) فالقديس غريغوريوس والقديس أغسطينوس « ان الله تعالى سأل الانسان الأول والمرأة الأولى قبل أن يحكم عليهما لما خالفا ناموسه ، وذلك ليقدّم لهما سببا للاقرار بذنبيهما فينالوا الغفران باعترافهما الذليل الوضيع ، وهكذا قل عن سلوالم الله لقائين « أين هابيل أخوك » فلو أنه اعترف بذنابه وتاب واستغفر لنال الصفح من الله .

ثانيا : من ناموس موسى . ففي شريعة موسى كان الاعتراف جزءا ضروريا من توبة الخاطيء حسب قول الرب « إذا أخطأ أحد أو إذا مس أحد شيئا نجسا أو إذا حلف . فإن كان يذنب في شيء من هذه يقر بما قد أخطأ به .

الفصل الرابع

الاعتراف

الاعتراف في اللغة هو الاقرار بالشيء والتصريح به علنا . وفي اصطلاح الكنيسة هو اقرار الخاطيء بخطاياہ أمام كاهن الله اقرارا مصحوبا بالندامة والتأسف والعزم الثابت على ترك الخطية وعدم الرجوع اليها ، لينال الحل منه بالسلطان المعطى له من الله القائل « من غفرتم خطاياہ تغفر له ومن أمسكتم خطاياہ أمسكت » .

فالاعتراف اذن جزء من سر التوبة . ومن المعلوم أن الأسرار هي بركات ومنح بها ننال نعماء غير منظورة تحت مادة منظورة . فالعمل المنظور في سر التوبة هو توبة الخاطيء وندامته واعترافه وجماعه الحل من الكاهن . أما النعمة غير المنظورة فهي غفران خطاياہ وسلامه مع الله وانعتاقه من عقاب الخطية ونيله الرجاء بالحياة الأبدية .

أما وجوب الاعتراف واثباته فيظهر من الأدلة الآتية :

أولا : من الطبيعة . فإن الانسان في كل أدوار حياته يحتاج إلى من يواسيه في أموره ، فتراه يشكو همومه وأتعبه وما يضايق نفسه إلى صديق أو حبيب له ، طلبا لمشورة أو تنفسيا لكرب ، أو تخفيفا لألم ، أو مشاطرة . له فيما يشعر به . وما أحسن أن يكون للانسان أب روحى ومعلم مرشد يرجع إليه في أموره الروحية لارشاده وهدايته . أضف إلى ذلك أن الانسان إذا أخطأ ضد انسان آخر وأعترف له بخطأه وطلب سماحه استراح ضميره . وتصلح مع خصمه ، وكانت النتيجة سلاما وهندوءا في الخارج وفى الداخل . وإذا تأملنا في التوراة نجد أن آدم لما أخطأ مهد الله له طريق الاعتراف بخطاه وسأله « هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها » (تك ٣: ١١) قال القديس غريغوريوس والقديس أغسطينوس « ان الله تعالى سأل الانسان الأول والمرأة الأولى قبل أن يحكم عليهما لما خالفا ناموسه ، وذلك ليقدّم لهما سببا للاقرار بذنبيهما فينالوا الغفران باعترافهما الذليل الوضيع ، وهكذا قل عن سلوالم الله لقائين « أين هابيل أخوك » فلو أنه اعترف بذنابه وتاب واستغفر لنال الصفح من الله .

ثانيا : من ناموس موسى . ففي شريعة موسى كان الاعتراف جزءا ضروريا من توبة الخاطيء حسب قول الرب « إذا أخطأ أحد أو إذا مس أحد شيئا نجسا أو إذا حلف . فإن كان يذنب فى شيء من هذه يقر بما قد أخطأ به .

ويأتي الى الرب بذبيحة لائمه . . فيكفر عنه الكاهن من خطيته الخ « (لا ٥ : ١ - ٦) وقوله « يفنون بذنوبهم . . . وبذنوب آبائهم معهم يفنون . لكن ابن أقروا بذنوبهم . . أذكر ميثاقي مع يعقوب . الخ « (٢٦٧ : ٣٩ - ٤٥) وقل لبني اسرائيل اذا عمل رجل أو امرأة شيئا من جميع خطايا الانسان وخان خيانة بالرب فقد أذنبت تلك النفس . فلتقر بخطيتها التي عملت « (عد ٥ : ٦ و ٧) « وتأتي الى الكاهن الذي يكون في تلك الأيام وتقول له اعترف اليوم للرب الهك « (تث ٢٦ : ٣) و « من يكتفم خطايا لا ينجح ومن يقر بها ويتركها يرحم » (أم ٢٨ : ٢٣) وقد قال أيوب مبينا اعترافه « ان كنت قد كتمت كالناس ذنبي لآخياء أنمي في حضني » (٢٣ : ٣١) راجع أيضا (لا ١٦ : ٢١ ، ١ مل ٨ : ٣٨ ، عز ٩ ، نح ١ : ٦ ، ٢ : ٩ ، مز ٣٢ : ٥ ، اش ٣٨ : ١٧ ، ٥٩ : ١٢ ، ٦٤ : ٦ ، ار ١٤ : ١٠ ، دا ٩ : ٤ و ٢٠) حيث تجد أدلة واضحة على الاعتراف . ألا ترى أن يشوع بن نون قال لعنان « أعترف للرب وأخبرني » (يش ٧ : ١٩) وهذا دليل على أن الاعتراف لله يجب أن يكون على يد رجاله ، كما أعترف داود الملك أمام ناثان النبي وقال « قد أخطأت الى الرب . فقال ناثان لداود . الرب أيضا قد نقل عنك خطيتك . لا تموت » (٢ صم ١٢ : ١٣) فهنا أعتراف للرب على يد نبيه يعقبه تصريح وعلان بنقل خطيته .

وقد كان الاعتراف عند بني اسرائيل يقرن مع الذبيحة وصلاة الكاهن عن الخطية . قال الربى ابن عزرا « ان الاعتراف لازم وانهم عندما يقدمون الذبيحة اذا لم يتوجعوا ويعترفوا اعترافا مرتبا مبينا الخطايا لا تكون للذبائح قوة وفائدة لهم ، وجاء في التلمود « انه يظهر من التقليد أن الخطي يلزمه أن يوضح في الاعتراف جميع أعماله » .

ولهذا السبب لما جاء يوحنا المعمدان مناديا ببشارة التوبة لاقترب ملكوت الله والاستعداد له ، جاء اليه كثيرون وأعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم (مت ٣ : ٥) .

١٤١٥ : من العهد الجديد : فان الرب يسوع قبل أن يؤسس سر التوبة وعد به عندما قال للقديس بطرس « وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات . فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السموات » (مت ١٦ : ١٩) وكذلك لما أعطى كنيسته هذا السلطان بقوله « وان لم يسمع منهم فقل للكنيسة . وان لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار . الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء . وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا في السماء » (مت ١٨ : ١٧ و ١٨) وبعد قيامته ثبت هذا السر بقوله لتلاميذه بعد ما نفتح في وجوههم « اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم تغفر له . ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت » (يو ٢٠ : ٢٢ و ٢٣) ومن هذا

القول يتضح أن السيد له اللجد أعطى تلاميذه وخلفاءهم سلطات الحل والربط لإعلان غفران الخطايا أو مسكها . وكيف يمكنهم أن يربطوا الخطايا أو يحدوها ويعلنوا غفرانها إلا بعد الاقرار والاعتراف بها علنا ؟ فإن الخطايا في الغالب خفية سرية فكيف يغفرونها وهي مكتومة ؟ هل أرسل السيد تلاميذه ليكونوا جواسيس يتجسسون على خطايا الناس ويغفرونها دون علمهم ؟ حاشا . بل جعلهم قضاة وأطباء للنفوس ، والقاضي لا يقدر أن يحكم في دعوى لم يسمعها وينظر غيرها ويفحصها ، كما أن الطبيب لا يستطيع أن يعالج مريضا لم يعرض عليه ويفحصه فحفا دقيقا . ولذلك نرى أن الذين كانوا يتوبون ويؤمنون كانوا يأتون للرسول مقربين ومخبرين بأفعالهم (أع ١٩ : ١٨) وقد فسر القديسان باسيليوس ويوحنا ذهبي الفم هذا النص بأنه الاقرار بالخطايا أمام الكاهن وجاء في رسالة يعقوب الرسول عند كلامه عن سر مسحة المرضى قوله « مريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الأيمان تشفى المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطية تغفر له . اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا » (يع ٥ : ١٤ - ١٦) . قال القديس أغسطينوس في تفسير هذه الآية « ليس المقصود أن يعترف الكهنة على العلمانيين كما يعترف هؤلاء لهم فإن هذه الجملة لا توجب دائما حصول المشاركة بين كل من الطرفين - أي لا يلزم منها اعتراف الكهنة للشعب ، بل هي على حد قولك علموا بعضكم بعضا وعالجوا أحداكم الآخر ونيسعف الواحد منكم صاحبه . بمعنى أن العالم يعلم الجاهل والطبيب يعالج المريض والقوى يشدد الضعيف وقس على ذلك » ومن هذا يتضح أن البعض الذي نعترف له هو كهنة الله الأمناء ، الذين يدعوهم المريض لدهننه بالزيت والدعاء له من الله . قال يوحنا الرسول « إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا . إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم . إن قلنا إننا لم نخطئ نجعله كاذبا وكلمته ليست فينا » (يو ١ : ٨ - ١٠) .

رابعا : من نظام الكنيسة وقوانينها ، فانك اذا راجعت قوانين الكنيسة وجدتها ملائمة بالأدلة الصريحة على وجوب الاعتراف مع التوبة وقبل تناول الأسرار المقدسة . وجاء في القوانين المنسوبة للرسول القواعد التي تذكر متقدمي الكنائس بأنهم أوتمنوا على سلطان الحل والربط ، وتبين لهم الوجه الذي به يفحصون الخطايا وكيف يرشدون التائبين ، وتوصي المؤمنين أن يكرهوا آبائهم الروحيين حيث تقول « وقروهم وأكرمهم وقدموا لهم جميع أنواع الكرامة لأنهم أخذوا من الله سلطان الحياة والموت بأن يحاكموا الخطاة ويحلوا الراجعين من الخطايا وغير ذلك » . ولا يسعنا المقام أن نأتي بما جاء في قوانين المجامع لأن الشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى .

خامسا : شهادة الكتب الطقسية : فان لدينا كتبا قديمة يرجع تاريخها الى اكثر من ألف سنة فضلا عن الكتب الاكثر قدمية من هذه ولا تزال محفوظة بالمتاحف ناطقة بنظام الكنيسة في شرح سر التوبة والاعتراف ، وهي دليل صادق على ما كان جاريا في الكنيسة منذ العصور الأولى .

سادسا : شهادة التاريخ : فان التاريخ الكنسي يشهد بأن الاعتراف كان جاريا على وجهين : أحدهما علني والآخر سري ، وعلى كلا الوجهين كان غفران الخطايا يعطى من الكهنة وحدهم الذين لهم الحق في التصريح به . ومع الزمان تنازلت الكنيسة عن الاعتراف العلني رفقا بأبنائها وحصرته في الاعتراف السري .

وقد شهد أوسابيوس المؤرخ الكنسي أن الاعتراف كان دارجا في الكنيسة في عصر الرسل بقوله « كان تلاميذ مخلصنا أشداء يتركون في نفوس سامعيهم مناخس لتنتحل تعاليمهم في صميم أفئدتهم حتى يبرزوا الحفايا من مظاميرها ويعترفوا جهارا بقبايح سيرتهم الماضية » . وروى أن الثلاثة الذين اتهموا القديس نرسيس ، مات اثنان منهم بتعاسة ، والثالث اعترف بكل ما جرى في التهمة وصنع توبة صارمة . وروى أن القديس فانيانوس منع فيلبس القيصرى عن التقدم الى الأسرار قبل أن يعترف بآثامه وينضم الى من سقطوا ودخلوا مصاف التائبين . وروى أيضا أن سراييون لما غلبه الاضطهاد ودنا من الموت دعا قسا ليمنحه احسان المصالحة . وذكر سقواط المؤرخ أن امرأة شريفة تقدمت الى الكاهن المحرف واعترفت بما ارتكبت من الخطايا بعد المعودية بالتفصيل . وقد مدح الشماس بولنيوس القديس أمبروسيوس وغيرته في سماع الاعترافات . وغير ذلك مما لا يحصى من الأخبار التاريخية الدالة على وجوب الاعتراف في سر التوبة ، وبالأخص قبل تناول الأسرار المقدسة . وقد أثبت ذلك موسهيم المؤرخ البروتستانتي في تاريخه (كتاب ١ قرن ١ قسم ٢ فصل ٤) .

سابعا : شهادة آباء الكنيسة : فان جميع الآباء منذ الجيل الأول يشهدون شهادة حقة للاعتراف ، ومن أقوالهم وتعاليمهم يتضح لنا أن الاعتراف كان جاريا في أيامهم ، وكان قاعدة من قواعد ايمان الكنيسة واليك بعض أقوال أشهرهم في العصور الأولى :

ففي الجيل الأول : قال القديس ديوناسيوس الاريوباغي تلميذ بولس الرسول في ميمره على الراقدين « ان صلوات القديسين تنفع جدا ، وكذا من تقدم الى رجل بار واعترف له بآثامه فانه ينال صفحا كأنه من الله ، وتتمحص خطاياهم وينال المواهب الالهية التي يحتاجها ، لأن ذلك شرع في الأحكام الالهية أن يمنح الله المواهب ويعطيها بتوسط الآباء » وقال القديس برنابا في مؤلف آخر في الرسالة المشهورة التي كانت في الأجيال الأولى كثيرة الاعتبار ما نصه

« اعترف بخطاياك ولا تقدم على الصلاة وأنت في سوء الضمير فهذا طريق الخلاص » وقال القديس اكليمنضس الروماني تلميذ بطرس الرسول في رسالته الأولى الى أهل كورنثوس « الأولى بالناس أن يعترفوا بأنامهم وخطاياهم من أن تنصلب قلوبهم » وقال في رسالته الثانية « ما دمت في هذا العالم فلنرعو بكل قلبنا عن الشرور التي وصفناها في الجسد ليخلصنا الرب ما دام لنا زمان للتوبة • فاذا خرجنا من العالم لم يبق لنا أن نعترف هناك أو نتوب » •

وفي الجيل الثاني : روى القديس ايريناوس أن بعض أتباع فالنتينوس أقسدا النساء اللواتي كن يتعلمن منهم هذا التعليم ... وبعد ارتداد النساء الى بيعة الله أعترفن بهذا الاثم مع باقي ضلالهن • وروى أيضا أن مرقس الساحر مكر بأمرأة شماس فارتدت فبقيت مدة حياتها لا تكف عن الاعتراف بالاثم الذي اقترفته ماحية بدموعها الوصفة التي أنزلها بها الساحر •

وفي الجيل الثالث : قال العلامة تروتوليانوس « أن كثيرين ينتبهون الى الجمل أكثر من الخلاص فيهربون من هذا العمل (أي الاعتراف) سترة لهم أو يؤخرونه من يوم الى يوم كمن أصابه مرض في الأعضاء المستحي منها فأخفى على الأطباء مرضه فيباد بخجله ... فاذا أخفينا نفوسنا عن معرفة الناس فهل تخفى على الله • وهل الأولى لنا أنه نهلك وذنوبنا مخفية من أن نحل وهي مكشوفة في التوبة » وقال « واذا لم يخجل الحاطيء من أن يبين خطيته لكاهن الرب ويستمد العلاج بحسب قوله • قلت اعترف للرب بأثمي وأنت تغفر سر قلبي » وقال « كما أن من بقى فيهم الطعام غير مهضوم أو ثقلت معدتهم بخلط أو بلغم ، فاذا تقيأوا أستراحوا • كذلك من أخطأوا وأخفوا الاثم فيهم تضايقوا داخلا وخنقهم بلغم الخطية وخلطها • ولكن ان شكك أحد نفسه فبشكايته واعترافه يتقيأ الاثم وتزول علة المرض كلها فلا خطر يتحرز من يلزمك أن تعترف بخطيتك (١) وامتنح أولا الطبيب الذي تعرض عليه مرضك » • وقال القديس كبريانوس « كم يكون أعظم ايماننا وأحسن خوفا من يعترفون بتوجه وبساطة أمام كهنة الله بما افتكروا به من الاثم منقنين ضميرهم ... الى أن قال ... فليعترف كل منكم أيها الأحباء بأثمه ما دام الذي أثم (أي الأثيم) في هذا العالم ، وما دام ممكنا قبول اعترافه وما دامت المغفرة بواسطة الكهنة مقبولة عند الله » •

وقال العلامة أوريجانوس المصري « يوجد ترك آخر للخطايا مكرب جدا وصعب ويمكن الحصول عليه بالتوبة وذلك عندما يبيل الحاطيء فراشه بدموعه وعندما تصير دموعه له خبزا نهارا وليلا وعندما لا يخجل بأن يكشف خطيته أمام كاهن الله طالبا منه الشفاء • أو عندما يقول بعد الخطية قد عرفت خطيتي

(١) (يتحرز من يلزمك أن تعترف له) يقصد من تعترف له بالخطايا لا تخافه لأنه لا خطر منه ولا شر داخله بل هو حرز للرحمة •

الفصل الخامس

نتائج سر التوبة

نتائج سر التوبة هي :

- ١ - مسامحة الخطيء ونيله غفران خطاياہ (مز ٣٢ : ٥ ، اش ٥٥ : ٧ ، يو ٢٠ : ٢٣ ، ١ يو ١ : ٩) .
- ٢ - محوها وعدم ذكر الله لها (اش ٤٤ : ٢٢ ، حز ١٨ : ٢١ و ٢٢) .
- ٣ - التبرر من الخطية (مز ٥١ : ٢ ، لو ١٨ : ١٤) .
- ٤ - نيل الخلاص والحصول على رجاء الحياة الأبدية (لو ١٩ : ٩ ، ١ كو ٥ : ٥) .
- ٥ - الانعتاق من عقاب الخطية (مت ٣ : ٧ و ١٠ ، لو ١٣ : ٣ ، ٢٣ : ٤٢ و ٤٣) .
- ٦ - المصالحة مع الله ونوال سلامه (رو ٥ : ١ ، أف ٢ : ١٤ ، ٢ كو ٥ : ١٥ - ٢١) .
- ٧ - الحصول على رتبة البنوة التي فقدتها الخطيء بخطيته (لو ١٥ : ١٧ - ٢٤) .

قال القديس يوحنا ذهبى الفم « أن الآباء الطبيعيين إذا خالف أولادهم أحدا من الرؤساء أو ذوى القدرة فى هذه الحياة لا يستطيعون أن ينفعوهم شيئا . وأما الكهنة فانهم كثيرا ما استعطفوا وصالحوا لا رؤساء وملوكا فقط بل الله نفسه » (فى الكهنوت ٣ : ٦) وقال أيضا « أخطئت ؟ فأدخل الكنيسة وأمع خطيتك . وكما أنك بقدر ما تقع فى الشارع تنهض ، هكذا كلما خطئت نب عن الخطية ولا تياسن من ذاتك . وإن خطئت ثانية فتب توبة ثانية أيضا ولا تسقطن من الرجاء بالخيرات الموعود بها سقوطا كاملا بسبب إهمال . وإن كنت فى غاية الشيب وخطئت فأدخل وأندم . لأن هذا المكان هو مستشفى وليس محكمة وهو لا يطلب مجازاة على الخطايا بل يهب صفح الخطايا » (فى التوبة ٣ : ٤) .

الفصل السادس

التأديبات الكنسية

اعتادت الكنيسة منذ ابتدائها أن تفرض على التائب بعض فصاحات تأديبية ، القصد منها تأديب الخاطئ واصلاح حاله وتقويم سيرته ، وفقا لقول الرسول « لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله . ان كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين فأى ابن لا يؤدبه أبوه » (عب ١٢ : ٦ و ٧) وقوله « ولكن اذ قد حكم علينا أن نؤدب من الرب لكنى لا ندان مع العالم » (١ كو ١١ : ٣٢) وأشهر هذه القوانين هى الصوم الخصوصى علاوة على الأصوام المفروضة على جميع المؤمنين ، وصلوات يقدمها الخاطئ فى مخدعه مع عدد من الركعات ، وتوزيع جزء من ماله صدقة على الفقراء ، وتأخير تناول من الأضراس المقدسة وقتا مناسباً لنقل خطيته .

وهذه القوانين ما هى الا بمثابة عقاقير روحية تعالج بها أمراض النفس للتهديب والتقويم ، وذلك طبقا لما فعله الرسول بولس مع المختلط بالدم فى كورنثوس فانه حكم عليه أولا بالفرز من الكنيسة ، فلما أنتجت هذه التأديبات الغرض المقصود منها أرجعه بقوله « مثل هذا يكفيه هذا القصاص الذى من الأكثرين . حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحرى وتعزونه لئلا يبتلع مثل هذا من الحزن المفرط . لذلك أطلب أن تمكنوا له المحبة » . (٢ كو ٦ : ٨ - ٦)

وقد ورد ذكر هذه القوانين فى الأوامر الرسولية وأقوال المجامع وشهد عنها الآباء بالأخص القديس ايريناوس والقديس كبريانوس والعلامة تروتوليانوس . وهذا ظاهر أيضا من الترتيب الذى كانت الكنيسة القديمة جارية عليه من حيث تقسيم التائبين الى :

- ١ - رتبة الباكين الذين لم يكن لهم حق فى حضور الخدم الشريفة بل كانوا يقفون خارج الكنيسة ويتضرعون بدموع الى الداخلين فى الهيكل ليصلوا من أجلهم .
- ٢ - رتبة السامعين الذين كان مسموحا لهم أن يدخلوا الكنيسة ويقفوا فى موضع خاص بهم ويسمعوا التعليم وكلام الله والصلوات .
- ٣ - رتبة الراكعين الثلاثين كانوا يقفون مدة أكثر من الأولين وكوعا أمام باب الهيكل .

٤ - رتبة المشتركين الذين كانوا مع المؤمنين في الصلاة دون أن يتناولوا من الأسرار المقدسة .

فهذه التأديبات كان الغرض منها اصلاح حال الخطيء ليس الا . ولكن كنيسة رومية خالفت هذه الحقيقة اذ تعتبر هذه التأديبات قصاصات حقيقية ، الغاية منها وفاء العدل الالهى الذى أهانه الخطيء بخطاياہ . واليك البراهين التى تثبت صدق تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية وبطلان تعليم كنيسة رومية :

أولا : ان بولس الرسول لما وضع التأديب على المختلط بالسدم في كورنثوس قال « يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكى تخلص الروح » لكن لما رجع وتاب أرجعه الى الكنيسة ، وظاهر من ذلك ان الغاية من القصاص كانت تأديبه واصلاح نفسه . لا وفاء عدل الله .

ثانيا : يظهر من جميع أقوال الآباء ان الغرض من هذا التأديب هو الاصلاح ولذلك سموه علما وقصاصا للتقويم وشفاء للخطاة وحفظهم من خطايا جديدة .

ثالثا : لو كانت الغاية من هذه القوانين وفاء العدل الالهى لكان من الواجب على التائب اتمام قانونه كله بلا نقص . ولكن الآباء لم يكونوا ينتظرون الخطيء حتى يتم كل ما فرض عليه من القانون ، بل كثيرا ما كانوا يختصرون وقت التوبة ويعفونه من القانون متى رأوا ان التأديب أنتج نتيجه المطلوبه .

رابعا : لو كان الغرض من القانون وفاء العدل الالهى لوجب أن تفرض هذه القوانين على جميع الخطايا بلا استثناء بحسب جرم الخطية ، اذ كل خطية هى مخالفة ومضادة لعدل الله ، والحال ان هذه القوانين لم تفرض الا على الخطايا الثقيلة وهذا مما يدل على ان الآباء لم يقصدوا بها الا تهذيب واصلاح نفس الخطيء وكسر عجزته لخلاص نفسه . (راجع قانون ١٢ من المجمع المسكونى الاول وقانون ٥ من مجمع أنقره . وقانون ٢٢ من مجمع قرطاجنة) ومؤداها « ان الذى يتعاطى الطب الروحى عليه ملاحظة أخلاق الخطيء وتصرفه وسلوكه ومدة معالجته حتى اذا كان لا يقاوم الطبيب ولا يزيد قروح النفس بالعقاقير التى تعطى له يعامله بالرحمة التى يستحقها » . وان تمام الكلام عند الله وعند من أوثمن على الرقاصه الرعوية هو ان يرد الحروف الضال ويشفيه من الجرح الذى جرحه اياه الثعبان ولا ينفعه فى مهواة اليأس لثلا يهلك ولا يرخى له العنان لثلا يزدري وتسترضى عيشته . وعلى كل حال يجب على الراعى أن يحارب المرضى كيفما كان ، اما بالأدوية الحارة والقابضة واما باللينه والملطفة ، وأن يجاهد فى ختم القرع باختباره أثمار التوبة ومداراته بحكمة ذلك الانسان المدعو الى الاستنارة العلوية ، وقد قال القديس غريغوريوس النيسى « كما ان غاية صناعة الطب فى معالجة الجسد

٤ - رتبة المشتركين الذين كانوا مع المؤمنين في الصلاة دون أن يتناولوا من الأسرار المقدسة .

فهذه التأديبات كان الغرض منها اصلاح حال الخطيء ليس الا . ولكن كنيسة رومية خالفت هذه الحقيقة اذ تعتبر هذه التأديبات قصاصات حقيقية ، الغاية منها وفاء العدل الالهى الذى أهانه الخطيء بخطاياہ . واليك البراهين التى تثبت صدق تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية وبطلان تعليم كنيسة رومية :

أولا : ان بولس الرسول لما وضع التأديب على المختلط بالسدم في كورنثوس قال « يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكى تخلص الروح » لكن لما رجع وتاب أرجعه الى الكنيسة ، وظاهر من ذلك ان الغاية من القصاص كانت تأديبه واصلاح نفسه . لا وفاء عدل الله .

ثانيا : يظهر من جميع أقوال الآباء ان الغرض من هذا التأديب هو الاصلاح ولذلك سموه علما وقصاصا للتقويم وشفاء للخطاة وحفظهم من خطايا جديدة .

ثالثا : لو كانت الغاية من هذه القوانين وفاء العدل الالهى لكان من الواجب على التائب اتمام قانونه كله بلا نقص . ولكن الآباء لم يكونوا ينتظرون الخطيء حتى يتم كل ما فرض عليه من القانون ، بل كثيرا ما كانوا يختصرون وقت التوبة ويعفونه من القانون متى رأوا ان التأديب أنتج نتيجه المطلوبه .

رابعا : لو كان الغرض من القانون وفاء العدل الالهى لوجب أن تفرض هذه القوانين على جميع الخطايا بلا استثناء بحسب جرم الخطية ، اذ كل خطية هى مخالفة ومضادة لعدل الله ، والحال ان هذه القوانين لم تفرض الا على الخطايا الثقيلة وهذا مما يدل على ان الآباء لم يقصدوا بها الا تهذيب واصلاح نفس الخطيء وكسر عجزته لخلاص نفسه . (راجع قانون ١٢ من المجمع المسكونى الاول وقانون ٥ من مجمع أنقره . وقانون ٢٢ من مجمع قرطاجنة) ومؤداها « ان الذى يتعاطى الطب الروحى عليه ملاحظة أخلاق الخطيء وتصرفه وسلوكه ومدة معالجته حتى اذا كان لا يقاوم الطبيب ولا يزيد قروح النفس بالعقاقير التوح تعطى له يعامله بالرحمة التى يستحقها » . وان تمام الكلام عند الله وعند من أوثمن على الرقاصه الرعوية هو ان يرد الحروف الضال ويشفيه من الجرح الذى جرحه اياه الثعبان ولا ينفعه فى مهواة اليأس لثلا يهلك ولا يرخى له العنان لثلا يزدري وتسترضى عيشته . وعلى كل حال يجب على الراعى أن يحارب المرضى كيفما كان ، اما بالأدوية الحارة والقابضة واما باللينه والملطفة ، وأن يجاهد فى ختم القرع باختباره أثمار التوبة ومداراته بحكمة ذلك الانسان المدعو الى الاستنارة العلوية ، وقد قال القديس غريغوريوس النيسى « كما ان غاية صناعة الطب فى معالجة الجسد

واحدة وهي صحة المريض وأوجه المعالجة كثيرة ومتنوعة . هكذا بما أن الآلام في المرض النفساني متنوعة فمن الضروري أن تتنوع أوجه المعالجة الطبية أيضا في أشكالها ، فتأتى بالشفاء متى جرت على مقتضى الألم . . . ولذا يجب على المزمع أن يعطى العلاج المناسب لقسم النفس السقيم أن يفحص قبل كل شيء أين الألم ثم يقدم للضعيف علاجاً ملائماً ، حتى لا يكون الطبيب بجهله ، سبباً لأن يصل العلاج الى قسم آخر غير القسم الذى فيه المرض « (قانون ١) » .

ويظهر مما تقدم أن هذه التأديبات نافعة ومفيدة :

١ - أنها تلين قساوة قلب الخاطئ وتحركه الى الشعور بذنبه والاعتراف به وتولد فيه البغض للخطية والشوق لاصلاح النفس .

٢ - انها رياضات روحية وخروض تقوية ضد أهواء وأميال النفس فانها تفرض مثلاً على الانسان الشرى الصوم ، وعلى محب المال والسارق فعل الرحمة والصدقة ، وعلى البعيد عن محبة الكنيسة المواظبة على الحضور فيها وقراءة الكتب المقدسة ، وقس على ذلك .

٣ - ان هذه القوانين مفيدة لحفظ الآخرين من السقوط ومساعدة في تهذيب أعضاء الكنيسة .

أما بطلان تعليم كنيسة رومية في هذه التأديبات فيظهر مما يأتى :

أولاً : ان هذا المبدأ يخالف تعاليم الكتاب في الكفارة التى قدمها القادى ربنا يسوع المسيح عنا حيث سفك دمه كفارة عن خطايانا ووفى العدل الالهى حقه وصالحنا مع الله أبويه . ويجعل تلك الذبيحة التى قدمها مخلصنا على الصليب لا قوة لها . والكتاب يعلمنا أن مخلصنا قدم نفسه ذبيحة عن خطايانا ، وأن هذه الذبيحة كفارة عن خطايا العالم كله ، وأنا بغير هذه الكفارة لا يمكننا أن نتقدم الى الله . وهذا جوهر الديانة المسيحية وأساس الخلاص . قال اشعيا النبي « لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ، ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً . وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا ، تأديب سلامنا عليه وبجبره شفيئنا . كلنا كفنم ضللنا ملنا كل واحد الى طريقه والرب وضع عليه اثم جميعنا الخ » (اش ٥٣ : ٤ - ١٠) وقال بولس الرسول الذى « قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لاطهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بامهال الله » (رو ٣ : ٢٥) « فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً الى التمام الذين يتقدمون به الى الله اذ هو حى في كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧ : ٢٥) « ودم يسوع المسيح ابنة يطهرنا من كل خطية » (١ يو ١ : ٧) « وان أخطأ أحد فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً » (١ يو ٢ : ١ و ٢)

ويعلمنا الكتاب أن الانسان الخاطيء لا يتبرر وينال الخلاص بالمسيح يسوع الا بشرطين أحدهما التوبة والايمان والثاني الأعمال الصالحة . فعن الأول قال « توبوا وآمنوا بالانجيل » (مر ١ : ١٥) وعن الثاني فلأن الأعمال الصالحة هي ثمرة التوبة والايمان . قال يعقوب « ترون اذا أنه بالأعمال يتبرر الانسان لا بالايمان وحده » . (يع ٢ : ٢٤) فعندما يتم الخاطيء هذين الشرطين أى الايمان والأعمال الصالحة ينال استحقاق الخلاص بالمسيح ، لا لأن الايمان والتوبة والأعمال الصالحة لها فى حد ذاتها قوة ذبيحة وتكفير عن الخطية وتفى عدل الله وتبرر الخاطيء . بل لأن الخاطيء ينال بها استحقاق الفادى الذى وفى بذاته العدل الالهى وفاء كاملا ، وقدم نفسه كفارة خلاصية أبدية ، فالعدل الالهى قد وفى ولم يبق على الانسان الا أن يناله بالتوبة والايمان . أما قول كنيسة رومية بأن الخطاة فضلا عن الايمان والتوبة يجب أن يتكبدوا قصاصات يوفون بها عدل الله عن خطاياهم . فهذا تعليم غريب ولا ينتج الا احدى نتيجتين . الأولى أن دم المسيح لا يخلص الخطاة ، والفداء الذى قدمه للآب ليس كاملا ، فيجب أن يتم بالقصاصات التى تفرض على الخاطيء . والثانية أن التوبة والايمان والأعمال الصالحة ليست كافية لأن ينال الانسان بها استحقاقات المخلص . وليس من يقول بهذا التعليم لأنه يهدم أساس الدين والايمان المسيحي .

ثانيا - ان هذا التعليم يضاد عدل الله فالباپاويون يسلمون معنا بأن الرب يسوع قدم لله ضحية كاملة ووفاء تاما عن خطايا العالم ليشتري من لعنة الناموس والخطية جميع الخطاة ، فمن يقول ان الله لا يرتضى من الخطاة بالايمان بالخلص الذى به تمحى خطايانا (رو ٣ : ٢٥ و ٢٦) وبالاثمار اللائقة بالتوبة والايمان بل يطلب منهم احتمال قصاصات أخرى وفاء لعدل الله ، يضطر أن يقول بأن الله تعالى يطلب منهم وفاء ، عدله مرتين ، الوفاء الذى قدمه المسيح ، ووفاء آخر يقدهه الانسان ، وهذا باطل وتجديف .

ثالثا : من المعلوم ان الله تعالى غير محدود فى صفاته وكل خطية تفعل ضد الله غير المحدود تستحق عقابا غير محدود ، فمن ذا الذى يقدر أن يخلصنا ويفى العدل الالهى . هل دم يسوع المسيح الذى صار كفارة لخطايا العالم ويظهر من كل خطية ؟ أم تلك القصاصات ؟ لا لعمري فانه لو سفك جميع العالم دماءهم لما أمكنهم وفاء جزء من عدل الله ، والا كانت الكفارة التى قدمها المسيح عنا باطلة ، لأن كل انسان يمكنه أن يقوم بتلك القصاصات ويعي بها عن خطاياها وحينئذ لا تبقى حاجة الى موت المسيح عنا ، وبذلك يكون استحقاق الانسان مساويا لاستحقاق الله ، وهذا كفر محض .

وابعا : ان هذا التعليم يصغر جسامه الخطية ويجعلها كل شيء ما دام الانسان قادرا على وفاء الحقوق التي يستلزمها عدل الله ، ويهون على ارتكابها فعلها فيتمادي في فعلها نظير بعض قصاصات تفرض عليه فيصبح مبررا باتمامها ، وهذا مخالف لروح الكتاب القائل « من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رافة » فكم عقابا أشر تظنون أنه يحسب مستحقا من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدس به دنسا وازدرى بروح النعمة ، (عب ١٠ : ٢٨ و ٢٩) .

وباطلا يستشهد الباباويون بقول يوحنا : اصنعوا اثمرا تليق بالتوبة (مت ٣ : ٨) فلا يقصد باثمرا التوبة قصاصات تفرض على التائب نوافء عدل الله ، بل يقصد بها الأعمال الصالحة التي هي علامة قوية وشاهد على رجوع الخاطيء الى الله ، رجوعا حقيقيا ، وهذا ظاهر من قول يوحنا نفسه فانه لم يكن يفرض على الخطاة الذين أقبلوا اليه الا الاعتراف بخطاياهم وتوبتهم وعمل اثمرا للتوبة ، وهي الأعمال الصالحة الدالة على حياة جديدة لله . كذلك باطلا يستشهدون بما ورد في الكتاب عن أهل نينوى بانهم نالوا المسامحة بصومهم وصدق توبتهم (يون ٣ : ١٠) ولا يقصد من التوبة والدموع والبكاء والصوم والرحمة وكل أفعال التوبة ، أنها أوجه مختلفة تقي عدل الله ، بل انها علامات وبراهين دالة على انسحاق الخاطيء أمام الله ورجوعه عن خطاياها ، وما هي الا نتائج الايمان بالله لأنها دلالة الندامة ، وهذا ظاهر من قول الله « ولكن الآن يقول الرب ارجعوا الى بكل قلوبكم بالصوم والبكاء والنوح ، ومزقوا قلوبكم لا نيايكم وأرجعوا الى الرب الهكم لأنه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر » (يوثيل ٢ : ١٢ و ١٣) فالتوبة والندامة والصوم وأعمال الرحمة ليست لوفاء عدل الله غير المحدود ، ولا هي ثمن صفحة وتغفرانه ، بل هي دلالة توبتنا التي تجعله أن يصفح عنا . ولا يمكن أن ننال الغفران بثمان زهيد كهذا . قال القديس يوحنا ذهبى الفم « ما الذي نفع أولئك القوم (أي أهل نينوى) فانهم ضمدوا جراحهم بالصوم ، وكان ذلك الصوم شديدا . وضمدوها بالجلوس على الأرض ولبس المسوح والرماد والانتحاب ، وضمدوها أيضا بتغيير سيرتهم الرديئة . فلننظر الآن أي علاج من هذه العلاجات جعلهم أصحاء . فقد قال الكتاب ان الله رأى أن كل واحد منهم رجع عن طريقه الشريرة وندم على الشر الذي نوى ان يصنعه بهم . فلم يقل اذن انه رأى الصوم والمسح والرماد . وأنا لا أعني أنه يقصد بذلك أن يلغى الصوم . حاشا . بل يبحث أن نجعل صومنا أفضل بالابتعاد عن الشر » (مقالة ٤ : ٥ و ٦ على ٢ كو) .

التي للموت التي أشار إليها يوحنا الرسول هي رفض الحياة الأبدية التي أتى بها المسيح وعناد القلب القاسي الذي لم يبق قادرا على قبول الحق وهي مثل خطية التجديف على الروح القدس ، لأن الذي يرتكبها يكون قد رفض الروح القدس الذي به وحده يمكن الحاطئ أن يرجع إلى الله لينال المغفرة منه ، وتشبه خطية المرتدين التي أشار إليها بولس الرسول في (عب ٦ : ٤ - ٦) لأنهم رفضوا كفاة المسيح وعلى ذلك يكون في كلتا الحالتين عدم إمكان ترك الخطايا أدبيا ليس من قبل الله ونعمته ، بل من قبل الحاطئ غير التائب . أما الله تعالى فهو مستعد لأن يغفر كل خطية عندما يرجع الحاطئ عن خطيته ويتوب . وقد قال القديس يوحنا ذهبي الفم في هذا الصدد « ما معنى هذا القول ؟ معناه أن هذه الخطية خصت بعدم المغفرة خلافا لسائر الخطايا » . ولماذا ذلك ؟ لأنهم كانوا يجهلون المسيح من هو . ولكن الروح القدس كانوا يعرفونه معرفة كافية . لأن الأنبياء إنما به نطقوا . وكل أصحاب العهد القديم كانوا يعرفونه معرفة عظيمة جدا . كما يقوله هذا معناه : أنتم تقارونني وتشكون في نظرا للجسد الذي أنا لابسه . ولكن لعلكم تقررون أن تقولوا في الروح أنكم تجهلون ولهذا فتجديفكم غير مغفور وسوف تقاصون عنه هنا وهناك ومثال خطية التجديف على الروح القدس هو يهوذا الأسخريوطي الذي انقطع منه كل رجاء توبة ، وما كانت ندامته سوى زيادة خطية على خطية فإنه ذهب وشنق نفسه وارتكب اثما فوق ائمه . فعلى ذلك طالما يرجى من الحاطئ ندامة فلا تكون خطيته تجديفا على الروح القدس ، ولكن متى صمت صوت ضميره وتأصل في قلبه بغض شيطاني ضد نعمة الله التي كان ذاقها ، وصارت حالته شبيهة بحالة الشيطان وبحالة يهوذا الأسخريوطي ولم يبق له رجاء توبة . حينئذ تكون خطيته تجديفا على الروح القدس ، ولا يمكن أن يحصل على غفران نظرا للحالة الشنيعة التي وصل إليها .

وقانا الله من مثل هذا التخلي الفظيع ، (تفسير متى مقالة ٤١ : ٣) .

الفصل الثامن

فساد تعليم كنيسة رومية في أوراق الغفرانات

أثبتنا في الفصل السادس صفحة ٢٢٤ أن القصد من التأديبات الكنسية هو تهذيب الخاطئ واصلاح حاله وتقويم سيرته . وأوضحنا بطلان تعليم كنيسة رومية التي تزعم أن الغرض من هذه التأديبات وفاء العدل الالهي . ونذكر بالأسف أن كنيسة رومية بناء على ذلك التعليم الباطل اخترعت تعليما آخر منافيا للمبادئ المسيحية ، وهو الغفرانات . وأساسه عندهم أن تلك القصاصات التي تفرض على التائب القصد منها كما قلنا وفاء عدل الله الذي أهانه الخاطئ بخطاياہ ، وحيث أن الانسان لا تساعده قواه على القيام بالأعمال التي يوفى بها عدل الله ، وكثيرا ما يهمل تلك القصاصات فينبغي أن يعرض عن العدل الالهي من كنز الكنيسة المؤلف من استحقاق ربنا يسوع المسيح ، ومن فضائل القديسين . وبناء على هذه النظرية الفاسدة يصدر عن أوراق غفرانات يوزعها البابا وتباع وتشترى كالمسلع متضمنة الصفح والغفران ليس عن الخطايا الماضية فقط بل والمستقبله أيضا . وترى في تلك الأوراق أن من تلا صلاة صغيرة لمار يوسف يصير له غفران ٣٠٠ يوم !! ، وغفران ١٠٠ سنة سلفا لمن تلا الوردية الباباوية !! وقس على ذلك .

ويظهر فساد وبطلان هذا التعليم من الأدلة الآتية :

أولا : ان هذا التعليم لا أساس له مطلقا في الكتاب المقدس الذي يعلمنا أن الغفران هو لله وحده . وهو استحقاق آلام ربنا يسوع المسيح الذي ليس بأحد غيره الخلاص . ولا يوجد في الكتاب ما يشير الى استحقاقات للقديسين والملائكة ، يمكن توزيعها على البشر ، كما أن لا أساس له في التقليد الكسي ، ولا في تعاليم آباء الكنيسة . وكل تعليم لا أساس له في الكتب المقدسة والتقليد الرسولي هو باطل واختراع ترفضه الكنيسة .

ثانيا : فساد المبدأ الذي بنى عليه هذا التعليم فقد علمنا مما سبق فساد رأيهم بشأن التأديبات الكنسية ، وأنه مضاد كل المضادة للمبدأ المسيحي .

ثالثا : ان استحقاقات ربنا يسوع المسيح حقا هي كنز غير محدود لا يفرغ لنعمة التبرير . ولكن هذه الاستحقاقات لم توهب للبابا ليوزع منها كيف يشاء بغير حساب ، وإنما ينالها الناس وتمنح لهم بشروط أخصها

الإيمان والتوبة والعزم الثابت على اصلاح السيرة وأعمار النوبة التي هي الأعمال الصالحة . وأما منح الخطاة استحقاقات يسوع المسيح قبل أن يتموا شروط التوبة وعتقهم من القصاصات التي تستلزمها خطاياهم للعدل الالهي ومنحهم أوراق غفرانات فهو تعد ظالم خارج عن حدود كلمة الله .

وأما : ان فضائل القديسين مهما كانت عظيمة لا يمكن أن تكون زائدة عما يجب ويفضل عنها حتى يوزع منها على الغير . فان هذا التعليم غريب عن تعاليم المسيح :

١ - لأن أعمال القديسين مهما كانت فاضلة فإنها لا تصير كاملة ومقبولة بذاتها بل بقوة النعمة الالهية ، ولها مكافأتها أمام الله بناء على استحقاق مخلصنا يسوع .

٢ - ان الشريعة الانجيلية التي نسلك بموجبها طريق الحياة الأبدية ليست محدودة كما ظلال المرئم « لكل كمال رأيت حدا . أما وصيتك فواسعة جدا » (مز ١١٩ : ٩٦) فمهما عمل الانسان من الفضائل لا يمكنه أن يصل الى المطلوب بالوصية القائلة « فكونوا أنتم كاملين كما أباكم الذي في السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٨) وهذا الكمال هو المطلوب من القديسين ، ومهما تقدم المؤمنون في هذا الكمال فإنهم لا يصلون الى نهايته حتى قال بولس الرسول « ليس انى قد نلت أو صرت كاملا ولكنى أسعى لعلى أدرك الذى لأجله أدركنى أيضا المسيح يسوع . أيها الأخوة أنا لست أحسب انى قد أدركت . ولكنى أفعل شيئا واحدا اذا أنسى ما هو وراء وأمتد الى ما هو قدام . أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع . فليفتكر هذا جميع الكاملين منا وان افتكرتم ثم شيئا بخلافه فالثه سيعلن لكم هذا أيضا . وأما ما قد أدركناه فلنسلك بحسب ذلك القانون عينه ونفتكر ذلك تأكل وتشرب أنت . فهل لذلك العبد فضل لأنه فعل ما أمر به . منكم له عبد يحرق أو يرعى يقول له اذا دخل من الحقل تقدم سريعا واتكىء . بل ألا يقول له أعدد ما أتعشى به وتمنطق واخدمنى حتى أكل وأشرب وبعد ذلك تأكل وتشرب أنت . فهل لذلك العبد فضل لأنه فعل ما أمر به . لا أظن . كذلك أنتم أيضا متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا اننا عبيد بظالمون . لأننا انما عملنا ما كان يجب علينا » (لو ١٧ : ٧ - ٩) .

٣ - يتضح من قول الرب يسوع « في بيت أبى منازل كثيرة » (يو ١٤ : ٢) أن لكل قديس منزلة خاصة من الغبطة وجائزة خاصة . ومهما كانت أعمال الانسان فانه ينال عنها الجائزة المناسبة لها . ولا يمكن أن تزيد أعماله عما هو واجب عليه ومطلوب منه أو يفضل عنه لينتفع بها غيره كأنها غير نافعة لصانعها . فأين إذن تلك الفضائل الزائدة التي يمكن التوزيع منها على الخطاة ؟

الإيمان والتوبة والعزم الثابت على اصلاح السيرة وأعمار النوبة التي هي الأعمال الصالحة . وأما منح الحطة استحقاقات يسوع المسيح قبل أن يتموا شروط التوبة وعتقهم من القصاصات التي تستلزمها خطاياهم للعدل الالهي ومنحهم أوراق غفرانات فهو تعد ظالم خارج عن حدود كلمة الله .

وأما : ان فضائل القديسين مهما كانت عظيمة لا يمكن أن تكون زائدة عما يجب ويفضل عنها حتى يوزع منها على الغير . فان هذا التعليم غريب عن تعاليم المسيح :

١ - لأن أعمال القديسين مهما كانت فاضلة فإنها لا تصير كاملة ومقبولة بذاتها بل بقوة النعمة الالهية ، ولها مكافأتها أمام الله بناء على استحقاق مخلصنا يسوع .

٢ - ان الشريعة الانجيلية التي نسلك بموجبها طريق الحياة الأبدية ليست محدودة كما ظلال المرئم « لكل كمال رأيت حدا . أما وصيتك فواسعة جدا » (مز ١١٩ : ٩٦) فمهما عمل الانسان من الفضائل لا يمكنه أن يصل الى المطلوب بالوصية القائلة « فكونوا أنتم كاملين كما أباكم الذي في السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٨) وهذا الكمال هو المطلوب من القديسين ، ومهما تقدم المؤمنون في هذا الكمال فإنهم لا يصلون الى نهايته حتى قال بولس الرسول « ليس انى قد نلت أو صرت كاملا ولكنى أسعى لعلى أدرك الذى لأجله أدركنى أيضا المسيح يسوع . أيها الأخوة أنا لست أحسب انى قد أدركت . ولكنى أفعل شيئا واحدا اذا أنسى ما هو وراء وأمتد الى ما هو قدام . أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع . فليفتكر هذا جميع الكاملين منا وان افتكرتم ثم شيئا بخلافه فالث سيعلمن لكم هذا أيضا . وأما ما قد أدركناه فلنسلك بحسب ذلك القانون عينه ونفتكر ذلك تأكل وتشرب أنت . فهل لذلك العبد فضل لأنه فعل ما أمر به . منكم له عبد يحرق أو يرعى يقول له اذا دخل من الحقل تقدم سريعا واتكىء . بل ألا يقول له أعدد ما أتعشى به وتمنطق واخدمنى حتى أكل وأشرب وبعد ذلك تأكل وتشرب أنت . فهل لذلك العبد فضل لأنه فعل ما أمر به . لا أظن . كذلك أنتم أيضا متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا اننا عبيد بظالمون . لأننا انما عملنا ما كان يجب علينا » (لو ١٧ : ٧ - ٩) .

٣ - يتضح من قول الرب يسوع « في بيت أبى منازل كثيرة » (يو ١٤ : ٢) أن لكل قديس منزلة خاصة من الغبطة وجائزة خاصة . ومهما كانت أعمال الانسان فانه ينال عنها الجائزة المناسبة لها . ولا يمكن أن تزيد أعماله عما هو واجب عليه ومطلوب منه أو يفضل عنه لينتفع بها غيره كأنها غير نافعة لصانعها . فأين إذن تلك الفضائل الزائدة التي يمكن التوزيع منها على الحطة ؟

خامسا : ان هذا التعليم مضر بالناس لانه يحرم الخطاة من الوسائط الضرورية لعلاج امراضهم الروحية . ويغش الشعب ويضله ضللا فظيحا اذ يصور لهم سهولة المصالحة مع الله ومع الكنيسة . ويفتح بابا للأغنياء للتمادي في الخطايا ما داموا يستطيعون أن يشتروا أورزق غفرانات تصفح عن خطاياهم وتبررهم أمام الله ، وتبيح لهم الخطايا المستأنفة . كما أنه يملا الفقراء يأسا اذ لا قدرة لهم على شراء تلك الأوراق . والخلاصة أن هذا التعليم سبب فسادا عظيما في الآداب العمومية كما يشهد بذلك التاريخ .

سادسا : هذا التعليم ينكره كثيرون من آباء وعلماء الكنيسة الرومانية أنفسهم . ويعترفون بأنه تعليم حديث . قال القديس أنطونين رئيس الأساقفة في فيرتزا « بخصوص الغفرانات ليس لها قول مخصوص في الكنيسة المقدسة . ولا يوجد ذكر للغفرانات أصلا في كتب المعلمين القدماء » (فصل ١ قضية و ٣ عن الغفرانات) وقال الكاردينال كايثانوس « انه لو كان لنا خبر «حقيق عن كيف دخلت عادة الغفرانات في الكنيسة لكان ذلك يعيننا في الفحص عن المطهر ولكن لا يوجد ذكر هذه الأشياء أصلا في الكتب المقدسة ولا في كتب المعلمين ان كانوا روما أو لاتينيين » (عن الغفرانات رأس ٢) وقال الكاردينال نيش « انه ما دام الناس لم يكن لهم فكر عن المطهر لم يفتشوا عن الغفرانات لأن كل اعتبار الغفرانات هو المطهر . وحيث أن المطهر لم يكن معروفا عند الكنيسة الجامعة الا في أجيالنا الأخيرة فليس بعجب اذا كان في أول الكنيسة لم تكن الغفرانات موجودة فالمطهر ربما لم يوجد ذكره قط في كتب الآباء الأقدمين ، والروم حتى يومنا هذا لا يؤمنون به ، واللاتينيون قبلوه ليس في وقت واحد بل رويدا رويدا » (نقض لوثيروس قضية ١٨) والعالم وأسالوس النمساوي الذي يسمى نور العالم لسمو علمه ، وكان صديقا حميما للبابا سكستوس الرابع ، قال في احدي رسائله « ان البابا ليس له سلطان ان يعطي غفرانا ولا ساعة واحدة وانه أمر مزح وهزوء انه بعض الأقاوت يعطي غفرانا على سبع سنين لأجل خطية . وبعض أوقات على سبعمائة سنة أو الى الأبد بالغفران الكامل ، وقال أيضا « انه لا يوجد أصلا ذلك التمييز بين غفران الخطية وقصاصها المبني عليه تعليم الغفرانات وان هذا التعليم هو من قبيل الطمع بالمال . وان كان الله ذاته لا يعطي غفرانا كاملا للقلب المنسحق التائب فكم يكون البابا أقل منه . وأما اذا كان الله يغفر فكيف للبابا سلطان أن يربط !! وان كان لا يوجد للخطية قصاص بعد ما يغفر الله له فالبابا ماذا يحله !! » . وقال في جوابه لحصمه انكولاريس « ان الغفرانات قبل زمان البرتوس وتوماس اكويناس كانت محسوبة كأنها كذبة تقوية وانه الى يومنا هذا يبقى كثير من المعلمين مضادين عادة دولة رومية في هذا الشأن . وقال المؤرخ ثوانوس أحد كبار العلماء الشرفاء بين الرومانيين . ان في سنة ١٥١٥ كان البابا لاون العاشر رجلا مسلما ذاته لكل نوع من

العيشة المتراخية النجسة ، لكي يجمع مالا من كل جانب لأجل مصاريفه
الجزيلة ، وكان يرسل أوراق الغفرانات التي فيها الوعد بمحو كل خطية
وبهدية الحياة الأبدية إلى جميع ممالك المسيحيين وكان مميّنا فيها الثمن الذي
يجب على كل واحد أن يعطيه بمقدار خطيته . واختار البابا له جبة وتخزنة
يحفظون الأموال في جميع الأماكن ومبشرين يطوفون حيثما يكون لهم منفعة
كثيرة من هذه الغفرانات . وهؤلاء المبشرين فد عظموها جدا وعظموا قوتها
في خلاص الأنفس الشقية في المطهر ، (تاريخ كتاب ١ وجه ٣) وقالت القديسة
بريجيتا التي كانت في الجيل الرابع عشر « ان البابا قد جمع الوصايا العشر
كلها في واحدة وهي « قدم لي مالا » .

والخلاصة ان هذا التعليم ليس غريبا فقط عن المبادئ المسيحية ولكنه
يجلب على المسيحية عارا كبيرا !!

الفصل الثاني

تفنيد الآراء الفاسدة عن هذا السر

ارتأى البعض ممن ينكرون الأسرار المقدسة أن يعقوب الرسول يذكر مسحة الزيت كواسطة بسيطة وعادية لشفاء الأمراض . كما ارتأى آخرون أنها موهبة شفائية أعطيت للرسل ليشفوا بها المرضى كما فعلوا العجائب .

وتفنيد الرأي الأول بما يأتي :

أولا : ان يعقوب الرسول لم يتكلم عن هذا السر كعادة كانت مستعملة بل كسر حائز لكل الشروط اللازمة لاتمام السر وهي :

١ - الشخص القابل السر وهو المريض بقوله « أريض أحد بينكم » .

٢ - خادم السر بقوله « فليدع قسوس الكنيسة » .

٣ - صورة السر وهي « الصلاة » بقوله « فيصلوا عليه » .

٤ - مادة السر بقوله « ويدهنوه بزيت » .

٥ - مفعول السر وهو الشفاء بقوله « صلاة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه وان كان قد فعل خطية تغفر له » .

ثانيا : ان قوة الزيت مهما كانت لا يمكن أن تكون دواء عموميا لكل

مرض . ونحن نرى يعقوب الرسول يتكلم هنا كلاما عموميا يعم كل مرض بقوله « أريض أحد بينكم » .

ثالثا : لو كان الزيت دواء عاديا لأمكن الأصديقاء أو أقارب المريض

أو أحد الأطباء أن يتموه ويستعملوا له هذه الوساطة لشفائه . غير أننا نرى الرسول يحصر ذلك في قسوس الكنيسة بقوله « فليدع قسوس الكنيسة » والرسول لا ينسب قوة الشفاء إلى الزيت وحده بل إلى صلاة الكهنة بقوله « فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت . باسم الرب وصلاة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه » ويضيف إلى شفاء المريض غفران الخطايا بقوله « وان كان قد فعل خطية تغفر له » وهذا الغفران لا يمكن بوجه من الوجوه أن ينجم عن الشفاء الجسدي الذي يمكن نيله بالأدوية والأطباء .

الفصل الثاني

تفنيد الآراء الفاسدة عن هذا السر

ارتأى البعض ممن ينكرون الأسرار المقدسة أن يعقوب الرسول يذكر مسحة الزيت كواسطة بسيطة وعادية لشفاء الامراض . كما ارتأى آخرون أنها موهبة شفائية أعطيت للرسل ليشفوا بها المرضى كما فعلوا العجائب .

وتفنيد الرأي الأول بما يأتي :

أولا : ان يعقوب الرسول لم يتكلم عن هذا السر كعادة كانت مستعملة بل كسر حائز لكل الشروط اللازمة لاتمام السر وهي :

- ١ - الشخص القابل السر وهو المريض بقوله « أريض أحد بينكم » .
- ٢ - خادم السر بقوله « فليدع قسوس الكنيسة » .
- ٣ - صورة السر وهي « الصلاة » بقوله « فيصلوا عليه » .
- ٤ - مادة السر بقوله « ويدهنوه بزيت » .
- ٥ - مفعول السر وهو الشفاء بقوله « صلاة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه وان كان قد فعل خطية تغفر له » .

ثانيا : ان قوة الزيت مهما كانت لا يمكن أن تكون دواء عموميا لكل مرض . ونحن نرى يعقوب الرسول يتكلم هنا كلاما عموميا يعم كل مرض بقوله « أريض أحد بينكم » .

ثالثا : لو كان الزيت دواء عاديا لأمكن الأصديقاء أو أقارب المريض أو أحد الأطباء أن يتموه ويستعملوا له هذه الوساطة لشفائه . غير أننا نرى الرسول يحصر ذلك في قسوس الكنيسة بقوله « فليدع قسوس الكنيسة » والرسول لا ينسب قوة الشفاء الى الزيت وحده بل الى صلاة الكهنة بقوله « فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت . باسم الرب وصلاة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه » ويضيف الى شفاء المريض غفران الخطايا بقوله « وان كان قد فعل خطية تغفر له » وهذا الغفران لا يمكن بوجه من الوجوه أن ينجم عن الشفاء الجسدي الذي يمكن نيله بالأدوية والأطباء .

ونفند الرأي الثانى القائل بأن فعل مسح الزيت الذى ذكره يعقوب الرسول هو احدى المعجزات ما يأتى :

أولا : ان مواهب الشفاء بالمعجزات لم ترتبط مطلقا بعلامة معينة كما هو واضح من تاريخ المخلص والرسول . على أن يعقوب الرسول يذكر هنا مادة معينة لعمل المسحة وهى الزيت .

ثانيا : ان الذين وهبت لهم مواهب الشفاء وفعل الآيات أعطيت لهم قوة على شفاء الأمراض فقط ، ولم تعط لهم مقدره على غفران الخطايا لأن هذه القوة قد منحها الرب يسوع لرسوله ولخلفائهم من بعدهم دون غيرهم ، ويعقوب الرسول يشير بأن من مفاعيل سر المسحة علاوة على شفاء المرض غفران الخطية أيضا .

ثالثا : ان موهبة العجائب وموهبة شفاء الأمراض كانت فى أزمنة الرسل عمومية لكل المؤمنين من كل صنف ورتبة (راجع ١ كو ١٢ : ٧ - ١٢) . فلو كان كلام يعقوب الرسول يشير الى موهبة الأمراض بالمعجزات لكان الواجب عند الحاجة الى الشفاء ، الالتجاء الى من وهب هذه الموهبة بصرف النظر عن مركزه ورتبته . ولكن الرسول يأمر صريحا بأن ندعو قسوس الكنيسة لتتميم سر الزيت المقدس ، أى أنه خصصه بأشخاص معينين .

فمما تقدم يتضح أن الرسول لم يقصد شفاء الأمراض بواسطة معجزية بل يتكلم عن طقس كنسى معروف ، وسر معين يتمه الكهنة دون غيرهم .

الفصل الثالث

أقوال الآباء عن هذا السر

ان هذا السر المقدس كان مستعملا منذ الأزمنة الرسولية لأن الكنيسة لم تترك استعمال شيء مما تسلمته ، ولم تخالف مطلقا وصية صريحة يوصى بها يعقوب الرسول ، ويؤيد هذه الحقيقة أقوال آباء الكنيسة الأقدمين : فمنهم من اكتفى بإسناد سر المسحة إلى كلام يعقوب الرسول ، ومنهم من سماه عملا سريا ، ومنهم من سماه سرا ، فالعلامة أوريجانوس عند تعداد الوسائط للحصول على غفران الخطايا ، كالمعمودية والاستشهاد قال « توجد واسطة سابعة أيضا لغفران الخطايا لكنها قاسية وصعبة وهي الغفران بالتوبة حين يبيل الخاطيء فراشه بدموعه وتصير له الدموع خبزا نهارا وليلا ، وحين يعترف بخطيته أمام كاهن الله يطلب الغفران قائلا مثل داود « اعترف لك بخطييتي ولا أكتم ائمتي ، قلت أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت آثام خطييتي » (مز ٣٢ : ٥) ثم يقول هذا العلامة « وهنا يتم ما قيل من يعقوب الرسول : أمرىض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيضعوا عليه الأيدي ويمسحوه بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تخلص المريض وان كان مرتكبا خطايا تغفر له » .

ولنلاحظ هنا في قول أوريجانوس أنه أبدل عبارة الرسول « يصلوا عليه » بقوله « يضعوا عليه الأيدي » وبذلك يشير إلى العادة الجارية منذ الأزمنة الأولى حتى الآن في تكميم سر الزيت ، وهي وضع الكاهن يده على رأس المريض حين يصلى عليه . ومن كلام أوريجانوس نستنتج أيضا أنه لا يضع فاصلا بين سرى التوبة والمسحة بالزيت لأنه يتكلم عن الواحد بعد الآخر ، وهنا يدل على أن سر المسحة كان يتم قديما بعد سر التوبة .

والقديس يوحنا ذهبى الفم يقول عند مقابله بين الكهنة والآباء الجسدیین « أما أولئك (أى الوالدين) فيلدوننا لهذه الحياة وأما هؤلاء فلتلك . أولئك لا يستطيعون أن ينقوننا من الموت الجسدى ولا أن يزيلوا مرضا يتسلط علينا . وأما هؤلاء فكثيرا ما خلصوا نفسا مريضة وقريبة من الهلاك ، وجعلوا عذاب البعض خفيفا جدا ، ولم يدعوا كثيرين أن يسقطوا في عذاب أو أن يدنوا منه ، ليس بالتعليم والارشاد فقط بل بمساعدتهم بالصدقات أيضا . لأن سلطانهم

في غفران الخطايا لا ينحصر في البرهة التي يلدوننا فيها بالمعمودية بل يمتد الى ما بعدها أيضا . لأنه يقول « أريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه وان كان قد فعل خطية تغفر له » ثم ان الوالدين الطبيعيين لا يستطيعان أن ينفعا أولادهما بشيء اذا سقطوا تحت غضب أحد من ذوى التقدم والاقتمار (١) في هذه الدار ، لكن الكهنة يسترضون لهم لا رئيسا ولا ملكا أرضيا ، بل الله ذاته الذى يفضبونه مرارا كثيرة ، (خطاب ٣ : ٦ في الكهنوت) .

والقديس كيرلس الأورشليمي يقول وهو يحارب السحر « أما أنت فاذا كنت موجعا في أجزاء جسدك وآمنت بالحقيقة أن دعائك باسم رب المصباؤوت وسائر أنواع الدعاء التي ينسبها الكتاب الالهى لله بحسب طبيعته تحل مصيبتك ، فصل هذه الكلمات وادع بها عن نفسك لأنك تعمل عملا أفضل من أولئك المؤمنين بالسحر ، اذا كنت تقدم المجد لله لا للأرواح النجسة . وائنى لمتذكر الكتاب الالهى حيث يقول « أريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه وان كان قد فعل خطية تغفر له » (في العبادة بالروح والحق كتاب ٤) .

ويبين القديس غريغوريوس في كتابه في الأسرار كيفية تنميم سر الزيت مع صلواته ، وفيه يذكر أن الكاهن يمسح المريض بزيت على اسم الآب والابن والروح القدس ويقول له : « لا يبق فيك الروح النجس مختفيا بل فلتسكن فيك قوة المسيح الاله والروح القدس لكي تشفى بتتميم هذا السر وبمسحة الزيت المقدس ، وبصلواتنا بقوة الثالوث القدوس وتعود الى الصحة التامة » (جزء ٣ : ٢٣٥) .

(١) أى أصحاب المراكز العالمية والسلطة .

الفصل الرابع

اتفاق جميع الكنائس وشهادة التاريخ

وشهادة ناكري الأسرار

نضيف الى ما تقدم أن جميع الكنائس شرقا وغربا متفقة على حقيقة هذا السر . وهذا الاتفاق العام برهان قاطع على أن «مسحة المرضى سر من أسرار الكنيسة ، مسلم لها منذ الأزمنة الرسولية . فان الكنائس مع اختلافها في أمور كثيرة لم تختلف في هذا السر .

وقد شهد موسهيم المؤرخ البروتستانتي لهذا السر بقوله « ان المسيحيين الأولين لما مرضوا مرضا مخطرا كانوا يدعون شيوخ الكنيسة « أي القسوس والأساقفة » وبعد أن يعترف المريض بخطاياهم يستودعه الشيوخ لله بالتضرعات الحشوية ويدهنونه بالزيت » (ف ١ : ف ٢ قسم ٤) والكنيسة الأسقفية تعترف بصحة هذا السر وتمارسه بصلوات مخصوصة وفصول انجيلية كما هو عندنا (راجع كتاب الصلاة العامة صفحة ٢٧٤ - ٢٨٥) .

ويحسن بنا أن نلخص هنا ما قاله القس الانجليزي ف . ج . سمث صاحب كتاب (انارة الالباب في شرح وتعليم عقائد الكتاب) عند كلامه عن الشفاء الالهي « ان الله لم يهمل أمر أجسادنا في هذه الحياة بل قسم لها نصيبا من عنايته ، ويهمل أمر تقدمنا الجسدي بدليل ما جاء في رسالة يوحنا الثالثة والعدد الثاني « أيها الحبيب في كل شيء أروم أن تكون ناجحا وصحيحا كما أن نفسك ناجحة » وقل من يهتم بهذا الأمر أمر أعتناء الله بالجسد وشفائه . وقل أيضا ايمان الناس به ولكن عدم أمانتهم لا يبطل أمانة الله . وكل ما علينا هو أن نصدق كلمة الله ومواعيده ونسير بموجبها ، لا بموجب ما يرتثيه العقل البشري ويصدق ، ومن ثم يعمل الله فينا طبقا لمواعيده . فان الله كلف لا يزال الشافي العظيم والمطبيب الأكبر . وبعد أن أورد نصوصا كثيرة من النبوات تنبىء بأن المسيح سيكون شفاء للأمم ، كما أورد من الانجيل ما يدل على اتمام تلك النبوة في المسيح له المجد وشفائه للمرضى (راجع اش ٤٢ : ٦ و ٧ مع لو ٤ : ١٨ - ٢١ ، اش ٢٥ : ٤ - ٦ مع مت ٨ : ١٦ و ١٧ ، ١١ : ٤ و ٥ وملا ٤ : ٢ مع مت ٤ : ٢٣ و ٢٤ ، ٩ : ٢ - ٦ و ٣٥ و ٣٦ ، ١٤ : ١٤ ، ١٥ : ٣٠ و ٣١ مر ١ : ٤٠ - ٤٤) قال وأعطى هذه القوة (أي الشفاء) لتلاميذه الاثنى عشر

وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض
 وكل ضعف (مت ١٠ : ١) وأرسلهم وأوصاهم أقانلاً وفيما أنتم ذاهبون
 اكرزوا قائلين انه قد اقترب ملكوت السموات . اشفوا مرضى . طهروا
 برصاً . أقيموا موتى . أخرجوا شياطين . مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا
 (مت ١٠ : ٧ و ٨) فخرجوا وصاروا يكرزون أن يتوبوا . وأخرجوا شياطين
 كثيرة ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم (مر ٦ : ١٢ و ١٣) وجرت على
 أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب . . . حتى انهم كانوا يحملون
 المرضى خارجاً في الشوارع ويضعونهم على فرش وأسرة حتى اذا جاء بطرس
 يخيم ولو ظله على أحد منهم . واجتمع جمهور المنفعة المحيطة الى اورشليم
 حاملين مرضى ومعذبين من أرواح نجسة وكانوا يبرأون جميعهم (أع ٥ :
 ١٢ - ١٦) « وهذه الآيات تتبع المؤمنين . يخرجون الشياطين باسمي
 ويتكلمون بالسنة جديدة . يحملون حيات وان شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم
 يضعون أيديهم على المرضى فيبرأون » (مر ١٦ : ١٧ و ١٨) راجع أيضاً
 (مر ١٦ : ٢٠ ، أع ٨ : ٥ - ٨ ، ١٤ : ٨ - ١٠ ، ١٩ : ١٠ - ١٢)
 وبعد أن أثبت أن هذه الموهبة « موهبة الشفاء » تلوم في الكنيسة (راجع
 مت ٢٨ : ١٩ و ٢٠ مر ١٦ : ١٥ - ١٨ ، ١ كو ١٢ : ٢٨ ، أع ١٠ : ٤٦
 و ١٩ : ٦) قال « وهذا العمل منوط بكل خدمة الله ، وهو قسم من العمل
 المعطى لهم من الله ، ولهذا يقول يعقوب الرسول : أمرىض أحد بينكم فليدع
 قسوس الكنيسة الخ . هذه هي كلمة الله فما المنفعة من نكرانها وحذفها
 والهزاء بها الخ . »

٦ - سفر الزيجات

الفصل الأول

الزيجة من حيث هي ناموس طبيعي وهن حيث هي سر

الزيجة ناموس طبيعي سنه الله تعالى منذ ابتداء الخليقة بدليل قول موسى النبي في سفر التكوين « فخلق الله الانسان على صورته • صورة الله خلقه • ذكرا وانثى خلقهم • وباركهم الله وقال لهم اثمروا واكثروا وأملأوا الأرض » (تك ١ : ٢٧ و ٢٨) وقول الرب بعد خلق آدم « ليس جيدا أن يكون آدم وحده • فأصنع له «مينا نظيره » (تك ٢ : ١٨) وعند خلق المرأة قال « فأوقع الرب الاله سباتا على آدم فنام • فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما • وبني الرب الاله الضلع التي أخذها من آدم امرأة لأنها من امرء أخذت • لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا » (تك ٢ : ٢١ - ٢٤)

ولما فسد البشر وهلك العالم بالطوفان لم يبطل الله هذا الناموس ، بل عاد وثبته كما يقول الكتاب « وبارك الله نوحا وبنيه وقال لهم اثمروا واكثروا وأملأوا الأرض » (تك ٩ : ١) وقد ثبت الرب يسوع رباط الزيجة وباركه بحضور المرس في قانا الجليل (يو ٢ : ١ - ١١) ورفع الزيجة الى درجة السر لما أجاب على سؤال الفريسيين ، عما اذا كان مسموحا للانسان أن يطلق امرأته لكل سبب • فقال له المجد « أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكرا وانثى • وقال • من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا • اذا ليسا بعد اثنين بل جسدا واحد • فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان » (مت ١٩ : ٤ - ٦) وقد أكد هذه الحقيقة بولس الرسول بقوله « لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل • ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل • غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب • لأنه كما أن المرأة هي من الرجل هكذا الرجل أيضا هو بالمرأة • ولكن جميع الأشياء هي من الله » (١ كو ١١ : ٨ - ١٢) وقال « اذا من زوج عذراه فحسنا يفعل » (١ كو ٧ : ٣٧) وحكم بالشجب على الذين يحتقرون رباط الزيجة المقدس (١ تي ٤ : ١ و ٢) وقد حذو الرسل جميع الآباء القديسين في اعتبارهم أن الزيجة رباط مقدس مؤسس من الله تعالى •

الفصل الثاني

الغاية من الزيجة وتأسيس هذا السر

للزيجة غايتان الغاية الأولى هي نمو النوع البشرى وحفظه بالتناسل حسب الأمر الإلهي « أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض » وترتبط بهذه الغاية غاية أخرى وهي نمو وازدياد أعضاء كنيسة الله .

والغاية الثانية هي التعاون والتعاقد ومساعدة كل من للزوجين للآخر وفقا لقول الرب : « ليس جيدا أن يكون آدم وحده . فاصنع له معينا نظيره » ولذلك خلق الله للمرأة من ضلع آدم ليكون بينهما اتحاد طبيعي ويكون رباطهما قويا ويعيشا كل حياتهما بدون انفصال . وبعد أن سقط الإنسان في الخطية أضيفت إلى الغايتين المذكورتين غاية أخرى هي تحصين الإنسان من الخطية وكبح جماح الشهوات بالاقتران الشرعي ، ولذلك قال الرسول « حسن للرجل أن لا يمس امرأة . ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امراته وليكن لكل واحدة رجلها . . . ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل . وكذلك الرجل أيضا ليس له تسلط على جسده بل للمرأة . لا يسلب أحدكم الآخر ، إلى أن قال « ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا . ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا . لأن الزواج أصلح من التحرق » (١ كو ٧ : ١ - ٩) .

وبناء على ما تقدم نرى أن الزواج ناموس مقدس أسسه الله تعالى منذ البدء وثبته الرب يسوع ورفخ شأنه وسر أن يجعله سرا مقدسا في كنيسته ، وعلى ذلك نعرفه : بأنه سر مقدس به يرتبط ويتحد الرجل والمرأة اتحادا مقدسا بنعمة الروح القدس للحصول على ولادة المبين وتربيتهم التربوية المسيحية . وسمى هذا السر اكليلا بسبب الاكالييل التي توضع فوق رؤوس العروسين وقت اتمام هذا السر المقدس وهي رمز إلى اكالييل النعمة والمجد والثبات كما هو مذكور في صلاة الاكالييل .

ولم يرد في انجيل متى كيف أسس الرب يسوع سر الزواج . كما أنه لم يرد ذكر أشياء كثيرة غيرها مما صنعه أمام تلاميذه ، كما روى يوحنا الانجيلي بقوله « وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب » . (يو ٢٠ : ٣٠) .

الفصل الثاني

الغاية من الزيجة وتأسيس هذا السر

للزيجة غايتان الغاية الأولى هي نمو النوع البشرى وحفظه بالتناسل حسب الأمر الإلهي « أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض » وترتبط بهذه الغاية غاية أخرى وهي نمو وازدياد أعضاء كنيسة الله .

والغاية الثانية هي التعاون والتعاقد ومساعدة كل من للزوجين للآخر وفقا لقول الرب : « ليس جيدا أن يكون آدم وحده . فاصنع له معينا نظيره » ولذلك خلق الله للمرأة من ضلع آدم ليكون بينهما اتحاد طبيعي ويكون رباطهما قويا ويعيشا كل حياتهما بدون انفصال . وبعد أن سقط الإنسان في الخطية أضيفت إلى الغايتين المذكورتين غاية أخرى هي تحصين الإنسان من الخطية وكبح جماح الشهوات بالاقتران الشرعي ، ولذلك قال الرسول « حسن للرجل أن لا يمس امرأة . ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امراته وليكن لكل واحدة رجلها . . . ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل . وكذلك الرجل أيضا ليس له تسلط على جسده بل للمرأة . لا يسلب أحدكم الآخر ، إلى أن قال « ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا . ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا . لأن الزواج أصلح من التحرق » (١ كو ٧ : ١ - ٩) .

وبناء على ما تقدم نرى أن الزواج ناموس مقدس أسسه الله تعالى منذ البدء وثبته الرب يسوع ورفخ شأنه وسر أن يجعله سرا مقدسا في كنيسته ، وعلى ذلك نعرفه : بأنه سر مقدس به يرتبط ويتحد الرجل والمرأة اتحادا مقدسا بنعمة الروح القدس للحصول على ولادة المبين وتربيتهم التربوية المسيحية . وسمى هذا السر اكليلا بسبب الاكالييل التي توضع فوق رؤوس العروسين وقت اتمام هذا السر المقدس وهي رمز إلى اكالييل النعمة والمجد والثبات كما هو مذكور في صلاة الاكالييل .

ولم يرد في انجيل متى كيف أسس الرب يسوع سر الزواج . كما أنه لم يرد ذكر أشياء كثيرة غيرها مما صنعه أمام تلاميذه ، كما روى يوحنا الانجيلي بقوله « وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب » . (يو ٢٠ : ٣٠) .

ولقد ارتأى بعض الآباء أن الرب يسوع أسس سر الزيجة لما حضر عرس قانا الجليل وباركه بحضوره (يو ٢ : ١ - ١١) وقال بعضهم إنه أسسه بخطابه للفريسيين في الزواج الحقيقي بقوله « فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان » (مت ١٩ : ٣ - ١٢) ورأى آخرون بأنه له المجد أسسه بعد قيامته من الأموات مدة ظهوره لتلاميذه أربعين يوما وهو يتكلم معهم عن الأمور المختصة بملكوت الله « أي الكنيسة » (ا ع ١ : ٣) وعلى كل حال فإنه من الثابت من أقوال الرسل ومؤلفات الآباء والتقليد الشريف أن سر الزيجة قائم في الكنيسة منذ تأسيسها . وقال معلمنا بولس بصريح العبارة في اف (ص ٥) هذا السر عظيم .

وقد بين نفس الرسول واجبات كل من الزوجين بقوله للنساء « أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب . لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن في كل شيء » ، وبقوله للرجال « أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها . لكي يقدسها . . . كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم . من يحب امرأته يحب نفسه . فإنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه كما الرب أيضا للكنيسة . لاننا أعضاء جسده من لحمه ومن عظامه . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا . هذا السر عظيم ولكنني أنا أقول نحو المسيح والكنيسة » (اف ٥ : ٢٢ - ٣٢) .

فمن قول الرسول هذا يتضح جليا أن رباط الزيجة يصور اتحاد المسيح بالكنيسة . وعلى هذا المعنى يكون الزواج سرا عظيما لأنه ما دام رباط الزيجة هو صورة حقيقية في جوهره يصوره سر يا اتحاد المسيح بالكنيسة ، وهذا الاتحاد هو بلا ريب مقدس وبريء من الدنس ، فمن الضرورة أن نسلم بأن الزيجة أيضا قد تقدست في الشريعة المسيحية وامتلات نعمة بوجه سرى وأستوفت السر ، وأنها سر من الأسرار المقدسة . خصوصا وأن الرسول يقول : تخضع المرأة لرجلها كما تخضع الكنيسة للمسيح ، وأن يحب الرجل امرأته كما أحب المسيح الكنيسة . فهذه اللقابلة لا محل لها على الإطلاق لو لم ينل الزوجان نعمة خاصة بسر الزواج .

وقال هذا الرسول في رسالته الأولى الى أهل كورنثوس « المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيا . ولكن ان مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد إلى الرب فقط » (١ كو ٧ : ٢٩) . وهذا يدل على أن الزيجة منذ أزمته الرسل كانت تعقد باسم الرب . بمعنى انها كانت عملا مقدسا دينيا يخدمه كنسية منظورة ، مما يدل على انها كانت معتبرة سرا مقدسا من أسرار الكنيسة .

الفصل الثالث

أقوال آباء الكنيسة عن سر الزيجة

يظهر من أقوال آباء الكنيسة اعتبارهم أن الزيجة سر مقدس . قال القديس اغناطيوس الشهيد « يجب على المتزوجين والمتزوجات أن يجسروا اتحادهم برأى الأسقف ، لكي يكون الزواج مطابقاً لإرادة الله لا بحسب الشهوة » (رسالة الى بواليكربوس فصل ٦)

وقال العلامة توتليانوس « كيف يمكننا أن نعبر عن سعادة الزيجة التي تعقدها الكنيسة ويثبتها القربان وتختتمها البركة » (لامراته ٢ : ٩) وأشار الى أن الزواج سر مثل باقى الأسرار كالمعمودية والميرون والشركة بقوله « ان الشيطان بما أنه يطلب أن يهدم الحقيقة فيقلد الأسرار الالهية نفسها عند الأهم ، فيعمد بعضاً من أتباعه ويعدهم أن تغفر خطاياهم بالمعمودية ، ويختتم جبهة أصداده ، ويقدم احتفالياً تقديم الحبز ... ويدعو الكاهن ليبارك الزيجة » (فى الهرطقات فصل ٤)

وحال القديس غريغوريوس الكبير « ألم تقترن بالجسد بعد ؟ لا تخف من تميم ذلك . فأنت طاهر والمسئولية على لاني أنا عقدته وأنا أعطيتك العروس » (خطاب فى المعمودية فصل ١٨)

وقال القديس امبروسىوس « اذا كان من الواجب أن يعقد الزواج بحلة كهنوتية وبركة فكيف يمكن أن تكون زيجة حيث الايمان مختلف ؟ » (رسالة الى ويجيلبيوس فصل ١٩ و ٢٣ : ٧) وقال « لاننا نعتزف بأن الله هو سيد الزواج وحازسه ولا يطبق أن يدنس المضعج . فمن يخطئ خطية كهذه يخطئ ضد الله اذ يخالف شريعته ويسىء استعمال نعمته ، ومتى أخطأ ضد الله لا يقدر أن يشترك فى السر الالهى » (فى ابراهيم ١ : ٧)

وقال القديس اغسطينوس « ان قداسة السر لها فى زيجتنا (المسيحية) قوة أكثر من قوة ثمرة الأولاد فى الأم » (فى الزيجة ١٨ : ٢١ ، ٢٤ : ٢٢) وقال القديس يوحنا ذهبى الفم عند كلامه ضد الأغاني والاحتفالات غير اللائقة فى الأعراس « قل لى لماذا تسمح من بادى الأمر بأن تمتلئ أذان ابنتك من الشوائب بالأناشيد القبيحة وبذلك الاحتفال الذى لا محل له ؟ ألسنت تعلم أن الصبوة (١) سهلة الزلق ؟ لماذا تهتك أسرار الزيجة الموقرة ؟ فانه ينبغى أن ترفض كل هذه وتعلم ابنتك الحياء (٢) منذ البدء ، وتدعو الكهنة وتعقد اتحاد الأزواج بالصلوات والبركات لكي ينمو شوق العريس وتزداد عفة العروس ، يدخل عمل الفضيلة فى بيتها بكل وجه » (على التكوين مقالة ٤٨ - ٦٠)

(١) الصبوة أى الشهوة (٢) الحياء والحياء بمعنى واحد

الفصل الرابع

العمل المنظور في اتمام السر وفعله غير المنظور

ان العمل المنظور في اتمام سر الزيجة يقوم بأمرين جوهرين : أولها اقرار كلا العروسين علنا قدام الكنيسة بأبهما قابلان الزواج بحريتهما التامة ورضاهما التبادل ، وتعاهدتهما بحفظ الأمانة الزوجية الى آخر نسمة من حياتهما . وثانيهما البركة التي تتم في العقد (١) وصلاة الأكليل اللذين يتمهما الكاهن .

أما فعل النعمة غير المنظور فيقوم بأن النعمة الالهية حسب تعليم الرسول تحول الزيجة الطبيعية الى سر مقدس عظيم يصور اتحاد المسيح بالكنيسة اتحادا سريا . كما قال « هذا السر عظيم ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة » (اف ٥ : ٣٢)

ولزيادة الايضاح نذكر : -

(١) أن النعمة الالهية نقدر رباط الزيجة وتجعله رباطا روحيا لأن اتحاد المسيح بالكنيسة هو اتحاد روى مقدس ولذلك يقول الرسول ليكن الزواج مكرما عند كل واحد والمضجع غير نجس . . . (عب ١٣ : ٤) . لأن هذه هي ارادة الله قداستكم . أن تمتنعوا عن الزنا . أن يعرف كل واحد منكم أن يقتنى اناءه بقداسة وكرامة . لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله ، (١ تس ٤ : ٣ - ٥) وقال يوحنا ذهبى الفم في هذا المعنى « لأن كل واحد أخذ ما له . فهذا الزواج اذن هو زواج بحسب المسيح . هو زواج روى وولادة روحية . لا من دم ولا من امخاض كما أن ولادة اسحق هكذا كانت . واسمع ماذا يقول الكتاب للمقدس : وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء . فلم يكن الزواج عن هوى ولا كان زواجا جسديا بل كان كله روحيا . زواج نفس اتحدت بالله اتحادا يفوق الوصف كما يعلم هو وحده . ولهذا يقول ان من يلتصق بالرب يكون روحا واحدا . وأنظر كيف يجتهد في أن يقرن الجسد بالجسد ويجمع بين الروح والروح ، (على أفسس مقالة ٢٠ : ٥) .

(٢) ان النعمة الالهية تساعد على أن يدوم رباط الزيجة غير منفصل كما أن اتحاد المسيح بالكنيسة هو اتحاد أبدي كما قال الرب نفسه « فالذي جمعه

(١) بركة العقد المشهور بالعقد والاملاك .

الفصل الخامس

الشروط المطلوبة لعقد رباط الزيجة

ان الذين يتقدمون للاقتران بعقد الزواج ينبغي حسب القوانين الكنسية الأرثوذكسية : -

أولاً - أن يكون العروسان مسيحيين لأنه بدون الايمان بالمسيح لا يمكن نيل النعمة الالهية المعطاة بهذا الأسر أو غيره . وعلى ذلك تكون الزيجة مع غير المؤمنين ممنوعة بالكلية حسب قول الرسول « لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين » لأنه أية خلطة للبر والاثم . وأية شركة للنور مع الظلمة . وأى اتفاق للمسيح مع بليعال . وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن . وأية موافقة لهيكل الله مع الاوثان ، (٢ كو ٦ : ١٤ - ١٦) .

ثانياً - أن يكونا أرثوذكسيين لأنه لا وجه النوال غير الأرثوذكسيين . اكليلاً أرثوذكسياً من يد كاهن أرثوذكسى قبل أن يعترف بالايمان الأرثوذكسى . ومتى كان أحد العروسين غير أرثوذكسى فإنه يشترط أن ينضم الى الكنيسة الأرثوذكسية أولاً .

ثالثاً - أن يكونا بعيدين عن القرابة الجسدية والروحية المعينة درجاتها من قوانين الكنيسة الأرثوذكسية .

رابعاً - أن يكونا راضيين وقابلين الزواج بتمام الحرية والأرادة المطلقة ، لأن طبيعة رباط الزواج حسب قول الرب هي أن يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بأمراه ويكون الاثنان جسداً واحداً ، فاتحاد كهذا بين شخصين لا يمكن اتمامه من دون الأرادة الحرة والمحبة المتبادلة .

الفصل السادس

أوصاف الزيجة المسيحية

للزيجة المسيحية صفتان :

الأولى - وحدة الزيجة وهي أن يكون للرجل امرأة واحدة ، وللمرأة رجل واحد ، أى منع تعدد الأزواج أو الزوجات . بمعنى أنه لا يجوز زواج رجل مرتبط بامرأة ولا زواج امرأة مرتبطة برجل .

والثانية - عدم انفكاك هذه الزيجة .

أما الصفة الأولى وهي وحدة الزيجة فتقوم بأن يقترن الرجل الواحد بامرأة واحدة لا أكثر . وهذه الوحدة تنافى (أولا) تعدد الأزواج (ثانيا) تعدد الزوجات فالأول وهو اقتران المرأة الواحدة برجال كثيرين في وقت واحد (كما كان عند بعض الأمم) يناهى الشريعة الطبيعية لما في هذا التعدد من المخالفة للغاية المقصودة من الزواج وهي ولادة الأولاد وتربيتهم التربية الصحيحة ، حيث أن قوة النسل تضعف إذ يقل خصب المرأة كثيرا عند اقترانها برجال عديدين ، هذا فضلا عن أن الأولاد في هذه الحالة يبقون مجهولين ، وعليه يضحى الالتزام باتقان التربية غير محقق .

أما الثانى وهو تعدد الزوجات أى اقتران الرجل الواحد بنساء عديدات فيدل على عدم جوازه ما يأتى : -

(١) ان الله تعالى لما خلق آدم لم يخلق له سوى امرأة واحدة وقال « لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا » (تلك ٢ : ٢٤) فلو أراد الله أن يكون للإنسان أكثر من امرأة لخلق له نساء عديدات ، خصوصا وأن الحالة وقتئذ كانت داعية لزيادة النوع البشرى . وقصد الله ظاهر في خلق امرأة واحدة لرجل واحد ، وهذا دليل على أنه من أن لا يكون للرجل أكثر من زوجة واحدة .

(٢) ان المخلص له المجد في جوابه على الفريسيين أعلن وحدة الزيجة ومنع تعدد الزوجات ، إذ أوضح أن الناموس الذى وضعه الله تعالى عند البدء هو أن تكون امرأة واحدة لرجل واحد إذ قال إنه خلقهما ذكرا وأنثى

وأنهما ليسا بعد اثنين بل جسد واحد وأن موسى أذن لهم بالطلاق لقساوة قلوبهم ولكن منذ البدء لم يكن هكذا (مت ١٩ : ٤ - ٨) .

(٣) ان الرسول بولس صرح بذلك بقوله « ليكن لكل واحد امراته وليكن لكل واحدة رجلا . . . ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل . . . وكذلك الرجل أيضا ليس له تسلط على جسده بل للمرأة . . . لا تفارق المرأة رجلا . . . ولا يترك الرجل امراته . . . والمرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلا حيا » (١ كو ٧ : ٢ - ٥ و ١٠ و ١١ و ٣٩)

(٤) ان الله تعالى أعلن في العهد القديم كراهته للطلاق وتعدد الزوجات ، بقول ملاخي النبي (٢ : ١٤ - ١٦) « ان الرب هو الشاهد بينك وبين امرأة شبابك التي أنت غدرت بها وهي قرينتك وامرأة عهدك . فاحذروا اروحكم ولا يغدر احد بامرأة شبابه لأنه يكره الطلاق قال الرب اله اسرائيل »

(٥) ان تعدد الزوجات مجلبة لأضرار كثيرة عائلية واجتماعية ، ومدعاة للشقاق والانقسام . اذ يضر بغاية الزواج وهي السلام والاتفاق والمحبة في العائلة لان الرجل الواحد لا يستطيع أن يرضى كلا من نسائه وأن يتم رغبة كل منهن . وكل امرأة منهن تجتهد أن تميله الى غرضها ومحبتها أكثر من سواها ، واذا لم يحب نساء كلهن محبة متساوية تتولد الحصبومات والمشاجرات وينتفى السلام والوفاق من العائلة . واذا أحب الرجل احدي نساته أكثر من غيرها فإنه يميل بالطبع الى اولادها ميلا خاصا ، مفضلا اياهم ، مهملًا تربية غيرهم من اولاده . ولا يخفى ما في ذلك من الاضرار على الهيئة الاجتماعية . أضف الى ذلك أن الرجل الواحد لا يقدر على تأدية الواجب الزوجي الى كل من نساته فتصبح تلك النساء معرضات لخطر فقدان المعفة . فاذن تعدد الزوجات مخالف لسنن الزواج ومضر بالعائلة وبالهيئة الاجتماعية .

والكنيسة مع تحريمها تعدد الزوجات لا تمنع إعادة الزيجة عن الذين يريدون أن يتحدوا بزيجة ثانية رجلا كانوا أو نساء بعد وفاة أحد الزوجين . لأن الموت يحل الرباط بين الزوجين ولا يوجد اذن مانع لعمل رباط جديد بين متعاقدين ، على أن بولس الرسول يفضل عدم زيجة الأراامل لمن استطاع حيث يقول « ولكن أقول لغير المتزوجين وللأراامل أنه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا ولكن ان لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا . لأن التزوج أصلح من التحرق » وقوله « المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلا حيا ولكن ان مات

وأنهما ليسا بعد اثنين بل جسد واحد وأن موسى أذن لهم بالطلاق لقساوة قلوبهم ولكن منذ البدء لم يكن هكذا (مت ١٩ : ٤ - ٨) .

(٣) ان الرسول بولس صرح بذلك بقوله « ليكن لكل واحد امراته وليكن لكل واحدة رجلا . . . ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل . . . وكذلك الرجل أيضا ليس له تسلط على جسده بل للمرأة . . . لا تفارق المرأة رجلا . . . ولا يترك الرجل امراته . . . والمرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلا حيا » (١ كو ٧ : ٢ - ٥ و ١٠ و ١١ و ٣٩)

(٤) ان الله تعالى أعلن في العهد القديم كراهته للطلاق وتعدد الزوجات ، بقول ملاخي النبي (٢ : ١٤ - ١٦) « ان الرب هو الشاهد بينك وبين امرأة شبابتك التي أنت غدرت بها وهي قرينتك وامرأة عهدك . فاحذروا اروحكم ولا يغدر احد بامرأة شبابه لأنه يكره الطلاق قال الرب اله اسرائيل »

(٥) ان تعدد الزوجات مجلبة لأضرار كثيرة عائلية واجتماعية ، ومدعاة للشقاق والانقسام . اذ يضر بغاية الزواج وهي السلام والاتفاق والمحبة في العائلة لان الرجل الواحد لا يستطيع أن يرضى كلا من نسائه وأن يتم رغبة كل منهن . وكل امرأة منهن تجتهد أن تميله الى غرضها ومحبتها أكثر من سواها ، واذا لم يحب نساء كلهن محبة متساوية تتولد الحصبومات والمشاجرات وينتفى السلام والوفاق من العائلة . واذا أحب الرجل احدي نساته أكثر من غيرها فإنه يميل بالطبع الى اولادها ميلا خاصا ، مفضلا اياهم ، مهملًا تربية غيرهم من اولاده . ولا يخفى ما في ذلك من الاضرار على الهيئة الاجتماعية . أضف الى ذلك أن الرجل الواحد لا يقدر على تأدية الواجب الزوجي الى كل من نساته فتصبح تلك النساء معرضات لخطر فقدان المعفة . فاذن تعدد الزوجات مخالف لسنن الزواج ومضر بالعائلة وبالهيئة الاجتماعية .

والكنيسة مع تحريمها تعدد الزوجات لا تمنع إعادة الزيجة عن الذين يريدون أن يتحدوا بزيجة ثانية رجلا كانوا أو نساء بعد وفاة أحد الزوجين . لأن الموت يحل الرباط بين الزوجين ولا يوجد اذن مانع لعمل رباط جديد بين متعاقدين ، على أن بولس الرسول يفضل عدم زيجة الأراامل لمن استطاع حيث يقول « ولكن أقول لغير المتزوجين وللأراامل أنه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا ولكن ان لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا . لأن التزوج أصلح من التحرق » وقوله « المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلا حيا ولكن ان مات

رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد في الرب فقط . ولكنها أكثر غبطة
ان لبنت هكذا ، (١ كو ٧ : ٨ و ٩ و ٣٩ و ٤٠) .

قال القديس اغسطينوس مفسرا آية الرسول في وصيته للأرامل ، من
عادة اناس ان يتباحثوا في مسألة الزواج الثالث أو الرابع وهلم جرا .
وعليه فأجيب باختصار ، لا اتجاسر أن اشجب شيئا في مثل هذا الزواج
ولا أقدر أن احدد ما لم يحدده الرسول نفسه ، فانه يقول ان المرأة مقيدة
بالناموس ما دام زوجها حيا ، ولم يقل الزوج الأول أو الثاني أو الثالث أو
الرابع بل قال ان للمرأة مقيدة ما دام رجلها حيا فاذا مات زوجها تعتق فلتتزوج
بمن تشاء ، لكن في الرب فقط ، غير أنه أفضل لها ان استمرت على ما هي
عليه . فهل يمكن أن يزداد شيء على هذا الحكم أو يستثنى منه شيء مما يتعلق
بهذا الأمر ؟ لا أعلم .

الفصل السابع

عدم انفكاك الزيجة

أما الصفة الثانية للزيجة المسيحية وهي عدم انفكاكها فهي نتيجة طبيعية للناموس الالهي الموضوع « منذ البدء » الذي شرحه الرب يسوع في تعليمه فقد قال في خطبته على الجبل « وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق واما أنا فأقول لكم أن من طلق امرأته الا لعلة الزنى يجعلها تزنى ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى » (مت ٥ : ٣١ و ٣٢) • ونأتي هنا بأقوال الانجيليين في هذا الموضوع :

قال القديس هتي « وجاء اليه الفريسيون ليجربوه قائلين له هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب • فأجاب وقال لهم أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى • وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا • إذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد • فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان • قالوا له فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق • قال لهم ان موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هذا • وأقول لكم ان من طلق امرأته الا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى • والذي يتزوج بمطلقة يزنى • قال له تلاميذه أن كان هذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج • فقال لهم ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم » (مت ١٩ : ٣ - ١١) •

وقال القديس مرقس « فتقدم الفريسيون وسألوه • هل يحل للرجل أن يطلق امرأته ليجربوه • فأجاب وقال لهم بماذا أوصاكم موسى • فقال موسى اذن أن يكتب كتاب طلاق فتطلق • فأجاب يسوع وقال لهم من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية ولكن من بدء الخليقة ذكرا وأنثى خلقهما الله من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا • إذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد • فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان • ثم في البيت سأله تلاميذه أيضا عن ذلك فقال لهم من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزنى عليها وان طلقت امرأة زوجها وتزوجت بأخرى تزنى » (مر ١٠ : ٢ - ١٢) •

وقال القديس لوقا « كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزنى وكل من يتزوج بمطلقة من رجل يزنى » (لو ١٦ : ١٨) •

وقال بولس الرسول « أم تجهلون أيها الأخوة • لأنى أكلم المعارفين بالناموس أن الناموس يسود على الانسان ما دام حيا • فان المرأة التى تحت رجل هى مرتبطة بالناموس بالرجل الحى • ولكن ان مات الرجل فقد تحررت من ناموس الرجل • فاذا ما دام الرجل حيا تدعى زانية ان صارت لرجل آخر ولكن ان مات الرجل فهى حرة من الناموس حتى انها ليست زانية ان صارت لرجل آخر » (روم ٧ : ١ - ٣)

وقال جوابا عن أسئلة وجهت اليه من أهل كورنثوس « وأما المتزوجون فأوصيهم ، لا أنا بل الرب ، أن لا تفارق المرأة رجلها • وأن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها • ولا يترك الرجل امرأته » (١ كو ٧ : ١٠ و ١١)

فمن هذه النصوص المقدسة يتضح أن الزيجة سر مقدس لا ينفك عقد رباطها الا لسببين : أولهما المسوت الذى يجعل الزوج الحى حرا من رباط الزواج ، وثانيهما الزنا الذى ينجس رباط الزيجة • كما يتضح من أن الله تعالى منذ البدء قضى بأن يكون هذا الرباط مقدسا « لأن الذى جمعه الله لا يفرقه انسان » وعليه فلا يجوز للإنسان أن ينقض ما وضعه الله • ولما اعترض الفريسيون على الرب يسوع بكتاب الطلاق الذى أوصى به موسى قال لهم « ان موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم • ولكن من البدء لم يكن هكذا » وكفى ما قاله آدم معلنا قوة هذه الزيجة « هذه الآن عظام من عظامى ولحم من لحمى »

وقد سمح بالطلاق فى العهد القديم بشروط ، فقد جاء فى سفر التثنية « اذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فان لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شئ • وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته • ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر • فان أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته أو اذا مات الرجل الأخير انذى اتخذها له زوجة لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست • لأن ذلك رجس لدى الرب فلا تجلب خطية على الأرض التى يعطيك الرب الهك نصيبا » (تث ٢٤ : ١ - ٤) ويحذر سفر اللاويين على الكاهن أن يتزوج من امرأة مطلقة من زوجها لأنه مقلس لاله • أما الاقتران بامرأة مطلقة فكان مباحا لغير الكاهن •

وكان الطلاق مكروها من الله كما يستدل من قول الرب على لسان ملاخى النبى « ان الرب هو الشاهد بينك وبين امرأة شبابك التى أنت غدرت بها وهى قرينتك وامرأة عهدك فاحنروا لروحكم ولا يغدر أحد بامرأة شبابها لأنه يكره الطلاق قال الرب اله اسرائيل » ملا ٢ : ١٤ و ١٥

وقال القديس أغسطينوس « أنها لشريعة تعلمها الكنيسة أنه لا يجوز أن يترك الرجل امرأته العاقر ليأخذ امرأة أخرى كثيرة النسل فمن يفعل ذلك يجرم بالزنا في حق الشريعة الانجيلية » (مقالة في الزواج ك ١ فصل ١٠ عدد ١١) .

وقال القديس غريغوريوس الثاولوغوس « ان شريعتنا تحرم الطلاق وان كانت الشرائع المدنية تحكم بخلاف ذلك » (في رسالته الى اولمبيوس)

سئل القديس تيهوثاوس البطريرك الثاني والعشرون من بطاركة الاسكندرية ان كانت المرأة مبتلية بروح شرير بهذا المقدار حتى انها تربط بسلاسل وأغلال ويقول زوجها اننى ما أقدر ان أضبط ذاتى ويريد أن يتزوج غيرها . هل يجوز له أن يأخذ غيرها أم لا ؟ فاجاب : ان هذا الأمر قد يتداخله فسق كما يبين لى فما عندي ولا أجد ما اجاب به عن ذلك .

ومن الرواية الآتية يتبين شدة تمسك المسيحيين بعقد الزواج وتحريمهم الطلاق . فقد ذكر جمال الدين القفطى في تاريخ الحكماء (صحيفة ١٥٩ وابن أبى أصيبعة في طبقات الأطباء (جزء اول صحيفة ١٢٤ ، ١٢٥) وابن العبرى في تاريخه مختصر الدول (صحيفة ٢١٤) أن أباجعفر المنصور قال لجورجيس ابن بختيشوع الطبيب الشهير (سنة ٧٧٠) من يخدمك ههنا قال تلامذتى . فقال المنصور سمعت انه ليس لك امرأة . فقال : لى زوجة كبيرة ضعيفة لا تقدر على النهوض من موضعها . ثم انصرف من الحضرة ومضى الى البيعة . فأمر المنصور بخادمه سمالا أن يختار من الجوارى الروميات الحسنان ثلاثا ويحملهن الى جورجيس مع ثلاثة آلاف دينار . ففعل ذلك . فلما أنصرف جورجيس الى منزله عرفه عيسى بن تهلما تلميذه بما جرى وأراه الجوارى . فانكر أمرهن وقال لعيسى . يا تلميذ الشيطان لم أدخلت هؤلاء الى منزلى ؟ أردت أن تنجسنى . أمض ورددن الى أصحابهن ، ثم ركب جورجيس ومعه عيسى مع الجوارى ومضى الى دار الخليفة ورددن على الخادم . فلما اتصل الخبر بالمنصور احضره وقال لم رددت الجوارى ؟ قال لا يجوز أن يكون مثل هؤلاء فى منزلى لاننا معشر النصارى لا نتزوج أكثر من امرأة واحدة . وما دامت المرأة حية لا نأخذ غيرها . فحسن موقع هذا مع المنصور . وأمر فى الوقت أن يعالج جورجيس حظاياها وحرمة وزاد موضعه عنده . وهذا ثمرة العفة ،

وللطلاق مضار كثيرة نذكر منها :

أولا - انه يضاد الناموس الزوجى وينافى الغاية التى من أجلها انعقد فيصبح أحد الزوجين به أسوأ حالا من الآخر . فالرجل لا يفقد من شرفه الا قليلا . أما المرأة فتفقد شرفها وتضحى محترمة وبالتكاد تستطيع أن تعقد زواجا آخر جديدا .

وقال القديس أغسطينوس « أنها لشريعة تعلمها الكنيسة أنه لا يجوز أن يترك الرجل امرأته العاقر ليأخذ امرأة أخرى كثيرة النسل فمن يفعل ذلك يجرم بالزنا في حق الشريعة الانجيلية » (مقالة في الزواج ك ١ فصل ١٠ عدد ١١) .

وقال القديس غريغوريوس الثاولوغوس « ان شريعتنا تحرم الطلاق وان كانت الشرائع المدنية تحكم بخلاف ذلك » (في رسالته الى اولمبيوس)

سئل القديس تيهوثاوس البطريرك الثاني والعشرون من بطاركة الاسكندرية ان كانت المرأة مبتلية بروح شرير بهذا المقدار حتى انها تربط بسلاسل وأغلال ويقول زوجها انى ، ما أقدر ان أضبط ذاتى ويريد أن يتزوج غيرها . هل يجوز له أن يأخذ غيرها أم لا ؟ فاجاب : ان هذا الأمر قد يتداخله فسق كما يبين لى فما عندي ولا أجد ما اجاب به عن ذلك .

ومن الرواية الآتية يتبين شدة تمسك المسيحيين بعقد الزواج وتحريمهم الطلاق . فقد ذكر جمال الدين القفطى في تاريخ الحكماء (صحيفة ١٥٩ وابن أبى أصيبعة في طبقات الأطباء (جزء اول صحيفة ١٢٤ ، ١٢٥) وابن العبرى في تاريخه مختصر الدول (صحيفة ٢١٤) أن أباجعفر المنصور قال لجورجيس ابن بختيشوع الطبيب الشهير (سنة ٧٧٠) من يخدمك ههنا قال تلامذتى . فقال المنصور سمعت انه ليس لك امرأة . فقال : لى زوجة كبيرة ضعيفة لا تقدر على النهوض من موضعها . ثم انصرف من الحضرة ومضى الى البيعة . فأمر المنصور بخادمه سمالا أن يختار من الجوارى الروميات الحسان ثلاثا ويحملهن الى جورجيس مع ثلاثة آلاف دينار . ففعل ذلك . فلما أنصرف جورجيس الى منزله عرفه عيسى بن تهلما تلميذه بما جرى وأراه الجوارى . فانكر أمرهن وقال لعيسى . يا تلميذ الشيطان لم أدخلت هؤلاء الى منزلى ؟ أردت أن تنجسنى . أمض ورددن الى أصحابهن ، ثم ركب جورجيس ومعه عيسى مع الجوارى ومضى الى دار الخليفة ورددن على الخادم . فلما اتصل الخبر بالمنصور احضره وقال لم رددت الجوارى ؟ قال لا يجوز أن يكون مثل هؤلاء فى منزلى لاننا معشر النصارى لا نتزوج أكثر من امرأة واحدة . وما دامت المرأة حية لا نأخذ غيرها . فحسن موقع هذا مع المنصور . وأمر فى الوقت أن يعالج جورجيس حظاياه وحرمة وزاد موضعه عنده . وهذا ثمرة العفة ،

وللطلاق مضار كثيرة نذكر منها :

أولا - انه يضاد الناموس الزوجى وينافى الغاية التى من أجلها انعقد فيصبح أحد الزوجين به أسوأ حالا من الآخر . فالرجل لا يفقد من شرفه الا قليلا . أما المرأة فتفقد شرفها وتضحى محترمة وبالكاد تستطيع أن تعقد زواجا آخر جديدا .

ثانياً - انه يضر بسعادة الزوجين لأنه يزيل المحبة المتبادلة بينهما ويهدم ما كان قد بناه الزوجان من الاخلاص مدة سنين طويلة ، وسعادة المحبة وأساسها الدوام والثبات . والحب الذي بين الرجل وامرأته عظيم جدا حتى شبهه باتحاد المسيح بالكنيسة . اذ يترك الرجل أباه وامه ويلتصق بامرأته . فالطلاق ينزع هذا الرباط ، ويلاشي هذا الأساس المتين ، وينسى الخلاف ، ويكثر الشقاق ، ويفتح أبواب الشر بين العائلات .

ثالثاً - انه يضر بتربية النسل التربوية الصحيحة ، فان الأولاد في حاجة الى مساعدة كل من الوالدين ، ليس في زمن الطفولة فقط بل مدة الحياة كلها . فان الأولاد بعد أن يتغذوا ويقتاتوا من ألبان أمهاتهم يحتاجون الى عناية الآباء . وهم دائما في شدة الحاجة الى محبة الأم وعطفها الحلو ، وعنايتها الساهرة ، والى سلطة الأب وحكمته السامية . وهذا يقتضى اتحاد الزوجين . أما الطلاق فيفصل هذا الاتحاد ويضر ضررا بليغا بمصلحة الأولاد . فالى أية جهة يتجه الأولاد ؟ ان لحقوا الأب خسروا محبة أمهم ، وإذا تبعوا الأم خسروا سلطان الأب وعنايته ، وفي كلتا الحالتين خسارة الأخلاق وفقد الصيت الحسن .

رابعا - انه يضر بخير الجماعة لأنه ينزع السلام من العائلات ويلقى الشقاق بين أفراد الهيئة الاجتماعية . فكما أن بالزواج تتحد العائلات ، وتنضم بعضها الى بعض ، وتشهد روابط الحب ووثائق الألفة . فهكذا بعكس ذلك الطلاق فانه ينشئ الانشقاقات وبه ينتشر البغض وتشتد العداوات . وهذا كله مما ينزع السلام من المجتمع ويعم الخراب . أضف الى ذلك أنه يفسد الآداب السليمة اذ فيه نكث العهود وعدم الوفاء وتصبح غاية الانسان اتباع شهواته الجسدية .

أما اعتراضات الذين يصورون تعاسة الزوجين من خصام وشقاق . ويقولون ان الأفضل لمثل هذين الزوجين الانفصال بعضهما عن بعض . وأن يعقد كل منهما عقدا جديدا ، أفضل من تلك الحياة المملوءة شقاء وتعاسة . فيرد عليهم بأن العقل يقضى بتفضيل خير الجماعة على خير الأفراد ، وخير الجماعة البشرية يقتضى أن لا يفتح السبيل الى مثل تلك النتائج السيئة التي تنجم عن الطلاق . فاذا لحق ضرر ببعض الأفراد من جراء صرامة ناموس الزواج ، فليس ذلك مسوغا لفسخ شريعة من شأنها ايجاد السلام وخير الجماعة وسعادة المتزوجين . أضف الى ذلك أن الناموس وضع للجماعات وليس للأفراد ، وان هذا الناموس ليس ناموسا بشريا يمكن تغييره وانما هو ناموس الهى ينبغى الخضوع له . هذه شريعة قد وضعها الله نفسه ويسوع المسيح شرحها فمن أحق بأن يصدق ويتبع . المسيح أم هوى القلب البشرى ؟

ففى شريعة الكمال هذه وفى هذه القداسة يجب أن يهتد سر الزواج حفظا للآداب وضمانا لسعادة الأسرة وتأيدا للعمران

الفصل الثامن

حالة البتولية اشرف من حالة الزواج

ان بولس الرسول الذى شرح سر الزيجة شرحا وافيا وقال عنه « هذا سر عظيم » وقال « ليكن الزواج مكرما عند كل واحد والمضجع غير نجس » (عب ١٣ : ٤) قد فضل حالة البتولية على حالة الزواج حيث قال « لأنى أريد أن يكون جميع الناس كما أنا . لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله الواحد هكذا والآخر هكذا . ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل انه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا ولكن ان لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا . لأن الزواج أصلح من التحرق وأما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن ولكنى أعطى رأيا كمن رحمه الرب أن يكون أميناً . فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر . انه حسن للانسان أن يكون هكذا . أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال . أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة . لكنك وأن تزوجت لم تخطئ . وأن تزوجت العذراء لم تخطئ . ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق في الجسد . وأما أنا فانى اشفق عليكم . فأقول هذا أيها الأخوة الوقت منذ الآن مقصر لكى يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم . والذين يبكون كأنهم لا يبكون والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون والذين يشمتون كأنهم لا يملكون . والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه . لأن هيئة هذا العالم تزول . فأريد أن تكونوا بلا هم . غير المتزوج يهتم فى ما للرب كيف يرضى الرب . وأما المتزوج فيهتم فى ما للعالم كيف يرضى امرأته . ان بين الزوجة والعذراء فرقا . غير المتزوجة تهتم فى ما للرب لتكون مقدمة جسدا وروحا . وأما المتزوجة فتهتم فى ما للعالم كيف ترضى رجلها إذا من زوج فحسنا يفعل ومن لا يزوج يفعل أحسن . المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيا . ولكن ان مات رجلها فهي حرة لكى تتزوج بمن تريد فى الرب فقط . ولكنها أكثر غبطة ان لبثت هكذا بحسب رأى » (١ كو ٧ : ٧ - ٤٠)

فمن أقوال بولس الرسول هذه يتضح أن حالة العزوبة اشرف من حالة الزواج . وهذه المقابلة ليست مطلقة بل بالنسبة الى الحالة فى ذاتها لا الى الأشخاص . فقد يوجد أشخاص متزوجون أفضل من كثيرين ممن يعيشون فى حالة العزوبة . ولا نقصد المقابلة بين حالة العزوبة والزواج من حيث هو سر . بل نقصد المقابلة بين حالة البتولية وحالة الزواج باعتبار كونها حالة لا باعتبار كونها سرا . وليس المراد بحالة العزوبة الخلو من رباط الزواج ، فقد يتفق أن تكون تلك الحالة مقرونة بسيرة رديئة ، بل المقصود هنا بحالة

البتولية ، تلك الحالة التي يقضى فيها المرء حياة نقية طاهرة منزهة عن شهوات
الجسد ، وعلى ذلك نقول ان هذه الحالة أفضل وأشرف من حالة الزواج بالأدلة
الآتية : -

أولا - من تعليم الكتاب فقد قال الله تعالى « ولا يقل الحصى ها أنا شجرة .
يابسة » لأنه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتى ويختارون
ما يسرنى ويتمسكون بعهنى . انى أعطيتهم فى بيتى وفى اسوارى نصبا واسما
أفضل من البنين والبنات . أعطيتهم اسما ابديا لا ينقطع ، (اش ٥٦ : ٣ - ٥)
وقال الرب يسوع لتلاميذه عندما قالوا ان كان هكذا أمر الرجل مع المرأة
فلا يوافق أن يتزوج « ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم لأنه
يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون امهاتهم . ويوجد خصيان خصاهم
الناس . ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات . من استطاع
أن يقبل فليقبل ، (مت ١٩ : ١٠ - ١٢) ولما قال له بطرس « ها نحن قد
تركنا كل شىء وتبعناك . فأجاب يسوع وقال الحق أقول لكم ليس أحد ترك
بيتا أو اخوة أو أخوات أو أباً أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا لأجل
الانجيل . الا ويأخذ مئة ضعف الآن فى هذا الزمان بيوتا وأخوة وأخوات
وأمهات وأولادا وحقولا مع اضطهادات وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية »
(مر ١٠ : ٢٨ - ٣٠) فمن أقوال مخلصنا له المجد يتضح أن الذين يكرسون
ذواتهم بالبتولية ويعيشون بطهارة وقداسة لأجل اسمه ولأجل الانجيل ، لهم
مرتبة رفيعة ، وحالتهم أفضل من حالة الذين يرتبكون بأهوار العالم ،
خصوصا وأنه له المجد يبين حالة النفوس فى السماء لأنهم لا يزوجون
ولا يتزوجون بل يكونون كملأكة الله فى السماء ، (مت ٢٢ : ٣٠) .

قال القديس أيرونيوموس « هكذا ينبغى أن نفهم كلام المسيح . . .
يسرنى أولئك الذين صاروا خصيانا بإرادتهم غير مجبرين . انى بملء الرضى .
أقبل فى أحضانى أولئك الذين قد امتنعوا عن الزواج لأجل ملكوت الله .
أولئك الذين لم يريدوا أن يكونوا كما ولدوا (١) مخصصين ذواتهم لعبادة
الله ، ايمانهم عظيم وفضيلتهم سامية لأنهم صاروا هيكل الله النقى ، لانهم
قدموا ذواتهم بكليتها ضحية للرب لأنهم حسب قول الرسول تقدسوا بالجسد
والروح » (ضد يوفينيانوس ك ١ ف ٧) .

ثانيا - ان الحالة التي فيها يفضل الخير الروحى على الزمنى ، وخير
النفس على خير الجسد ، هى أشرف وأسمى حالة ، وغاية البتولية هى الخير

(١) يعنى أن الذين خصوا أنفسهم لأجل خدمة ملكوت الله لشدة حبهم
الالهى لم يريدوا أن يبقوا جسديين كما ولدوا ، بل عاملين ببذل وتضحية .

الروحي لأنها ترذل شهوات الجسد حتى المسموح بها ، وذلك لأجل محبة الله ،
وغابتها أيضا خير النفس لأنها تعدها للحياة الروحية والتأمل والصلاة وخدمة
الله . أما غاية الزواج فهي خير الجسد وتكثير النسل البشري . فحالة البتولية
إذا أفضل من حالة الزواج .

وليست البتولية حالة مستحيلة كما يظن البعض ، فقد استطاعها كثيرون
عاشوا في غاية الطهارة ، وتسلىحوا بالفضيلة ، وسلكوا كأنوار في العالم . نعم
إنها حالة صعبة ومستحيلة على الذين ليست لهم دعوة البتولية والذين
لا يستعملون الوسائط اللازمة لحفظها ، ولكنها سهلة على الذين يهربون من
أسباب الخطية ويسلكون بحسب النعمة ويقمعون شهوات الجسد ويصلبون
أهواءهم بالأمانة والتعب والصلاة والصوم والأشغال . ثم يواظبون على العبادة
وتلاوة الكتب المقدسة .

ثالثا - لا صحة لما يزعمه البعض من أن البتولية لا تساعد على الخير العام
كالزواج ، لأن البتولية تساعد كثيرا على عمل الخير والمثل الصالح وقهر
الشهوات وممارسة أفعال الرحمة والعناية بالفقراء والأيتام والمرضى وكثيرا
ما جلبت خيرا على الجنس البشري بأعمال التضحية ، ومن نظر إلى أعمال
الرهبنات وتاريخها المجيد وما قامت به قديما وحدينا من انشاء المدارس
والملاجئ وأعمال الخير لا ينكر فضلها . فلو كان هؤلاء مقيدين بقيود الزواج
وإنقائه وهموم العائلة والأولاد لكانت هذه المشاغل عائقا كبيرا لهم عن أداء
ملك الأعمال .

أضف إلى ذلك أن النفس التي تكون في حالة البتولية مجردة من كل شهوة
جسدية تتصرف بملء التصرف في قواها وتسيرها كيف شاءت ، وكذلك الجسد
وهو في حالة البتولية يكون غير خاضع للتحويل السريع ويخدم النفس إلى أمد
بعيد وديعا هادئا مطيعا .

رابعا - رب معترض يعترض بأن البتولية مخالفة لقول الله تعالى « أكثروا
وأثروا واملأوا الأرض » وقوله « ليس حسنا أن يكون آدم وحده » - فنقول
إن هذه الأقوال لا تضاد البتولية ولا تنكرها عندما تكون البتولية غير مضرّة
بنمو الجنس البشري فلقد أراد البارئ تعالى نمو الجنس البشري وتكاثره
بواسطة الزواج ، لكن هل تدعو الضرورة لبلوغ هذه الغاية إلى اشتراك كل
فرد من أفراد الجنس البشري بهذا النمو من غير استثناء ؟ لعمرى أن ذلك
بعيد عن الصواب . والواقع خلاف ذلك لأن العالم مكتنف من النمو وقد كثر
عدد العاجزين عن الزواج طبعاً . وعندما قال الله هذه الأقوال وجهها إلى
الإنسانين الأولين آدم وحواء ، إذ لم يكن في العالم سواهما . وعليهما يتوقف

٧ - سر الكهنوت

الفصل الأدس

ارتباط هذا السر بباقي الأسرار وتعريفه

قد بينا فيما سبق أن الأسرار تنشىء النعمة فى النفوس ، وتفيض بركات المسيح/ على المؤمنين . ولما كان المسيح مخلصنا هو الذى باستحقاقه وموته عنا نلنا جميع النعم ، لزم أن الأسرار تستمد قوتها من استحقاقه هذا ، لأنه هو الذى كفر عن خطايانا (١ يو ٢ : ٢) وهو الذى استحققنا به النعم اللازمة للتبرير والخلص « لأنه ان كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيرا الذين ينالون فيض النعمة وعطية انبرسيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح . فاذا كما بخطية واحدة صار الحكم على جميع الناس للدينونة هكذا يبرر واحد صارت الهبة الى جميع الناس لتبرير الحياة » (رو ٥ : ١٧ و ١٨) والمسيح له المجد لم يكن سفيرا ووكيلا كما كان موسى فى العهد القديم ، بل كان باستحقاقاته غير المتناهية منشئا للعهد الجديد وضامنا له ، كما يقول بولس الرسول « لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع . حال كونه أميننا للذى أقامه كما كان موسى أيضا فى كل بيته . فان هذا قد حسب أهلا لمجد أكثر من موسى بمقدار ما لبانى البيت من كرامة أكثر من البيت لان كل بيت يبنيه انسان ما ولكن بانى الكل هو الله . وموسى كان أميننا فى كل بيته كخادم شهادة للعتيد أن يتكلم به . وأما المسيح فكأبن على بيته . وبيته نحن » (عب ٣ : ١ - ٦) وفى هذا العهد أقيم المسيح كاهنا الى الابد على رتبة ملكى صادق (راجع عب ص ٨ و ٧) وهو رأس الكنيسة (اف ٤ : ١٥) وكونه بلا نعمة ولا موهبة روحية تستمد الا من استحقاقاته ولا تفاض علينا بركة الا به . وان كل سلطة روحية وكل وسيلة من وسائل النعمة ووسائل الخلاص المودعة فى كنيسته لا تقتبس ولا تصدر الا عن جوده وكرمه . وهذه النعم والبركات التى أودعها مخلصنا فى كنيسته قد أمر خدامه بمباشرتها وأعطاهم سلطانا على توزيعها على المؤمنين . فقد قال له المجد « دفع الى كل سلطان فى السماء وعلى الارض . فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ١٨ - ٢٠) وقال لهم

أيضا « كما أرسلني الأب أرسلكم أنا . ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياهم تغفر له . ومن أمسكتكم خطاياهم أمسكت » (يو ٢٠ : ٢١ - ٢٣) .

ينتج من ذلك أن الرب يسوع أنشأ الأسرار ومنحها ، وشاءت إرادته أن يوزعها في كنيسته بواسطة خدام أقامهم ووعدهم بأن يكون معهم كل الأيام . وقد قال بوالس الرسول « وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلا . والبعض انبياء . والبعض مبشرين . والبعض رعاة ومعلمين . لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح » (اف ٤ : ١١ و ١٢) .

وهؤلاء الذين يقامون لخدمة الكنيسة وتوزيع نعم الله وبركاته وأسراره التي أنشأها يمتازون عن باقي الشعب بهذه الرتبة بمقتضى الترتيب الإلهي وينالون هذه الموهبة بواسطة طقس احتفالي بوضع اليد عليهم ، وهذا ما يسمى بسر الكهنوت أو سر الدرجة .

ويراد بهذا السر رتبة الكليركيين المكرسين للوظائف المعينة بالكنيسة ، ومنزلة هذه الدرجة تسمو فوق كل سمو لأن ما يتولاه الكاهن من السلطان على غفران الخطايا وعلى تقديم سر جسد المسيح ودمه مما يفوق إدراك العقل البشري .

وقد عرف بعضهم هذا السر بأنه سر يقلد ولاية روحية ، ويخول نعمة مباشرة الخدم الكنسية كما ينبغي ، وعرفه آخرون بأنه عمل مقدس ، به يضع الأسقف يده على رأس الشخص المنتخب ويطلب من أجله غتسكب عليه النعمة الإلهية التي ترفعه إلى إحدى درجات الكهنوت ، وتساعده على اتمام واجباته الكهنوتية . وعلى ذلك فإن هذا السر لا يخول فقط النعمة بل يخول أيضا السلطان لمباشرة الخدم الروحية الكنسية من أسرار وغيرها ، ويدعى هذا السر شرطونية (أي وضع اليد) .

أيضا « كما أرسلني الأب أرسلكم أنا . ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياهم تغفر له . ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت » (يو ٢٠ : ٢١ - ٢٣) .

ينتج من ذلك أن الرب يسوع أنشأ الأسرار ومنحها ، وشاءت إرادته أن يوزعها في كنيسته بواسطة خدام أقامهم ووعدهم بأن يكون معهم كل الأيام . وقد قال بوالس الرسول « وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلا . والبعض انبياء . والبعض مبشرين . والبعض رعاة ومعلمين . لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح » (اف ٤ : ١١ و ١٢) .

وهؤلاء الذين يقامون لخدمة الكنيسة وتوزيع نعم الله وبركاته وأسراره التي أنشأها يمتازون عن باقي الشعب بهذه الرتبة بمقتضى الترتيب الالهى وينالون هذه الموهبة بواسطة طقس احتفالي بوضع اليد عليهم ، وهذا ما يسمى بسر الكهنوت أو سر الدرجة .

ويراد بهذا السر رتبة الاكليركيين المكرسين للوظائف المعينة بالكنيسة ، ومنزلة هذه الدرجة تسمو فوق كل سمو لأن ما يتولاه الكاهن من السلطان على غفران الخطايا وعلى تقديم سر جسد المسيح ودمه مما يفوق إدراك العقل البشرى .

وقد عرف بعضهم هذا السر بأنه سر يقلد ولاية روحية ، ويخول نعمة مباشرة الخدم الكنسية كما ينبغي ، وعرفه آخرون بأنه عمل مقدس ، به يضع الأسقف يده على رأس الشخص المنتخب ويطلب من أجله غتسكب عليه النعمة الالهية التي ترفعه الى احدى درجات الكهنوت ، وتساعده على اتمام واجباته الكهنوتية . وعلى ذلك فان هذا السر لا يخول فقط النعمة بل يخول أيضا السلطان لمباشرة الخدم الروحية الكنسية من اسرار وغيرها ، ويدعى هذا السر شرطونية (أى وضع اليد) .

الفصل الثاني

الكهنوت من حيث هو رتبة مختصة بالأفراد
وعين في الكنيسة

ان الذين انشقوا عن الكنائس الرسولية لا يعترفون بأن المسيح أقام في
كنيسته وظيفة خاصة أعنى وظيفة الكهنوت ويزعمون أن جميع المؤمنين هم
كهنة الله العلي . وهذا مخالف لتعليم الكتاب . وسنبرهن فيما يأتي على أن
المخلص له المجد أقام هو بنفسه في كنيسته صفا خصوصا لهذه الرتبة ،
وخول الذين انتخبهم القوة ومنحهم السلطان ليكونوا معلمين وخداما ، وسلم
لهم ما سلم من الخدم التي يجب أن يتموها . ولم يسمح بهذه الوظائف لأحد
غيرهم من عامة المؤمنين : -

أولا - ان الرب يسوع اختار بنفسه من بين تلاميذه اثني عشر تلميذا
معروفين باسمائهم وسماهم رسلا . وقال **لوقا الانجيلي** « وفي تلك الأيام خرج
الى الجبل ليصلي » وقضى الليل كله في الصلاة لله . ولما كان النهار دعا تلاميذه
واختار منهم اثني عشر الذين سماهم ايضا رسلا الخ » (لو ٦ : ١٢ و ١٣)
وقال **مقي الانجيلي** « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : الى
طريق آمن لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى الى
خراف بيت اسرائيل الضالة أكرزوا قائلين انه قد اقترب ملكوت
السموات ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجا من ذلك
البيت أو من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم من يقبلكم يقبلني ومن
يقبلني يقبل الذي أرسلني » (مت ١٠) وفي **انجيل يوحنا** قال لتلاميذه « ليس
أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأبوا بثمر ويدوم ثمركم »
(يو ١٥ : ١٦)

ثم انه له المجد عين سبعين آخرين أيضا وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه
الى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزعما أن يأتي وقال لهم أنا أرسلكم مثل
حملان بين ذئاب . . . الخ (لو ١٠ : ١ - ٤)

ثانيا - انه له المجد اعطى هؤلاء الرسل السلطان والحقوق في تعليم الأمم
وانمام الاسرار . فقد قال لهم وحدهم « دفع الى كل سلطان في السماء وعلى
الأرض . فاذهبوا وتلمنوا جميع الأمم وعمدوهم بأسم الآب والأبن والروح
القدس . وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل

الأيام الى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ١٨ - ٢٠) ولهم وحدهم قال عن سر جسده ودمه الأقدسين « اصنعوا هذا لذكري » (لو ٢٢ : ١٩) وأيضا « كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا » ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس • من غفرتم خطاياهم تغفر له • ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت • (يو ٢٠ : ٢١ و ٢٢)

ثالثا - لما ارسل تلاميذه الاثنى عشر والسبعين وأمرهم بالكراسة بالانجيل للخليقة كلها (مر ١٦ : ١٥) قال لهم « وما أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠)

فمن قوله لتلاميذه ها أنا معكم الى انقضاء الدهر ، يستدل على حضور المسيح الدائم في كنيسته ومساعدته لخلفائهم الذين يقومون من بعدهم في وظيفتهم • أضف الى ذلك أنه أمر بطاعتهم وكرامتهم وعدم مخالفتهم • فقد قال « وآية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا الى شوارعها وقولوا حتى القبار الذى لصق بنا من مدينتكم ننفضه لكم وأقول لكم انه يكون لسدوم في ذلك اليوم حالة أكثر احتمالا مما لتلك المدينة • الذى يسمع منكم يسمع منى والذى يرذلكم يرذلى • والذى يرذلى يرذل الذى أرسلنى » (لو ١٠ : ١٠ - ١٦)

رابعا - بعد صعود المخلص الى السماء اجتمع الرسل « وأقاموا اثنين يوسف الذى يدعى بارسابا الملقب يوهتس ومتياس • وصلوا قائلين : أيها الرب العارف قلوب الجميع عين أنت من هذين الاثنين أيا اخترته • لياخذ قرعة هذه الخدمة والرسالة التى تعدها يهوذا ليذهب الى مكانه • ثم ألقوا قرعتهم فوقعت، القرعة على متياس فحسب مع الاحد عشر رسولا » (أع ١ : ٢٣ - ٢٦) وذكر في سفر الأعمال عن الرسل « وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه • فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى ثم أطلقوهما » (أع ١٣ : ٢ و ٣)

خامسا - ان الرسل القديسين أقاموا فى الكنائس التى أسسوها أساقفة وشمامسة ، ومنحوهم «وهبة الخدمة بوضع أيديهم عليهم • كما أمرهم أن ينوبوا عنهم فى سياسة الكنيسة ، وخولوا لهم سلطان إقامة الأساقفة القسوس فى كل مدينة لرعاية شعب الله واتمام الخدمة الالهية •

ففى سفر أعمال الرسل كرسوا شمامسة ووضعوا عليهم الأيادى (أع ٦ : ٤ - ٦) وانتخب بولس وبرنابا قسوسا فى كل كنيسة ثم صليا

بأصوام واستودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به (أع ١٤ : ٢٣) وقال بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس « وما سمعته مني بشهود كثيرين أودعه أناسا امناء يكونون اكفاء أن يعلموا آخرين أيضا » (٢ تي ٢ : ٢) « لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدي المشيخة » (١ تي ٤ : ١٤) وقال لتيطس « من أجل هذا تركتك في كريت لكي تكمل الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة قسوسا كما أوصيتك » (تي ١ : ٥) وبين لهم المؤهلات الخاصة التي بموجبها ينتخبون الأساقفة والقسوس والشمامسة والأوصاف الخاصة التي تميز المدعوين الى هذه الرتب والقوانين لمكافحة الذين يحسنون الخدمة (راجع ٢ تي ٢ : ٢ ، تي ١ : ٥ - ٩ ، اتي ٣ : ١ - ١٠ ، ٥ : ٩ و ١٧ و ٢٢ ، تي ١ : ٥ - ١٦) وقال « ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هرون أيضا » (عب ٥ : ٤) « وكيف يسمعون بلا كارز . وكيف يكرزون ان لم يرسلوا » (رو ١٠ : ١٤ و ١٥) « فوضع الله أناسا في الكنيسة أولا رسلا ثانيا أنبياء ثالثا معلمين ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء أعوانا تدابير وأنواع أنسنة . أعمل الجميع رسل أعمل الجميع أنبياء . أعمل الجميع معلمون . أعمل الجميع أصحاب قوات النخ » (١ كو ١٢ : ٢٨ و ٣٠) وأمر الشعب قائلا « أذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله . انظروا الى نهاية سيرتهم فتمنوا بإيمانهم . . . أطيعوا مرشديكم وأخضعوا لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حسابا لكي يفعلوا ذلك بفرح لا أنين لأن هذا غير نافع لكم » (عب ١٣ : ٧ و ١٧) « ثم نسألكم أيها الأخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويدبرونكم في الرب ويؤذرونكم . وأن تعتبروهم كثيرا جدا في المحبة من أجل عملهم » (اتس ٥ : ١٢ و ١٣)

سادسا - ان أقوال آباء الكنيسة تدل على هذه الحقيقة ، وتشهد بأن العصور التي تلت عصر الرسل كانت ، في كل زمان ومكان ، فيها هذه الرتبة الرعوية من أساقفة وقسوس وشمامسة .

قال القديس اكليمنطس الروماني تلميذ بطرس الرسول « اذ قد أخذ الرسل معرفة كاملة بما سسيكون بعدهم أقاموا الذين سبق ذكرهم (أي الأساقفة والشمامسة) وبالوقت نفسه حددوا أمر الخلافة حتى كلما رقد واحد منهم يخلفه في الخدمة رجال آخرون مختبرون » (رسالة ١ : ٤٤) وقال القديس أغناطيوس تلميذ يوحنا الرسول « ان الأساقفة قد أقيموا في جميع أماكن الأرض بحسب مشيئة يسوع المسيح » (رسالته الى أفسس) وقال القديس ايريناوس « أنه يمكننا أن نذكر الذين أقامهم الرسل أساقفة في الكنائس وخلفاءهم أيضا باسمائهم ، الى أيامنا الذين لم يعلموا شيئا البتة ولم يروا شيئا مما يتصوره الهرطقة ، لأنه اذ عرف الرسل الأسرار المكتومة كانوا يظهرونها للكاملين وحدهم دون جميع الآخرين ، فبحق أقوى اذن قد باحوا بها وسلموها

للرجال الذين أئتمنواهم على الكنائس نفسها . اذ كانوا يرغبون أن يكون خلفاؤهم المقامون في رتبهم الخاصة كاملين في التعليم وبلا لوم من كل الأوجه . « (ضد الهرطقة ٣ : ٣) وقال « يجب الخضوع للكهنة الذين اقيموا في الكنيسة متسلسلين بحسب الخلافة من الرسل ، وأخذوا المواهب الحقيقية بمسرة الآب مع الخلافة الأسقفية . وأما الباقون الذين لم ينالوا الكهنوت بخلافة رسولية وهم يجتمعون خارج الكنيسة حيث اتفق ، فيجب أن نحسبهم أناسا مشبوهين وهرطقة وأردياء وعصاة ومتعجرفين ومتكبرين ومرائين ، وانهم لا يتعاطعون ذلك الا محبة في الريح والمجد الفارخ » (ضد الهرطقة ٤ : ٢٦) وقال القديس كبريانوس « نحن خلفاء الرسل ومدبرو كنيسة الله عينها » وقال ايضا « ان سلطان حل الخطاة اعطى للرسل وللكنائس التي هم أسسوها اذ أرسلوا من الله وللأساقفة الذين خلفوهم بحسب ترتيب النيابة » (رسالة ٢٥) وقال أيضا « ان الشعب المتحد مع الكاهن والقطيع الخاضع لرأيه يشخص (١) الكنيسة ولهذا يجب أن تعلموا أن الأسقف بالكنيسة والكنيسة بالأسقف ، ومن لم يكن مشتركا مع الأسقف فليس في الكنيسة البتة » (رسالة ٦٩ : ٨)

وقال القديس غريغوريوس الثاولوغوس « ان في الجسد قسمين قسم يسوس ويرأس ، وقسم يساس وينقاد . وهكذا في الكنائس أيضا . فان الله قد رتب أن يكون هؤلاء المحتاجون الى أولئك ملازمين واجباتهم التي عرفوها بالقول والمثال ويلبثوا رعية مرؤوسة ، وأما الآخرون فلأنهم أعلى رتبة بفضائلهم ، ومقربون من الله أكثر منهم فقد رتب أن يكونوا رعاة ومعلمين لكمال الكنيسة . وأن يحفظوا نحر أولئك التناسب الذي بين النفس والجسد ، وبين العقل والروح ، حتى يكون كلا الأمرين أعنى نقص الرعية وفضائل الرعاة شبيهين بالأعضاء في الجسد ومتحدين كواحد ومنضمين ومرتبطين برباط الروح ، فيؤلفان جسما واحدا فقط ولائقا حتى اللياقة بالمسيح رئيسنا » (خطاب ٣)

وقد كتب القديس اوسيسيوس أسقف قرطبة الى الملك قسطنط ما نصه : « لا تتدخل في الأمور الكنسية ولا تأمرنا بها ، بل أحرى بك أن تتعلمها منا ، لأن الله سلمك الملك ، وأما الكنيسة فقد استودعت لنا نحن . وكما أن من يختلس الملك منك يقاوم الله الذي رتب ذلك ، هكذا خف من أن تجرم جرما كبيرا بأن تختلس لنفسك ما يخص الكنيسة ، فإنه مكتوب : اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (ذكره القديس اثناسيوس في تاريخ الايورسيين عدد ٤٤)

وقال القديس اغسطينوس عند كلامه عن المسالك الذي ظهر لكرنيليوس قائد المئة « كل هذه الاشياء (أي التعليم والتعميد) كان ممكنا أن تتم

(١) يشخص الكنيسة أي يمثلها ويكونها

يطالعون الكتاب المقدس ومؤلفات الأقدمين باعتماد يتبين لهم أن درجات الخدام هذه كانت في كنيسة المسيح في عهد الرسل وهي الاسقفية والقسوسية والشمامسية . وكانت هذه الوظائف تعتبر موقرة دائما . فلم يكن احد يجترى على اجراء (١) احداها الا اذا دعى أولا وامتحان وفحص وعلم انه متصف بالصفات المطلوبة فكانوا يستصوبون (٢) ويقبلون بالصلاة الجمهورية مع وضع الأيدي بسطان شرعى . ولغاية أن تبقى هذه الرتب (٣) وتستعمل بالتوقير والاعتبار في كنيسة انكلترا لا يصح أن يحسب أحد أو يتخذ أسقفا شرعيا أو قسيسا أو شماسا في كنيسة انكلترا أو يؤذن له في أن يجري احدى هذه الوظائف المذكورة الا أن يدعى ويمتحان ويفحص ويقبل على الصورة الآتية ، أو يكون قد كرسه قبلا أو رسمه أسقف ما . فلا يقبل أحد شماسا الا اذا بلغ سنة ثلاثا وعشرين سنة ، الا ان كان معه اجازة . وكل من يقبل قسيسا لا بد أن يكون قد بلغ أربعين سنة كاملة . وكل من يرسم أو يكرس أسقفا لا بد أن يكون عمره ثلاثين سنة تامة ، وبلى هذا الكلام صورة الرسامة لكل من الدرجات الثلاث .

وفي سنة ١٨٩١ نشر أساقفة انكلترا باللغة الانكليزية نبذة عن الخلافة الرسولية ترجمت وطبعت باللغة العربية بانكلترا ووزعت في مصر ، وفي فاتحتها مقدمة بقلم طيب الذكر المتنيح الايغومانوس فيلوثنوس رئيس الكاتدرائية القبطية بمصر جاء فيها (٤) « قد تحفظت البيعة المسيحية في جميع أنحاء العالم على الثلاث وظائف المذكورة مدة ألف وخمسمائة سنة بعد المسيح ، انما اكراما للرسل الأولين قد استصوبت عدم استعمال كلمة رسول لخلفائهم . وكانت تسمى رؤساء الاكليروس أساقفة ، وهذا الاسم يعطى في الانجيل لثاني درجة من الاكليروس اعنى بهم القسوس (في ١ : ١) وكان محصورا في الأساقفة حق تكريس آخرين لوظيفتهم أو لوظائف أدنى منها . وكما أن الكهنة المتناسلين من الكهنة الحقيقيين في الشريعة اليهودية تتألف منهم سلالة هرون ، كذلك تتألف الخلافة الرسولية من الأساقفة والقسوس المسيحيين الذين رسموا لوظائفهم من جيل الى جيل » .

(١) أى قبول احدى الدرجات الكهنوتية .

(٢) أى يفحصون ويستصوب الناس رسامتهم .

(٣) أى وما دامت الرتب الكهنوتية بتوقيرها بانكلترا فلا رسامة الا بامتحان .

(٤) راجع هذه النبذة فقد أدرجت بنصها في مجلة الكرمة في المجلد الثالث عشر الجزء الرابع .

وقد ورد في كتاب مصابيح الدعاة في واجبات الرعاة تأليف القس هنري
جيمس الأمريكاني ما يأتي خلاصته .

« الوظيفة الرعوية من مقتضيات الطبيعة الروحية ،

ولنا على ذلك أربعة أدلة : -

- ١ - أن كل أمر يفتقر إليه البشر يستلزم خدمة أو وظيفة . . .
- ٢ - أنه يتعذر انتظام فرقة من الناس دون متوظفين وأعضاء وقوانين . . .
- ٣ - أنه لم تخل جماعة على وجه الأرض من وظيفة دينية ، والشاهد على ذلك تواريخ الكلدانيين والمصريين والفرس واليونانيين وما يشاهد في أيامنا من أمر الهنود والصينيين والبرابرة والوثنيين . . .
- ٤ - أن لبعض الناس سمجاً وخواص ينظر إليها الناس باعتبار واحترام غير اعتياديين تصيرهم رعاة أي رؤساء أو مرشدين للشعب ، وفي ذلك ترتيب الهى لمقاصد خيرية (فصل ١ قسم ١ صحيفة ٤٥٣) .

وقد ورد في كتاب مصابيح الدعاة في واجبات الرعاة تأليف القس هنري
جيمس الأمريكاني ما يأتي خلاصته .

« الوظيفة الرعوية من مقتضيات الطبيعة الروحية ،

ولنا على ذلك أربعة أدلة : -

- ١ - أن كل أمر يفتقر إليه البشر يستلزم خدمة أو وظيفة . . .
- ٢ - أنه يتعذر انتظام فرقة من الناس دون متوظفين وأعضاء وقوانين . . .
- ٣ - أنه لم تخل جماعة على وجه الأرض من وظيفة دينية ، والشاهد على ذلك تواريخ الكلدانيين والمصريين والفرس واليونانيين وما يشاهد في أيامنا من أمر الهنود والصينيين والبرابرة والوثنيين . . .
- ٤ - أن لبعض الناس سمجاً وخواص ينظر إليها الناس باعتبار واحترام غير اعتياديين تصيرهم رعاة أي رؤساء أو مرشدين للشعب ، وفي ذلك ترتيب الهى لمقاصد خيرية (فصل ١ قسم ١ صحيفة ٤٥٣) .

الفصل الثالث

الكهنوت من حيث هو سر وله طقس خاص

ان المسيح قدس اسمه أراد أن يقام الاكليريكيون ويمتازون عن عامة الشعب بطقس خاص ، يكرسون به لأجل مباشرة الخدم الكنسية ويقلدون به الولاية الروحية على الشعب . وهذا أمر يقتضيه الطبع لأن الاكليريكيين لا يولدون اكليريكيين ، ولا يعينهم الله رأساً ، فمن ثم يقتضى اذن وجود علامة حسية وطقس خاص احتفالي لسيامتهم ، به يعينون على مرأى من الشعب ، وبه يستدل على منحهم هذه النعمة وتقليدهم هذه الولاية .

ويتضح تأسيس سر الكهنوت من الله تعالى مما يأتى : -

أولاً - من الكتاب المقدس الذى يدلنا على أن الرسل الأطهار في سفر الأعمال وفي رسائلهم كانوا يتسمون هذا السر بوضع أيديهم على المنتخبين لترقيتهم الى الدرجة الكهنوتية ، وقد قال بولس لتلميذه تيموثاوس « لا تهمل الموهبة التى فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدي المشيخة » (أى القسوس) ١ تى ٤ : ١٤ وقال له أيضا « اذكر أن تضم ايضا موهبة الله التى فيك بوضع يدي » (٢ تى ١ : ٦)

ومن هذه النصوص يتضح أن فيها كل مقتضيات السر : -

١ - علامة حسية وهى وضع الأيادى كما هو مذكور فيما سبق وفي (١ تى ٥ : ٢٢ ، اع ٦ : ٦ ، ١٣ : ٣)

٢ - له الوعد بالنعمة أو الموهبة من الله .

٣ - الوضع الالهى حسب قول الرب « افرزوا لى برنابا وشساول » (اع ١٣ : ٢) ، « احترزوا اذا لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها اساقفة » (اع ٢٠ : ٢٨) ويقرر بولس الرسول في رسالته الى أهل أفسس أن الله هو الذى أقام هؤلاء الخدام بقوله « وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلا والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين الخ » (آف ٤ : ١١) وما تقدم نرى أن المفرزين لهذه الخدمة يكرسون بعمل خاص وينالون نعمة وموهبة خاصة من الروح القدس الذى يقيمهم .

وفي كتاب أعمال الرسل نرى أن بولس وبرنابا بينما كانا يجولان للكراسة في لسترة وايقونية وانطاكية يشهدان التلاميذ « انتخبنا لهم قسوسا في كل

كنيسة ثم صلوا باصوام واستودعاهم للرب » (أع ١٤ : ٢١ - ٢٣) كذلك
الشماسة الذين اختارهم المؤمنون فقد وضع الرسل عليهم الايادي (أع
٦ : ٦) .

ثانيا - ان نعام العناية الالهية يقتضى أن يكون في الكنيسة قواد ورؤساء
يقودون الشعب ، ويسوسونه ويؤدون الخدم اللازمة لهم ، كما يقتضى ذلك
نظام كل جماعة بشرية تقلد وظائفها باحتفال خاص وعلامات ظاهرة حسية
واذا كانت المعمودية التي هي سر يراد به صيرورة البشر أبناء الله وأعضاء في
الكنيسة اقتضى أن تكون سرا حقيقيا بطقس خاص ، فبالأولى كثيرا يليق بهذه
الرتبة التي بها يصير بعض المؤمنين قادة لجنود المسيح ومعلمين للايمان وخدمة
لباقى الأسرار .

ثالثا - من التقليد : فان القديس اغسطينوس يقول ردا على تعاليم
الدوناتيين « فليفهمنا الدوناتيون لماذا وسم المعمودية لا يمحي ، ووسم الدرجة
يمحي حسب اعتقادهم . فان كان كلاهما سرين حقيقيين كما هو مقرر عند
الجميع ، فلماذا الواحد يبقى والآخر يمحي ؟ » (رد على رسالة برمينيون)
وقال القديس باسيليوس « أما الذين خرجوا عن الكنيسة فلن ينالوا بعد ذلك
نعمة الروح القدس عليهم ، لان منح النعمة قد زال لانقطاع الخلافة لأن الذين
خرجوا أولا كانوا قد نالوا الشرطونيات (وضع اليد) من الآباء وبوضع أيديهم
حصلوا على الموهبة الروحانية » (رسالة قانونية أولى قانون ١) (١) .

وقال القديس يوحنا ذهبى الفم « أنظر كيف أن المؤلف لا يذكر شيئا
عبثا . لأنه لم يقل كيف شرطن بل قال قولاً بسيطاً انه شرطن بالصلاة وهذه
هي الشرطونية كلها ، اذ توضع اليد على رأس الرجل والله يفعل كل شيء ،
ويده هي التي تمس رأس المشرطن اذا شرطن كما يجب ، وأنظر كيف كان
بين السبعة (الشماسة) واحد (استعافوس) مميزاً ونال الأولوية . فان
الشرطونية وان كانت عامة ولكن هذا نال نعمة أكثر . وقبل الآن لم يكن
يفعل آيات بل بعد أن نودي به ، لكي ينضح أن النعمة وحدها لا تكفى وان
الشرطونية ضرورية معها ، فقد زادت عليهم نعمة الروح القدس وان كانوا
قبل الآن مملوئين من الروح غير أن ذلك يشير الى نعمة الحميم فقط » (مقالة
١٤ : ٣ ، ١٥ : ١ على سفر الاعمال)

رابعا - من شهادة البروتستانت . ان البروتستانت المشيخيين أقروا
بأن الاسرار لا يمكن ان يتمها الا القسوس الذين لهم وحدهم هذا الحق .

(١) يقصد أن الذين نالوا الدرجة الكهنوتية من الآباء ثم انشقوا وخرجوا
عن الكنيسة قد أبطل عملهم وأوقفوا بنفس سلطان الكنيسة ، ولم
يعد لهم حق وضع اليد .

فقد جاء في نظام التعليم في علم اللاهوت القسويم تأليف القس جيمس انيس الامريكاني جوابا على سؤال بمن يختص حق ممارسة المعمودية . أى من له حق أن يعمد ؟ جاء فيه أن « حق ممارسة المعمودية يختص بالقسوس المعينين قانونيا لوظيفتهم في الكنيسة المسيحية » (جزء ٢ صحيفة ٤٢٠) وقال جوابا على سؤال هل في الكنيسة وظائف وما هي ؟ « أن في كنيسة المسيح وظائف معينة من قبل السيد له المجد الذي هو رأس الكنيسة الوحيد ، وتلك الوظائف بعضها وقتي وبعضها دائم . فالوظائف الوقتية هي وظائف الانبياء والرسل وليس لها وجود في الكنيسة الآن ، والوظائف الدائمة بموجب النظام النيابي لئلا يذكره ثلاث ٠٠٠ وقد سمي التوظيف فيها بأسماء مختلفة في العهد الجديد فمنها قسيس وأسقف وشيخ وناظر وخادم وراع ووكيل سرائر الله (أع ١٤ : ٢٣ ، ٢٠ : ١٧ و ٢٨ ، ١ كو ٤ : ١ ، في ١ : ١ ، ١ : ٥) و ١٩ ، تي ١ : ٥ ، يع ٥ : ١٤ ، ١ بط ٥ : ١ - ٥) .

وجاء في النبذة المسماة « الخلافة الرسولية » السابق ذكرها التي طبعها ونشرها أساقفة انكترأ ما يأتي : -

كل من يدعى بأن يكون قسيسا وراعيا للشعب المسيحي فلا بد أن يبني ادعاه على أحد الأربعة الأوجه الآتية : -

(أ) أما أن يدعى أن الله نفسه أرسله مباشرة

(ب) أو أنه تحصل على مأموريته حسب الأصول من قبل الذين أرسلهم الله مباشرة وأعطاهم سلطانا بإرسال آخرين كذلك

(ج) أو يدعى بكونه مختارا ومنتخبا من الجماعة التي يرعاها أو الشركة التي يكون عضوا منها

(د) أو أنه يكتفى باعتقاده في نفسه أنه جدير بأن يكون معلما . ففي الوجهين الأولين فقط يكون مرسلا من الله . ويكون له الحق في التكلم باسمه ، وفي الوجه الثالث يعتبر مرسلا من الناس ، وفي الأخير غير مرسل من أحد بل مرسلا من نفسه . . . إلى أن قال . والوجه الثساني هو طريقة التوراة فهو مطابق للشرية والانجيل معا . أما مطابقته للانجيل فهي في كون الله أرسل الرسل الحقيقيين الشرعيين أولا وفوض لهم تعيين خلفائهم من بعدهم . . . وأما مطابقته للشرية فلأن الله جعل هرون رئيس الكهنة وبنيه كهنة من تحته « وقرب اليك هرون أخاك وبنيه معه من بين بني إسرائيل ليكون لي » (خر ٢٨ : ١) وأمر أن الكهنة ينبغي أن ينتخبوا من عائلة هرون فقط « وقال الرب للهرون أنت وبنوك وبيت أبيك معك تحملون ذنب المقدس وأنت وبنوك معك تحملون ذنب كهنوتكم » (عدد ١٨ : ١) وحكم بالموت على من يتجاسر على التقليد بهذه الوظيفة من سواهم « وأما أنت وبنوك معك

تقريبا قد فقدوا هذه القوة حيث الكنيسة قاطبة الغتها بنوع ما والحالة هذه لا يمكنهم استرجاعها لانفسهم الا بسماع الكنيسة المذكورة ثالثا ان اكبر كنيسة بروتستانتية في اسكوتلاندا وهي تعتبر أصل الكنائس البروتستانتية الانكليزية والاييرلندية والامريكانية وتأسست في سنة ١٥٦٠ مسيحية بطريقة الاستقلال بمعرفة شخص يدعى حنا نوكس كان ذلك بدون تعيين قسوس ولا رعاة بواسطة وضع الأيدي ولم يحصل ذلك (١) الا بعد مدة من السنين ولم توضع الأيدي على أول من انتخبوا لوظيفة القسوسية الذين كان معظمهم من العلمانيين ، وكان يندر وجود قسوس من الكنيسة القديمة بينهم ، وحتى لما فهموا ضرورة وأهمية التكريس بواسطة وضع الأيدي كان أغلب لا بل جميع الذين كانوا قسوسا في الكنيسة القديمة ماتوا . وهكذا فالمكرسو كانوا ممن لم توضع عليهم الأيدي ولم يكرسوا أنفسهم . وبناء على ذلك حتى لو صدقنا على ادعاء البروتستانت ان القسوس لهم حق في التكريس ، فلا يمكنهم بواسطة ذلك المدافعة عن قسوسهم لأن الذين كرسوهم كانوا علمانيين وليسوا قسوسا كما سبق القول .

• أما الكنيسة المصرية تحت الخلافة المرقسية الرسولية والكنيسة اليونانية الأرثوذكسية والكنيسة الانكليزية وغيرها من الكنائس الاسقفية فقد حافظت بغاية التيقظ والاعتناء على استمرار الخلافة الرسولية فيها بدون خلل أو عيب ، وفي امكانها أن تثبت أن أصاقتها متسلسلون من وقت المسيح .

وقد ألف القس ناصر عودة التابع للكنيسة الانكليزية موعظة في الكهنوت المسيحي في سنة ١٨٨٩ طبعت باللغة العربية وفي مقدمتها حكم المطران الانكليزي ج. ف. يوبهام بنيث مطران الكنيسة الانكليزية في اورشليم والشرق . قال في حكمه على تلك الموعظة « ربما لا يوجد عضو في الكنيسة يرتاب في حكم مار ابرونيموس المقدم من الأسقف ورتسورث أن الكنيسة التي ليس لها كهنة ليست بكنيسة »

أما هذه الموعظة (٢) ، فهي أثبات لوجود كهنوت مسيحي في العهد الجديد ، نذكر منها هنا بعض فقراتها : -

« أنه مما نلاحظه في الكتاب نتأكد أنه يوجد بركات مختصة بالخلاص

(١) أي وضع اليد .

(٢) أدرجت بنصها في مجلة الكرمة في الجزء الخامس من المجلد الثالث .

عشر .

تقريبا قد فقدوا هذه القوة حيث الكنيسة قاطبة الغتها بنوع ما والحالة هذه لا يمكنهم استرجاعها لانفسهم الا بسماع الكنيسة المذكورة ثالثا ان اكبر كنيسة بروتستانتية في اسكوتلاندا وهي تعتبر أصل الكنائس البروتستانتية الانكليزية والايرونتية والامريكانية وتأسست في سنة ١٥٦٠ مسيحية بطريقة الاستقلال بمعرفة شخص يدعى حنا نوكس كان ذلك بدون تعيين قسوس ولا رعاة بواسطة وضع الأيدي ولم يحصل ذلك (١) الا بعد مدة من السنين ولم توضع الأيدي على أول من انتخبوا لوظيفة القسوسية الذين كان معظمهم من العلمانيين ، وكان يندر وجود قسوس من الكنيسة القديمة بينهم ، وحتى لما فهموا ضرورة وأهمية التكريس بواسطة وضع الأيدي كان أغلب لا بل جميع الذين كانوا قسوسا في الكنيسة القديمة ماتوا . وهكذا فالمكرو كانوا ممن لم توضع عليهم الأيدي ولم يكرسوا أنفسهم . وبناء على ذلك حتى لو صدقنا على ادعاء البروتستانت ان القسوس لهم حق في التكريس ، فلا يمكنهم بواسطة ذلك المدافعة عن قسوسهم لأن الذين كرسوهم كانوا علمانيين وليسوا قسوسا كما سبق القول .

• أما الكنيسة المصرية تحت الخلافة المرقسية الرسولية والكنيسة اليونانية الأرثوذكسية والكنيسة الانكليزية وغيرها من الكنائس الاسقفية فقد حافظت بغاية التيقظ والاعتناء على استمرار الخلافة الرسولية فيها بدون خلل أو عيب ، وفي امكانها أن تثبت أن أصاقتها متسلسلون من وقت المسيح .

وقد ألف القس ناصر عودة التابع للكنيسة الانكليزية موعظة في الكهنوت المسيحي في سنة ١٨٨٩ طبعت باللغة العربية وفي مقدمتها حكم المطران الانكليزي ج. ف. يوبهام بنيث مطران الكنيسة الانكليزية في اورشليم والشرق . قال في حكمه على تلك الموعظة « ربما لا يوجد عضو في الكنيسة يرتاب في حكم مار ابرونيموس المقدم من الأسقف ورتسورث أن الكنيسة التي ليس لها كهنة ليست بكنيسة »

أما هذه الموعظة (٢) ، فهي أثبات لوجود كهنوت مسيحي في العهد الجديد ، نذكر منها هنا بعض فقراتها : -

« أنه مما نلاحظه في الكتاب نتأكد أنه يوجد بركات مختصة بالخلاص

(١) أي وضع اليد .

(٢) أدرجت بنصها في مجلة الكرمة في الجزء الخامس من المجلد الثالث

عشر .

« أولا : من جهة النظام البطارقي ، فأول ذكر لكاهن نراه في الآيات الواردة في (تك ١٤ : ١٨ - ٢٠) « وملكى صادق ملك شاليم اخرج خبزا وخمرا وكان كاهنا لله العلي . وباركه وقال مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض ، ومبارك الله العلي الذي أسلم أعدائك في يدك . فأعطاه عشرا من كل شيء »

« فان وجد انسان على وجه البسيطة لا يحتاج الى بركة من فم انسان نظيره فذلك الانسان هو ابراهيم الذي كان قد ظهر له الرب قبل هذه الواقعة ثلاث مرات ، وكان قد وعده أن فيه تتبارك جميع قبائل الأرض ، فما هي الحاجة لأن يتوسط كاهن بين الله وبين ابراهيم . ومع ذلك كان ابراهيم في احتياج الى ذلك لأن الله قد عين أن ذلك الكاهن والملك ينبغي أن يبارك من كانت له المواعيد .

« فمن فعل البركة هذا يظهر لي أن الله لم يمنع شرفا وقدرًا لرتبة بشر من كهنة أو خدام بل بالحرى قد صرح بسلطته المطلقة أي أنه يحق له أن يوصل بركاته كيفما اختار

« ابراهيم كان بنوع اخصوصى رمزا الى المسيحي الذي يتبرر بالايمان ويتمسك بالمواعيد . وان كان قد شرفه الله بالتكلم معه مرارا وبتسميته اياه خليله الا أن العناية أرشدت هذا الانسان الى كاهن ليتبارك منه ، ومهما كانت أمجاد ذلك الكاهن الرمزية عظيمة الا أنه في زمان ابراهيم لم يكن معروفا الا ككاهن وملك في أرض كنعان

« فمهما تعلمنا من هذا الخبر نتعلم بلا ريب أمرين (١) أنه مهما كان المسيحي متقدما في الحياة الروحية وتمسكا بالمسيح لا يجب أن يدعى أنه اتصل الى درجة لا يحتاج فيها الى نوال البركة ممن قد عينهم الله لا يصلها (٢) أن مخاطبة الله رأسا للمؤمنين لا تضساد ولا تمنع لزوم مخاطبته لهم بواسطة لا يصل بركاته أن كان ذلك بموجب تعيينه الالهي

« ثانيا . لنأت الآن الى النظام اليهودي . لا احتياج لتكثير البراهين أنه في هذا النظام كان الكهنة يوصلون بركات الله للشعب الاسرائيلي ، الأمر المسلم به من الجميع

« الله كان قد رتب أن صبطا بين أسباط اسرائيل الأثنى عشر يجب أن يخدمه في الهيكل . وأهم واجبات خدمته كان عمل الكفارة . كان الله يستطيع أن يغفر خطايا شعبه بدون واسطة الوسائل الظاهرة ولا سيما لأنه كان مزعما

« أولا : من جهة النظام البطارقي ، فأول ذكر لكاهن نراه في الآيات الواردة في (تك ١٤ : ١٨ - ٢٠) « وملكى صادق ملك شاليم اخرج خبزا وخمرا وكان كاهنا لله العلي . وباركه وقال مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض ، ومبارك الله العلي الذي أسلم أعدائك في يدك . فأعطاه عشرا من كل شيء »

« فان وجد انسان على وجه البسيطة لا يحتاج الى بركة من فم انسان نظيره فذلك الانسان هو ابراهيم الذي كان قد ظهر له الرب قبل هذه الواقعة ثلاث مرات ، وكان قد وعده أن فيه تتبارك جميع قبائل الأرض ، فما هي الحاجة لأن يتوسط كاهن بين الله وبين ابراهيم . ومع ذلك كان ابراهيم في احتياج الى ذلك لأن الله قد عين أن ذلك الكاهن والملك ينبغي أن يبارك من كانت له المواعيد .

« فمن فعل البركة هذا يظهر لي أن الله لم يمنع شرفا وقدرًا لرتبة بشر من كهنة أو خدام بل بالحرى قد صرح بسلطته المطلقة أي أنه يحق له أن يوصل بركاته كيفما اختار

« ابراهيم كان بنوع اخصوصى رمزا الى المسيحي الذي يتبرر بالايمان ويتمسك بالمواعيد . وان كان قد شرفه الله بالتكلم معه مرارا وبتسميته اياه خليله الا أن العناية أرشدت هذا الانسان الى كاهن ليتبارك منه ، ومهما كانت أمجاد ذلك الكاهن الرمزية عظيمة الا أنه في زمان ابراهيم لم يكن معروفا الا ككاهن وملك في أرض كنعان

« فمهما تعلمنا من هذا الخبر نتعلم بلا ريب أمرين (١) أنه مهما كان المسيحي متقدما في الحياة الروحية وتمسكا بالمسيح لا يجب أن يدعى أنه اتصل الى درجة لا يحتاج فيها الى نوال البركة ممن قد عينهم الله لا يصلها (٢) أن مخاطبة الله رأسا للمؤمنين لا تضساد ولا تمنع لزوم مخاطبته لهم بواسطة لا يصل بركاته أن كان ذلك بموجب تعيينه الالهي

« ثانيا . لنأت الآن الى النظام اليهودي . لا احتياج لتكثير البراهين أنه في هذا النظام كان الكهنة يوصلون بركات الله للشعب الاسرائيلي ، الأمر المسلم به من الجميع

« الله كان قد رتب أن صبطا بين أسباط اسرائيل الأثنى عشر يجب أن يخدمه في الهيكل . وأهم واجبات خدمته كان عمل الكفارة . كان الله يستطيع أن يغفر خطايا شعبه بدون واسطة الوسائل الظاهرة ولا سيما لأنه كان مزعما

أن يعد ذبيحة كاملة كافية . غير أنه سر أن يعين أن خطايا شعبه لا تغفر الا بتقديم ذبائح معلومة يقبلها الكهنة من الشعب ويقدمونها للرب

« خدم أخرى كانت مختصة بالكاهن : مثل تقديم البخور ، والحكم في تطهير الأبرص ، ووضع خبز التقدمة على المائدة بترتيب ، وبركة الشعب باسم الرب

« فمن جهة النظام اليهودي اذن واضح كل الوضوح أن الله عين ان شعبه ينتظرون بركات معلومة عظيمة بواسطة خدمة اخوتهم

« انه يوجد ثلاث قضايا في هذا الكهنوت الاستعدادى تشير الى خدمة كهنة نظام العهد الجديد : (١) اختيار الله وتقديسه كل الشعب اليهودي ليكون مملكة كهنة لم يمنعه عن افراز سبط لاوى ليكونوا كهنة له بمعنى خصوصى ، وليجروا أموراً بالنيابة عن اخوتهم لم يسمح لهم الله أن يجروها هم أنفسهم ، وليصلوا بركات معلومة لا ينتظر اعتياديا الحصول عليها الا على يدهم

« ومار بطرس حينما يشير الى كهنوت جميع المسيحيين كأعضاء جسد الكاهن الواحد السرى بقوله « وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوك » (١ بطرس ٢ : ٩) أهو لا يعترف بكهنوت المسيحيين العام أكثر مما أعترف بكهنوت الاسرائيليين العام فى النظام اليهودي الذى يشير اليه الله ذاته بواسطة موسى قائلاً « وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة » (خر ١٩ : ٦) لا بل نقول ان كلام مار بطرس عن المسيحيين ليس الا اقتباساً أو تخصيصاً لكلام الله عن اليهود .

« اذن كون جميع أعضاء كنيسة المسيح كهنة لله لا يناقض مطلقاً اختيار الله رتبة معلومة من البشر من وسط كنيسته وجعله اياهم كهنة بمعنى خصوصى ليجروا خدمة لاخوتهم .

« (٢) القضية الثانية التى تستحق الذكر هنا هى : أنه منذ سقوط آدم لم يوجد وان يوجد الا كاهن واحد حقيقى وهو الرب يسوع ، وكفارة واحدة هى جسده الذى بذل ، ودمه الذى سفك لمغفرة الخطايا .

« والرسول مار بولس يصرح أن دم الثيران والماعز لا يرفع الخطية ومع ذلك فمما نقرأه فى سفر اللاويين يتضح جلياً أن ارادة الله كانت أن شعبه يعتبر تلك الذبائح والمحرقات أنها تكفر كفارة حقيقية

« وهكذا قال عن المحرقة (لا ١ : ٤) « فيرضى عليه للتكفير عنه ، وعن ذبيحة الاثم يقال (لا ٥ : ١٠) « فيكفر عنه الكاهن من خطيته التى أخطأ

فيصنع عنه ، ولا سيما يقال عن ذبيحة الكفارة السنوية (لا ١٦ : ٣٠) « لأنه في هذا اليوم يكفر (الكاهن) عنكم لتطهيركم من جميع اخطاياكم أمام الرب تطهرون »

« لا يمكننا أن نتصور كلمات تصف كفارة حقيقية ذات فاعلية أوضح من هذه الكلمات التي أشرت اليها لأنها تشير الى تطهير لكي يتطهر الساجدون « أمام الرب »

« والتفسير الوحيد الذي يوفق بين هذه العبارات وبين قول مار بولس عن دم الثيران والماعز انه لا يستطيع أن يرفع الخطية هو أن تلك الذبائح طهرت ليس بقوة فيها هي ذاتها بل لأنها كانت وسيلة معينة لجعل البشر يشتركون على طريقة ما في الذبيحة الواحدة الكافية للجميع . فتلك الذبائح كانت فعالة للتكفير وطهرت من الخطية (أمام الرب) ليس لان الله رأى فيها هي ذاتها أدنى قوة ، بل لان قوة الذبيحة الوحيدة كانت منعكسة اليها الى درجة ما

« وهكذا الامر في الكهنة بالمقابلة مع الكاهن الوحيد الذي كان زمعا أن يبذل ذاته ، فهم بالمقابلة معه ليسوا بكهنة لانه لم يوجد ولن يوجد الا الكاهن الوحيد الحقيقي . ولكن بالمقابلة مع اخواتهم الاسرائيليين هم كهنة لانهم بتعيين الله أجروا بخدمتهم الكفارة وطهروا أيضا (أمام الرب) ...»

(٣) القضية الثالثة في كهنوت العهد القديم التي لها علاقة بالكهنوت للمسيحي في العهد الجديد هي أنه يوجد جملة نبوات في العهد القديم تشير الى ملكوت المسيح ، وفي هذه النبوات سبق الروح فصرح جليا أن [كهنة] و [لاويين] سيجرون واجبات وظائفهم المتنوعة تحت حكم داود الروحي العظيم

(أ) ارمياء (٣٣ : ١٥ - ٢٢) خصوصا (الاعداد ١٧ و ١٨ و ٢١) قبل اشك أن هذه النبوة تشير الى المسيح والى خدمة كنيسته والذبائح الروحية التي يقدمها الخدمة لا سيما تلك الذبيحة غير الدموية التذكارية أي سر الافخارستيا . وهنا خدمة الانجيل يسمون بذات الاسم الذي تسمى به خدمة العهد القديم

(ب) ملاخي (٣ : ٣) الروح سبق فقال عن المسيح ملاك العهد « فيجلس محصا وبنقيا للفضة فينقى بني لاوي ويصفهم كالذهب والفضة ليكونوا مقربين للرب تقدمه بالبر » ولا نستطيع أن نفسر هذه النبوة الا عن تنقية المسيح خدمة دين لنفسه من وسط شعبه المسيحي . لأننا ان فسرناها عن كهنوت المسيحيين العام نغلط لان المراد هو تنقية ليس كل الشعب بل سبط

من وسط الشعب وذلك السبط هو السبط المعين لخدمة المقدس . وأما بقية الشعب بجملته فيدهى في النبوة [يهوذا وأورشليم] (عد ٤) حتى المفسر الشهير (سكوت) يسلم أن هذه النبوة والنبوة المذكورة في ارمياء التي مر ذكرها تشيران إلى خدمة الدين المسيحي بالامتياز عن كهنوت المسيحيين العام

ان كان الله لم يقصد في العهد الجديد ان خدمة الدين يكونون كهنة خاضعين للكاهن الحقيقي الوحيد . وان كان الاعتقاد بذلك تجديفا كما يزعم البعض مغائرا لكهنوت المسيح الحقيقي الوحيد ، فلماذا ألهم الله ارمياء أن يتنبأ عن خدمة [كهنة] تحت حكم ابنه في العهد الجديد ؟

ان كان الله لم يقصد في العهد الجديد ان خدمة الدين يكونون كهنة خاضعين لكهنوت ابنه وكهنوت المسيحيين العام فلماذا جعل ملاخي يتنبأ عن ابنه أنه عند مجيئه إلى العالم سينقى ليس كل إسرائيل فقط بل بنوع خصوصي [بنى لاوى] - أى سبطا واحدا من وسط الشعب المقدس ، مفرزا إلى خدمه المذبح ، ممتازا عن اخوته . .

ثالثا - لنأت الآن الى نظام الكاهن الحقيقي الوحيد والديبحة الحقيقية الوحيدة . هل عين رئيس كهنتنا العظيم خدمة دين . فان كان قد عينهم فما هو المركز وما هي الخدمة التي عينها لهم في نظامه هذا ؟

فان اتضح من الانجيل أن المسيح رتب أن خدمه يجب أن يوزعوا فوائده كفارته لأخوتهم اما بواسطة الكرازة أو بواسطة أفعال ذات معنى كالامرار ، فحينئذ يكون هؤلاء الخدام كهنة حقيقيين كما كان كهنة النظامين اليهودي والبطارقي . لأن الأمر المهم في هذه المسألة هو ليس الاسم الذي سمي به خدام الانجيل بل الواجبات التي تعينت لهم . . .

وهنا أفاض المؤلف في ذكر الآيات الكتابية الدالة على وظيفة الرسل وخلفائهم من بعدهم ، وسلطانهم الكهنوتي الذي منح لهم ومركزهم وخدمتهم التي خصصوا لها كالكراسة والمعمودية واجراء سر الأختارستيا وتفويضهم حل الخطايا ، وختم كلامه بما يأتي : -

« علينا أخيرا أن نرى هل كان للرسل سلطان أن يسلموا اجراء هذه الخدمة لغيرهم فان لم يكن لهم سلطان على ذلك فحينئذ يكون أولئك المسيحيون فقط الذين عاشرهم وعاشروهم قد تعمدوا وتناولوا العشاء الرباني وحصلوا على الحل . لأنه لا يجب أن ننسى أن التفويض الأصلي بالكراسة والمعمودية واجراء خدمة العشاء الرباني وسلطان الربط والحل لم يعط الا للرسل وحدهم .

لأنهم هم وحدهم كانوا حاضرين كما يذكر الانجيل حين اعطاء ذلك التفويض ،
 وفضلا عن هذا توجد كلمات معلومة في سفر الاعمال يستنتج منها أن التفويض
 كان محصورا في الرسل فقط (ا ع ١ : ٢) بالمقابلة مع (مت ٢٨ : ١٦ و
 ١٨ و ١٩ ، مر ١٦ : ١٤ و ١٥ ، يو ٢٠ : ١٩ - ٢٧ ، ا ع ١٠ : ٤٠ -
 ٤٢) فلو أراد الرب يسوع المسيح أن يفوض كافة المسيحيين اجراء هذه
 الخدمة لكان على الأقل جمع كل التلاميذ عند اعطائه التفويض او اعطاه في وقت
 اجتماع المائة والعشرين والخمسمائة . ولكنه لم يشأ ذلك بل أراد أن يكون
 كهنوت مسيحي خصوصي في كنيسة العهد الجديد كما كان في كنيسة العهد
 القديم كهنوت خصوصي بالامتياز عن كهنوت المسيحيين العام . ولذلك الى
 وقت صعود المسيح كان الرسل وحدهم خدمة الدين الذين فوضوا ليعملوا
 في كنيسته .

ولأجل دوام هذه الخدمة أعطى المسيح أو الروح القدس الرسل سلطانا
 ليسلموا اجراء هذه الخدمة بواسطة وضع اليد أي الرسامة .

ووضع اليد هنا كان من أركان النظام المسيحي حتى ذكر مع المبادئ
 الأولية للتعليم المسيحي أي أساسات الديانة المسيحية (عب ٦ : ١ - ٤) .

فكل متوظف في الكنيسة من الرسل (ا ع ١٣ : ٢) الى الشمامسة
 (ا ع ٦ : ٦) أفرز الى خدمة وظيفته بوضع الأيدي هذا . لأنه ان كان الرسل
 فعلوا ذلك في أمر الشمامسة الذين فوضوا لهم وأجبات خدمة موثقة ، فكم
 بالحرى يكون قد فعلوا ذلك في أمر من فوضوا لهم خدمة روحية .

في الرسائل الرعوية نجد أن وضع اليد لنقل هذا السلطان هو الوسيلة
 المعتبرة لابقاء خدمة خدام الدين في الكنيسة . فمار بولس يأمر تيموثاوس
 قائلا « اذكرك أن تضرم أيضا موهبة الله التي فيك بوضع يدي » (٢ تيمو
 ١ : ٦) وأيضا « لا تضع يدا على أحد بالعجلة » (١ تيمو ٥ : ٢٢) .

إذا الأمر واضح أن المسيح لم يوكل فقط خداما لاجراء أسمى الخدمات
 الكهنوتية بل قد عين طريقة أيضا لدوام اجراء تلك الخدمات

فعليكم اذن أيها الاخوة أن تعتبروا خدمة ووكلاء أسرار الله لا كأنهم يركزون
 أو يعمدون أو يجرون سر الشركة المقدسة أو يعملون بسلطانهم ، بل
 بسلطان المسيح الذي فوض لهم تلك الخدمة . فأمنوا أنهم يخدمونكم بالتيابة
 عن المسيح واسمه وبحسب إيمانكم يكون لكم .

« كونوا أنتم أيضا مبنيين كحجارة حية بيتا روحيا كهنوتا مقدسا لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح ٠٠٠ وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي أمة مقدسة » (١ بط ٢ : ٥ و ٩) وقوله « الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكا وكهنة لله أبية » (رؤ ١ : ٥ و ٦) وأيضا قوله « وجعلتنا لالهنا ملوكا وكهنة » (رؤ ٥ : ١٠)

وندفع هذا الاعتراض بأن الكتاب ذكر مرارا بأن المؤمنين هم كهنة ، وهذه الكلمة تأتي في الكتاب بمعنى حقيقي عن الكهنة خدام الله المكرسين للخدمة ، وبمعنى مجازي عن جميع المؤمنين لأنهم يقدمون لله ذبائح روحية هي صلواتهم وعبادتهم له تعالى . والدليل على ذلك أن بطرس الرسول بعدما دعا المؤمنين « بيتا روحيا » أضاف حالا بأن الله جعلهم « كهنوتا مقدسا لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله » تميزا لها عن الذبائح الحقيقية التي لا يجوز لغير الكهنة تقديمها . خصوصا وأن بطرس الرسول يقتبس هذه الآية من سفر الخروج (١٩ : ٦) حيث قيلت أولا عن الشعب الاسرائيلي . ومن المعلوم أن هذا الشعب الذي أعلنه الله بأن يكون له مملكة كهنة وأمة مقدسة لم يحصل بأجمعه على الكهنوت الحقيقي الذي أختص به سبط لاوى دون سواه . حتى أن قورح ودathan وأيرام الغرباء عن الكهنوت عندما تعدوا على الكهنوت فتحت الأرض فاعا وأبتنتعتهم وكل ما لهم فهبطوا أحياء الى الهاوية (راجع عدد ١٦ : ١ - ٤٠)

قال القديس أمبروسيوس « ان كل مؤمن يمسح كاهنا وملكا غير انه لا يصير ملكا حقيقيا ، ولا كاهنا حقيقيا ، بل ملكا روحيا وكاهنا روحيا يقرب لله ذبائح روحية وتقدمات الشكر والتسبيح » (ك ٤ في الكهنوت) . وقال القديس أغسطينوس « أن الكهنوت الملكي لا يقال عن الاساقفة والقسوس فقط الذين هم في الواقع وحقيقة الأمر كهنة في بيعة الله ، ولكن الجميع يدعون مسيحيين بسبب المسحة السرية ، كذلك الجميع يدعون كهنة لأنهم أعضاء كاهن واحد وهو المسيح ، وعنهم قال الرسول انهم « أمة مقدسة وكهنوت ملوكي » (مدينة الله ك ٢٠ فصل ١٠)

والبليموثيون أنفسهم يفسرون هذا التفسير ، فقد جاء في تفسيرهم لسفر الرؤيا المطبوع باسكندرية سنة ١٩١٠ عند تفسير قوله « وجعلنا ملوكا وكهنة لله » رؤ ١ : ٦ ما نصه « هذه التسبحة تقدم من المؤمنين عندما يسمعون الكلام عن عمل المسيح لاجلهم ، وهذا يصدق على حالتهم الحاضرة لكونهم كهنة لله وقريبين منه بدم المسيح لتقديم السجود والتسبيح للذي دعاهم من الظلمة الى نوره العجيب (١ بط ٢ : ٩) وهم ملوك أيضا بالقوة لا بالفعل لأنهم طول مدة غياب المسيح في السماء مضطهدون ومدوسون من العالم . ولكن متى جاء ربهم يصيرون ملوكا معه بالفعل . »

« كونوا أنتم أيضا مبنيين كحجارة حية بيتا روحيا كهنوتا مقدسا لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح ٠٠٠ وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي أمة مقدسة » (١ بط ٢ : ٥ و ٩) وقوله « الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكا وكهنة لله أبية » (رؤ ١ : ٥ و ٦) وأيضا قوله « وجعلتنا لالهنا ملوكا وكهنة » (رؤ ٥ : ١٠)

وندفع هذا الاعتراض بأن الكتاب ذكر مرارا بأن المؤمنين هم كهنة ، وهذه الكلمة تأتي في الكتاب بمعنى حقيقي عن الكهنة خدام الله المكرسين للخدمة ، وبمعنى مجازي عن جميع المؤمنين لأنهم يقدمون لله ذبائح روحية هي صلواتهم وعبادتهم له تعالى . والدليل على ذلك أن بطرس الرسول بعدما دعا المؤمنين « بيتا روحيا » أضاف حالا بأن الله جعلهم « كهنوتا مقدسا لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله » تميزا لها عن الذبائح الحقيقية التي لا يجوز لغير الكهنة تقديمها . خصوصا وأن بطرس الرسول يقتبس هذه الآية من سفر الخروج (١٩ : ٦) حيث قيلت أولا عن الشعب الاسرائيلي . ومن المعلوم أن هذا الشعب الذي أعلنه الله بأن يكون له مملكة كهنة وأمة مقدسة لم يحصل بأجمعه على الكهنوت الحقيقي الذي أختص به سبط لاوي دون سواه . حتى أن قورح ودathan وأبيرام الغرباء عن الكهنوت عندما تعدوا على الكهنوت فتحت الأرض فاعا وأبتنتعتهم وكل ما لهم فهبطوا أحياء الى الهاوية (راجع عدد ١٦ : ١ - ٤٠)

قال القديس أمبروسيوس « ان كل مؤمن يمسح كاهنا وملكا غير انه لا يصير ملكا حقيقيا ، ولا كاهنا حقيقيا ، بل ملكا روحيا وكاهنا روحيا يقرب لله ذبائح روحية وتقدمات الشكر والتسبيح » (ك ٤ في الكهنوت) . وقال القديس أغسطينوس « أن الكهنوت الملكي لا يقال عن الاساقفة والقسوس فقط الذين هم في الواقع وحقيقة الأمر كهنة في بيعة الله ، ولكن الجميع يدعون مسيحيين بسبب المسحة السرية ، كذلك الجميع يدعون كهنة لأنهم أعضاء كاهن واحد وهو المسيح ، وعنهم قال الرسول انهم « أمة مقدسة وكهنوت ملوكي » (مدينة الله ك ٢٠ فصل ١٠)

والبليموثيون أنفسهم يفسرون هذا التفسير ، فقد جاء في تفسيرهم لسفر الرؤيا المطبوع باسكندرية سنة ١٩١٠ عند تفسير قوله « وجعلنا ملوكا وكهنة لله » رؤ ١ : ٦ ما نصه « هذه التسبحة تقدم من المؤمنين عندما يسمعون الكلام عن عمل المسيح لاجلهم ، وهذا يصدق على حالتهم الحاضرة لكونهم كهنة لله وقريبين منه بدم المسيح لتقديم السجود والتسبيح للذي دعاهم من الظلمة الى نوره العجيب (١ بط ٢ : ٩) وهم ملوك أيضا بالقوة لا بالفعل لأنهم طول مدة غياب المسيح في السماء مضطهدون ومدوسون من العالم . ولكن متى جاء ربهم يصيرون ملوكا معه بالفعل . »

الاعتراض الثاني - يقولون ان جميع المؤمنين متساوون في الحقوق وعليه يجوز لهم اداء الخدم المقدسة ومباشرة الاسرار مستندين على قول الرسول « لانكم جميعا ابناء الله بالايمان بالمسيح يسوع . لان كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح ليس يهودى ولا يونانى . ليس عبدا ولا حر . ليس ذكر وانثى لانكم جميعا واحد في المسيح يسوع » (غل ٣ : ٢٦ - ٢٨)

وندفع هذا الاعتراض بأن الرسول هنا لا يتكلم عن سلطة الخدام ولا مباشرة الاسرار المقدسة . وذلك ظاهر من سوابق الكلام ولواحقه . بل غرض الرسول بيان الحقوق التى للمؤمنين في الميراث السماوى مهما كانت جنسيتهم ، ان كانوا يهودا أو يونانيين ، ومهما كانت منزلتهم عبيدا أو أحرارا . لأن الجميع صاروا ابناء الله بالايمان بالمسيح والمعمودية المقدسة ولا فضل لأحد على آخر بل جميعهم اخوة في المسيح وأعضاء في جسده ، وهو الرأس . وانهم تساووا من هذه الخيثة فلم يعد لليهودى أن يفتخر على الاممى ، بأنه من ذرية ابراهيم الذى كان له الموعد ، بل الجميع صاروا اولاد ابراهيم بالايمان وورثة البركة التى وعد الله بأن تكون لهم بالمسيح . أما عن خدم الكنيسة فقد شرح الرسول في رسالته الأولى الى أهل كورنثوس المواهب التى وزعها الروح القدس على المؤمنين وختمها بقوله « واما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفرادا . فوضع الله اناسا في الكنيسة أولا رسلا ثانيا انبياء ثالثا معلمين ثم قوات . وبعد ذلك مواهب شفاء أعوانا تدابير وأنواع السنة العمل الجميع رسل . العمل الجميع انبياء . العمل الجميع معلمون . العمل الجميع اصحاب قوات . العمل للجميع مواهب شفاء الخ » (١ كو ١٢)

الاعتراض الثالث - يزعمون أن المخلص لم يجعل سلطة في كنيسته بل جعل الكل اخوة ، وسندهم في ذلك قوله له المجد ، انتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم . فلا يكون هكذا فيكم بل من اراد أن يكون عظيما فليكن لكم خادما ومن اراد أن يكون فيكم أولا فليكن لكم عبدا . كما أن ابن الانسان لم يات ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (مت ٢٠ : ٢٥ - ٢٨)

وندفع هذا الزعم بأن المسيح له المجد أقام في كنيسته رعاة ومعلمين وآباء وقضاة روحيين . ولا بد للرعاة من رعية تسمع لهم ، وللمعلمين من تلاميذ يتعلمون منهم ، والآباء من بنين مطيعين ، وللقضاة من رؤوسين ينفذون احكامهم ولائبات ذلك نورد ما جاء في الانجيل ورسائل الرسل في هذا المعنى . قال الرب يسوع لتلاميذه « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به » (مت ٢٨ : ١٩ و ٢٠) وقال لهم أيضا « الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا في السماء »

(مت ١٨ : ١٨) « اقبلوا الروح القدس • من غفرتم خطاياهم تغفر له ومن أمسكتهم خطاياهم أمسكت » (يو ٢٠ : ٢٢ و ٢٣) وقال بطرس الرسول « اطلب الى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يعلن • ارفعوا رعية الله التي بينكم نظارا • لا عن اضطرار بل بالاختيار • ولا لربح قبيح بل بنشاط • ولا كمن يسود على الانصبية بل صائرين أمثلة للرعية • ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون اكليل المجد الذي لا يبلى » (١ بط ٥ : ١ - ٤) ، وقال بولس الرسول لقسسوس أفسس « احترزوا اذا لانفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » (أع ٢٠ : ٢٨) وقال لاهل كورنثوس • « لأنه وان كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح لكن ليس آباء كثيرون • لأنى أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالانجيل » (١ كو ٤ : ١٥) وقال لأهل غلاطية « يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضا الى أن يتصور المسيح » (غل ٤ : ١٩) (راجع أيضا عب ١٣ : ١٧) ألا ينتج من هذه النصوص المقدسة وجود آباء وقضاة ومعلمين في الكنيسة أقامهم المسيح لرعايتها وخيرها ؟ أما ما يتدفع به الأخوة البليموثيون من قول السيد لتلاميذه « من أراد أن يكون فيكم عظيما فليكن لكم خادما » فهذا ما يفترض وجود أكبر وأصغر في الكنيسة ومع ذلك يعلمهم المسيح أن لا يكونوا كالأمم في طلب الرئاسة والعظمة الدنيوية والآبهة العالمية ، وإنما يعلمهم أن يكونوا خدما متواضعين مع الرعية • ولا يستعملون سلطانهم لفائدة انفسهم بل لخير الرعية ، وليعلم الجميع أن العظمة الحقيقية هي في التواضع والخدمة والتضحية •

الاعتراض الرابع - يزعم الاصلاحيون الذين يجيزون تأدية النساء للخدم الدينية أن الكتاب يساعدهم على زعمهم هذا اذ يستندون على قول يوثيل النبي « انى أسكب روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاما ويرى شبابكم رؤى » (يو ٢ : ٢٨) وما جاء في سفر الأعمال من أنه كان لقيلبس المبشر أربع بنات عنارى يتنبان (أع ٢١ : ٩) وما قاله بولس الرسول « أما كل امرأة تصلى أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها » (١ كو ١١ : ٥) مستنتجين من ذلك أنه يجوز للنساء الوعظ والتعليم وتأدية الخدم الدينية في الكنيسة

ونرد عليهم بأن ظهور النساء في وسط الرجال لتعليمهم ينافي الحشمة والآداب المسيحية • أما ما يردونه من الآيات فلا يفيدهم شيئا لاثبات مدعاهم لأن كلمة تنبأ تدل في الكتاب على معنيين أحدهما الاخبار بالمستقبل بوحي الروح القدس ، ثانيهما تفسير الاسرار وتاويل كلام الله • فالامر الأول ليس خاصا بالكهنة ، وإنما هو هبة تعطى من الله لكثير من خدام الدين • للرجال وللنساء • فدواد وايليا واشعيا وكثيرون غيرهم لم يكونوا كهنة ومع ذلك

كانوا يتنبأون ، أى يخبرون عن الأمور المستقبلية بوحى الروح القدس . وهذا ما يشير اليه يوثيل النبى ، وأما النبوة بمعنى تفسير كلام الله والوعظ فى الكنيسة بصورة رسمية لأجل تعليم الشعب ، فهذا مقرر على خدام الدين دون غيرهم . وقد زجر بولس الرسول النساء بأن يصمتن فى الكنيسة ولا ترفع امرأة صوتها فيها بقوله « لتصمتن نساؤكم فى الكنائس لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضا ولكن ان كن يردن أن يتعلمن شيئا فليسالن رجالهن فى البيت لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم فى كنيسة » (١ كو ١٤ : ٣٤ و ٣٥) وقوله « لتتعلم المرأة فى سكوت فى كل خضوع . ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل بل تكون فى سكوت . لأن آدم جبل أولا ثم حواء وآدم لم يفو لسن المرأة اغويت فحصلت فى التعلق » (١ تى ٢ : ١١ - ١٤)

ونختم هذا الفصل بإيراد ما جاء فى آخر النبذة التى أشرنا اليها سابقا التى وضعها اساقفة الكنيسة الانكليزية لرد الاعتراضات على الخلاقة الرسولية وهى كما يأتى : -

[كثيرون يعارضون فى تعاليم الخلاقة الرسولية رغما عما ذكرناه من أقوال الكتاب المقدس فيقولون :

أولا - ان كل المسيحيين هم كهنوت مقدس وجنس مختار (١ بط ٢ : ٥ و ٩) [كونوا انتم أيضا مبنيين كحجارة حية بيتا روحيا كهنوتا مقدسا لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح . وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى أمة مقدسة شعب اقتناء الكى تخبروا بفضائل الذى دعاكم من الظلمة الى نوره العجيب] ويبنون على ذلك عدم وجود تمييز بين الشعب للمسيحي وأنه لا يوجد اكثيروس مخصوص . فالجواب على ذلك أنه هو عين ما قاله قورح لموسى وهارون كل الجماعة مقدسة [فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما كفاكما . ان كل الجماعة بأسرها مقدسة وفى وسطها الرب فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب] (عدد ١٦ : ٣) وأن الله قال أنتم لى كهنوت ملوكى (خر ١٩ : ٦) [وأنتم تكونون لى مملكة وكهنة وأمة مقدسة] . وبني قورح على ذلك أن له حق فى الكهنوت مثل هارون فعاقبه الله بالموت . ويعلمنا يهوذا الرسول ان كثيرين يرتكبون خطية قورح (يهو ١ : ١١) [ويل لهم لانهم سلكوا طريق قايين وأنصبوا الى ضلالة بلعام وهلكوا فى مشجرة قورح] فبناء على هذا لا يمكن أى طائفة من البروتستانت لها رعاة (ويندر من ليس لهم رعاة) أن تلتفح عن نفسها بهذا الاحتجاج الباطل . وحتى لو فرضنا أن احتجاجهم صحيح فانهم أنفسهم يميزون ما بين الرعاة والشعب وما رأيهم فى قول الانجيل ان المسيحيين يدعون ملوكا وكهنة (رؤ ١ : ٦) [وجعلنا ملوكا وكهنة لله أبية له المجد والسلطان] (رؤ ٥ : ١٠) [وجعلتنا لالهنا ملوكا وكهنة فسنملك على الأرض] فهل هذا يعنى أن كل انسان يعتبر فى منزلة الملك ؟

ومع أنه كان واحد يكفي إلا أن العادة قد جرت بذلك لكي إذا اجتمع ثلاثة أساقفة القسمة أسقف جديد وكان أثنان منهم ليسا حقيقيين وكان الثالث حقيقيا فتصبح القسمة صحيحة . أما موت القسوس الذين يكونون قد كرسهم الأساقفة غير الحقيقيين فلا ضرر من ذلك وهكذا استمرت الخلافة الرسولية تتقوى بإضافة كل أسقف جديد إليها حتى أنه يتعسر جدا انقراضها . فهي لا تشبه سلسلة مركبة من حلقات منفردة إذا انكسرت حلقة منها تنقطع وتتلف بل هي كجديلة مركبة من آلاف الحلقات المجدولة بعضها ببعض . أو التي كل حلقة منها ترتبط بثلاث حلقات أخرى أو أكثر بحيث يمكن أن تنكسر جملة حلقات بدون أن تتلف الجديلة .

رابعاً - يقولون انه ليس من الرحمة أن نجحد الطقوس والخدمة من رجال صالحين أتقياء بنين قسوس البروتستانت .

فالجواب على ذلك أن هذا هو عين ما يفوله الوثنيون عندما يقال لهم إذا لم تؤمنوا بالمسيح فلا تخلصوا فانهم يجاوبون قائلين ان رحمة الله وإهمسة ولا تنحصر في شيء واحد . ولكن المحبة والرحمة الحقيقية هي قول الحق ، وإذا كان أناس عندهم نية صالحة ولكنهم يغشون أنفسهم والآخرين بكونهم يتقلدون وظائف لا تخصصهم فأعظم شفقة عليهم هي تحذيرهم من ضلالهم . وفي الواقع أن الكنيسة تعتبر رعاة البروتستانت بنفس اعتبارهم لأنفسهم فانهم أولا لا يدعون أنهم مرسلون من الله وثانيا لا يتجاسرون على تقديم ذبيحة جسد المسيح ودمه ، ولا على حل وربط الخطايا . وبما أن هذا هو اعترافهم وعدم ايمانهم بالأسرار وسلطان الكنيسة التي هي من أخص مزايا رتبة القسوسية فقد حكموا بأنه لا حق لهم في هذه الرتبة الدينية . وهذا لا يمنع أن يأتوا أعمالا خيرية أو يقوموا بتعليم أو بوعظ بطرقهم غير النظامية .

خامساً - يقولون حتى ولو سلمنا بأن الخلافة الرسولية هي حقيقية وواضحة فلا يهم وجودها بين الجماعة ما دامت الكرازة بالانجيل جارية بمعرفة رجال أتقياء ، فالتقوى هي الخلافة الرسولية الحقيقية ولا لزوم لشيء خلافا .

فالجواب على ذلك نقول « ان الانجيل يقضى علينا باطاعة المسيح وخدمته عوضا أن نصنع مثل الذين يجمعون لأنفسهم معلمين مستحكة آذانهم (٢ تيموثاوس ٤ : ٣) » لأنه سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح بل حسب شهواتهم يجمعون لأنفسهم معلمين مستحكة مسامعهم « وهكذا الناس الذين ينتخبون رعاتهم يفضلون أنفسهم على بيعة الله . وأما من جهة التقوى فلا دخل لها في مادة الأحقية ، فان أولاد عالي رئيس الكهنة كانوا رجالا أشرار ومع ذلك كانوا كهنة حقيقيين (١ صموئيل ٢ : ١٢) » وكان بنو عالي بنى

بليعال لم يعرفوا الرب ، وكذلك يهوذا الاسخريوطى كان شريرا ومع ذلك كان رسولا حقيقيا (يوحنا ٦ : ٧٠) و « أجابهم يسوع أليس أنا اخترتكم اثني عشر وواحد منكم شيطان » فهل كان يمكن لأحد أن يقيم نفسه كاهنا أو رسولا بدعوى أنه أحسن من حفتى أو فنجاس أو يهوذا الاسخريوطى كلا فإنه لا ينتج عن التمدق عمل صالح . نعم قد يكون من بين الخدام، أشرار ولكن لا تقدر التقوى وحدها أن تصير صاحبها راعيا شرعيا وتفرضه على الكنيسة ، كما أن حسن التبصر ومعرفة الشرائع لا تكفيان لجعل رجل قاضيا للمدينة بدون أمر من السلطان . وبناء على ما ذكر لا تقدر التقوى على اغتصاب الوظائف التي لم تمنح حسب الأصول وبالأجمال : -

أولا - الخلافة الرسولية هي حسب تعاليم الكتاب المقدس

ثانيا - الخلافة الرسولية هي عادة اتبعتها الكنيسة بأسرها

ثالثا - الخلافة الرسولية ليست ضد الرحمة والمحبة .

رابعا - الخلافة الرسولية تعتبر ضرورية عند كل الذين لا يريدون نسخ الشرائع ولا مقاومة رؤساء كنيسة المسيح .

بليعال لم يعرفوا الرب ، وكذلك يهوذا الاسخريوطى كان شريرا ومع ذلك كان رسولا حقيقيا (يوحنا ٦ : ٧٠) و « أجابهم يسوع أليس أنا اخترتكم اثني عشر وواحد منكم شيطان » فهل كان يمكن لأحد أن يقيم نفسه كاهنا أو رسولا بدعوى أنه أحسن من حفتى أو فنجاس أو يهوذا الاسخريوطى كلا فإنه لا ينتج عن التمدق عمل صالح . نعم قد يكون من بين الخدام، أشرار ولكن لا تقدر التقوى وحدها أن تصير صاحبها راعيا شرعيا وتفرضه على الكنيسة ، كما أن حسن التبصر ومعرفة الشرائع لا تكفيان لجعل رجل قاضيا للمدينة بدون أمر من السلطان . وبناء على ما ذكر لا تقدر التقوى على اغتصاب الوظائف التي لم تمنح حسب الأصول وبالأجمال : -

أولا - الخلافة الرسولية هي حسب تعاليم الكتاب المقدس

ثانيا - الخلافة الرسولية هي عادة اتبعتها الكنيسة بأسرها

ثالثا - الخلافة الرسولية ليست ضد الرحمة والمحبة .

رابعا - الخلافة الرسولية تعتبر ضرورية عند كل الذين لا يريدون نسخ الشرائع ولا مقاومة رؤساء كنيسة المسيح .

الفصل الخامس

درجات الكهنوت الثلاث وترتيبها من الله

يتضح لنا من الانجيل أن درجات الكهنوت ثلاث : الأولى درجة الأسقف وهي العليا ، والثانية درجة القس وتخضع للأولى ، والثالثة درجة الشماس وهي الأخيرة

واليك الأدلة على ذلك : -

أولا - من الكتاب المقدس - حيث نجد الامتياز الواضح لرتبة الأسقف عن رتبة القس ، فان الرسل الأطهار أعطوا الأساقفة سلطانا وامتيازاً خاصاً عن القسوس ، لأنهم منحوهم حق إقامة القسوس ووضع اليد عليهم ، كما قال بولس الرسول لتلميذه تيطس « من أجل هذا تركتك في كريت لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة شيوخاً (قسوساً) كما أوصيتكم ، (تي ١ : ٥) وأمرهم بعدم الإسراع في وضع اليد « لا تضح يداً على أحد بالعجلة ولا تشترك في خطايا الآخرين ، (١ تي ٥ : ٢٢) كما أعطوهم حق محاكمتهم حسب قول الرسول لتلميذه تيموثاوس « لا تقبل شكاية على شيخ (قس) الا على شاهدين أو ثلاثة شهود ، الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع لكي يكون عند الباقيين خوف ، (١ تي ٥ : ١٩ و ٢٠) وأعلنوا حق مكافاتهم « أما الشيوخ (القسوس) المدبرون حسناً فليحسبوا أهلاً للكرامة مضاعفة ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم ، (١ تي ٥ : ١٧) »

أما أما تسمية القسوس أحياناً بالأساقفة ، أي رقباء ونظار ومحافظون على الشعب (لأن كلمة أسقف في اليونانية « أبيسكوبوس » معناها ناظر أو رقيب أو محافظ ، وكلمة قس باليونانية « بريسفيتيروس » ومعناها شيخ) فذلك لا يلغى الامتياز الجوهرى بين الرتبتين ، لأن الرسل سبوا أنفسهم بتلك الأسماء فقد قال بطرس الرسول « أطلب إلى الشيوخ (القسوس) الذين بينكم أياً الشيخ (القس) رفيقهم ، (١ بط ٥ : ١) وقال يوحنا الرسول « الشيخ (١) إلى كيرية المختار ، (٢ يو ١ : ١ ، ٣ يو ١ : ١) »

قال القديس ابيفانيوس أسقف قبرص « انه لا يمكن أن يكون القس

(١) يعنى من الشيخ .

والأسقف متساويين ، وقد علم الكتاب الالهى ما هو الأسقف وما هو القس بقوله لتيموثاوس « لا تزجر شيخا » وفي محل آخر « لا تقبل شكوى على قس الا بشهادة اثنين أو ثلاثة » (ضد الهرطقة ك ٣ هرطقة ٧٥ : ٥) والبرهان على أن الرسل القديسين علموا أن درجة الاسقف غير درجة القس هو أن تلاميذ الرسل جميعهم فهموا ذلك وعلموه في أقوالهم كما يأتى

ثانيا - ان خلفاء الرسل الذين تسلموا التعاليم من الرسل أنفسهم ، وقبلوا الكهنوت من أيديهم علموا هذا التعليم : قال القديس اكليمنضس أسقف رومية تلميذ بطرس الرسول « انه يجب علينا أن نعمل كل ما أمرنا به سيدنا في أوقاته المعينة بالترتيب ، وأن نتمم القرايين والخدم التى أمر أن تصير لا كيفما اتفق وبلا ترتيب ، بل في أوقات وساعات معينة وقد حدد أيضا بمشيئته السامية أين ومن يريد أن تتم ، لكى يكون كل ما يصير ببر مقبولا لدى مشيئته حاصل على تعطفه . فالذين يقدمون قرايبتهم في اوقاتها المعينة هم مقبولون عنده ومغبوطون . فانهم اذ تبعوا شرائع الرب لا يخطأون لان « رئيس الكهنة » اعطيت له خدم خصوصية و « للكهنة » تعين مكان خصوصى و « اللاويون » (اى الشماسية) لهم خدم خصوصية ، واما العامى فانما هو مرتبط بالاوامر المتعلقة بالعوام » (رسالة الى أهل كورنثوس فصل ٤٠) وقد أوضح القديس اغناطيوس تلميذ يوحنا الرسول هذه المسألة بأكثر ايضاح حيث قال فى رسالته الى أهل أفسس « ان الاساقفة قد تعينوا الى اقاصى الارض بحسب مشيئة يسوع المسيح » (فصل ٣) وقال فى رسالته الى أهل أزمير « اتبعوا الاسقف كلكم كما يتبع يسوع المسيح أباه ، واتبعوا الكهنة كالرسل ، وأكرموا الشماسية حسب وصية الله » (فصل ٨) وقال فى رسالته الى أهل مغنيسيا « أتوسل اليكم أن تعملوا كل شىء بسلام الله تحت رياسة الاسقف حيث مكان الله ذاته ، والكهنة حيث مضاف الرسل ، والشماسية المحبوبين منى جدا الذين أؤتمنوا على خدمة يسوع المسيح » (فصل ٦)

ثالثا - ان رؤساء الكنائس وعلماءها فى القرون الأولى يذكرون هذا الترتيب فى درجات الكهنوت . قال القديس ايريناوس « جميع المخالفين لتعليم الكنيسة قد ظهروا متأخرين كثيرا عن هؤلاء الاساقفة الذين أؤتمنوا من الرسل على الكنائس » (ضد الهرطقة ٥ : ٢٠) وقال العلامة تروتوليانوس « قد تخصص حق التعميد بالكهنة الاعظمين (الاساقفة) ثم أعطى للكهنة والشماسية فقط ولكن ليس من دون اذن الأسقف » (فى المعمودية فصل ١٧) وقال العلامة أوريجانوس « يطلب منى انا القس أكثر مما يطلب من الشماس ومن الشماس أكثر من العامى ، ولكن الذى يضبط بيده السلطة الكنسية يطلب منه أكثر منا .كلنا » (مقالة ١١ على ارميا فصل ٣) .

رابعا - القوانين الرسولية وقوانين المجامع المسكونية والملكانية تبين هذه الحقيقة ، اذ تذكر الواجبات التى على كل من أصحاب هذه الدرجات ، الاساقفة

والقسوس والشمامسة . فقد جاء في قانون ١٥ من قوانين الرسل « كل قس أو شماس أو أحد المعدودين من الاكليروسيين عموما يترك محل سكناه وينتقل الى ابروشية أخرى بقصد السكنى الدائمة بدون رأى أسقفه نأمر بأن يقطع ، خصوصا اذا استدعاها أسقفه ولم يقطع » وجاء في قانون ٣١ « كل قس احتقر أسقفه وأقام الصلاة منفصلا عنه وبني مذبحا آخر من دون أن يثبت على الأسقف شيئا لا يوافق الأيمان والبر فليقطع اذ هو محب الرياسة » وجاء في قانون ٢٩ « لا يجوز للقسوس والشمامسة أن يفعلوا شيئا البتة من غير رأى أسقفهم ، لأنه هو المؤمن على شعب الرب وهو العتيد أن يحاسب عن أنفسهم » وجاء في قانون ١٨ من قوانين المجمع المسكونى الأول « ليلبت الشمامسة ضمن حدودهم عالمين أنهم خدام للأسقف وأقل من القسوس » وقانون ٥٦ و ٥٧ من قوانين مجمع اللاذقية يأمر القسوس بعدم تقدمهم على أسقفهم ووجوب انقيادهم له ، وغير ذلك من القوانين .

خامسا - وما يثبت سمو درجة الاسقفية وأمتيازها عن درجة القس ، وأنها مقامة من الله تعالى ولها سلطان ورياسة في الكنيسة ، الجداول القديمة لاسماء الأساقفة الأولين في كنائس رسولية عديدة . وقد كانت هذه الجداول قديما سلاحا في وجه الهرطقة ، فقد قال القديس ايريناوس « يمكننا أن نعد الأساقفة الذين حكموا في الكنائس من عصر الرسل وأن نحصى خلفاهم أيضا حتى أيامنا هذه » وأوسابيوس المؤرخ الكنسى الشهير حفظ جداول قديمة عن سلسلة الخلافة لأساقفة كنيسة كورنثوس ورومية وأورشليم وبين فهرس أساقفة الكنائس القديمة (كتاب ٤ فصل ٢٢٥)

سادسا - ما ذكرناه في الفصول السابقة من شهادة موسهيم المؤرخ البروتستانتي وما هو واضح في تاريخ الكنيسة منذ العصور الأولى يثبت أن الدرجات الكهنوتية كانت ولا تزال ثلاث ، وهى أسقف وقس وشماس وأنها رتبت في الكنيسة بسلطان الهى وأن هذه الرتب أشبه شيء برتب الملائكة كما قال القديس اكليمنطس الاسكندري « ان درجات الأسقف والكهنة والشمامسة تشبه بحسب رأى المجد الملائكى » (في البديعيات ٦ : ١٣) لأن رتب الملائكة ثلاث وكل رتبة منها ثلاثة أصناف . فالرتبة الأولى تشمل الكروبيم (خر ١٠ : ١٨) والسرافيم (أش ٦ : ٢) والعروش (كو ١ : ١٦) والرتبة الثانية تشمل الرياسة والسادات والسلطين (كو ١ : ١٦) والرتبة الثالثة تشمل القوات (١ بط ٣ : ٢٢) والملائكة ورؤساء الملائكة (رو ٨ : ٣٨ ، ١ تس ٤ : ١٦) وعلى هذا المثال رتبت الدرجات الكهنوتية الثلاث . فالأولى وهى الأسقفية تشمل وظائف البطريرك والمطران والأسقف : والثانية وهى القسيسية تشمل وظائف الحوربييسكوبوس والايفومانوس والقس والثالثة وظيفه الشماسية تشمل الابودياكون (أى معين الشماس) والأغنسطس (القارىء) والأبصلتس (المرتل) .

الفصل السابع

القسم المنظور من سر الكهنوت وفعله غير المنظور

وعند اعادته

ان القسم المنظور من سر الكهنوت يتالف من امرين :

١ - وضع اليد ٢ - الصلاة

ونرى هذين الأمرين واضحين في الكتاب في سيامة الأساقفة والقسوس والشمامسة (راجع ١ تي ٤ : ١٤ ، ٥ : ٢٢ ، ٢ تي ١ : ٦ ، أع ٦ : ٦) كذلك جميع القوانين الرسولية فانها تقرر وضع اليد ، فقد جاء في هذه القوانين « أيها الأسقف عندما تشرطن قسا وضع يدك على رأسه » (كتاب ٨ : ١٦ و ١٧) وكذلك المجامع المسكونية والمكائنية فانها تعلم هذا التعليم ، وجمع آباء الكنيسة ومعلموها يصرحون أن سيامة الأسقف أو القس أو الشماس لا تتم الا بوضع اليد . ووضع اليد كان مصحوبا بالصلاة دائما كما جاء في سفر الأعمال عن الذين اختاروهم « الذين أقاموهم أمام الرسل فصلوا ووضعوا عليهم الأيدي » (أع ٦ : ٦) وبولس وبرنابا عندما كانا يثبتان ويشددان التلاميذ « انتخبنا لهم قسوسا في كل كنيسة ثم صلينا بأصوام واستودعاهم الرب » (أع ١٤ : ٢٣) ولاتزال الكنيسة سائرة على هذه الطريقة الموضوعية من الرسل وتستعمل ذات الصلوات التي كانت تستعمل منذ القديم .

أما نتيجة سر الكهنوت غير المنظورة في المشرطن (الموضوع عليه اليد) فهي أنه يقبل بهذا السر مفعولين : أولهما الوسم ، وثانيهما النعمة . فالوسم هو السمة التي يرسمها سر الكهنوت في نفس من يناله ، وهذه السمة دائمة لا تمحى (راجع ما ذكرناه عن الوسم عند كلامنا في مفعول الأسرار ص ١٨ - ٢١) . أما النعمة فهي الهبة التي ينالها المشرطن من الله ، المناسبة لخدمته التي انتدب اليها وهي نعمة الكهنوت . وقد أشار الرسول بولس الى هذه الموهبة بقوله لتلميذه تيموثاوس « ولا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدي المشيخة » (١ تي ٤ : ١٤) « أذكرك أن تضرم أيضا موهبة الله التي فيك بوضع يدي » (٢ تي ١ : ٦) وقال القديس يوحنا ذهبي الفم « انى أذكرك أن تذكى موهبة الله التي فيك بوضع يدي ، يعنى هنا نعمة الروح التي نالها الرؤساء لرياسة الكنيسة وللآباء ولكل العباداة فانها في يدهم

الفصل السابع

القسم المنظور من سر الكهنوت وفعله غير المنظور

وعند اعادته

ان القسم المنظور من سر الكهنوت يتالف من امرين :

٢ - الصلاة

١ - وضع اليد

ونرى هذين الأمرين واضحين في الكتاب في سيامة الأساقفة والقسوس والشمامسة (راجع ١ تي ٤ : ١٤ ، ٥ : ٢٢ ، ٢ تي ١ : ٦ ، أع ٦ : ٦) كذلك جميع القوانين الرسولية فانها تقرر وضع اليد ، فقد جاء في هذه القوانين « أيها الأسقف عندما تشرطن قسا وضع يدك على رأسه » (كتاب ٨ : ١٦ و ١٧) وكذلك المجامع المسكونية والمكائنية فانها تعلم هذا التعليم ، وجمع آباء الكنيسة ومعلموها يصرحون أن سيامة الأسقف أو القس أو الشماس لا تتم الا بوضع اليد . ووضع اليد كان مصحوبا بالصلاة دائما كما جاء في سفر الأعمال عن الذين اختاروهم « الذين أقاموهم أمام الرسل فصلوا ووضعوا عليهم الأيدي » (أع ٦ : ٦) وبولس وبرنابا عندما كانا يثبتان ويشددان التلاميذ « انتخبنا لهم قسوسا في كل كنيسة ثم صلينا بأصوام واستودعاهم الرب » (أع ١٤ : ٢٣) ولاتزال الكنيسة سائرة على هذه الطريقة الموضوعية من الرسل وتستعمل ذات الصلوات التي كانت تستعمل منذ القديم .

أما نتيجة سر الكهنوت غير المنظورة في المشرطن (الموضوع عليه اليد) فهي أنه يقبل بهذا السر مفعولين : أولهما الوسم ، وثانيهما النعمة . فالوسم هو السمة التي يرسمها سر الكهنوت في نفس من يناله ، وهذه السمة دائمة لا تمحى (راجع ما ذكرناه عن الوسم عند كلامنا في مفعول الأسرار ص ١٨ - ٢١) . أما النعمة فهي الهبة التي ينالها المشرطن من الله ، المناسبة لخدمته التي انتدب اليها وهي نعمة الكهنوت . وقد أشار الرسول بولس الى هذه الموهبة بقوله لتلميذه تيموثاوس « ولا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدي المشيخة » (١ تي ٤ : ١٤) « أذكرك أن تضرم أيضا موهبة الله التي فيك بوضع يدي » (٢ تي ١ : ٦) وقال القديس يوحنا ذهبي الفم « انى أذكرك أن تذكى موهبة الله التي فيك بوضع يدي ، يعنى هنا نعمة الروح التي نالها الرؤساء لرياسة الكنيسة وللآباء ولكل العباداة فانها في يدهم

أن يطفئوها أو يذكوها » (تفسيره على ٢ تي ١ : ٢) وقال القديس أيضا
 « لو أفكر أحد بأنه يستطيع الدنو من تلك الطبيعة المغموطة النقية لكان يرى
 جيدا الى أي كرامة أهلت نعمة الروح الكهنة ، لأنه بهم تتم هذه وغيرها مما
 لا بديل لها في أمر وظيفتنا وخلصنا . فان رجالا ساكني الأرض وسالكين
 فيها نيط بهم أن يسوسوا ما في السموات ، ونالوا سلطانا لم يعطه الله
 للملائكة ولا لرؤسا الملائكة » (في الكهنوت ٣ : ٥) وقال القديس غريغوريوس
 النيسى « ان قوة الكلمة عينها تجعل الكاهن وقورا ومكرما بالبركة الجديدة اذ
 ينفصل عن الجماعة الكثيرة (الشعب) لأنه كان أمس وقبل واحداً من الكثيرين
 ومن الشعب ، فصار حالا دفعة واحدة متقدما ومعلما للايمان وكاتما للاسرار
 الخفية . وهذا كله يصنعه من دون أن يتغير شيء في جسده أو هيئته . بل وهو
 لم يزل في الظاهر كما كان تتغير نفسه غير المنظورة في ما هو أفضل بقوة ونعمة
 غير منظورتين » (على معمودية المسيح ١٠)

ونعمة الكهنوت تمنح على درجات متنوعة للمشرطنين . فالشماس ينالها
 بدرجة أقل . والقس ينالها بدرجة أرفع منه . والأسقف ينالها بدرجة أصمى ،
 وذلك بنسبة الدرجة التي ينالها كل من أصحاب هذه الدرجات .

أما من جهة عدم إعادة وضع اليد مرة ثانية على المشرطن فذلك الأنسا
 أوضحنا بأن السر يمنح صاحبه السمة ويطبعها فيه طبعا لا يمحي ، وعليه
 لا يجوز إعادة السر بوجه من الوجوه . وقد قال قانون ٦٨ من قوانين الرسل
 « كل أسقف أو قس أو شماس ينال الشرطونية ثانية من أحد يقطع هو والذي
 شرطته » وجاء في قانون ٣٥ من قوانين مجمع قرطاجنة وقانون ٥٧ منه أيضا
 « لا يسمح بإعادة المعمودية وإعادة الشرطونية أو نقل الأساقفة »

الفصل الثامن

خادم سر الكهنوت

ان خادم سر الكهنوت هو الأسقف وحده الذي له حق الشرطونية (وضع اليد) وهذا واضح مما يأتي : -

أولا - من الكتاب المقدس حيث يتضح أن الرسل وحدهم كانوا يقيمون الأساقفة والقسوس والشمامسة وأعطوا هذا السلطان لخلفائهم الأساقفة من بعدهم . فقد وضعوا اليد على أساقفة (٢ : ١ : ٦) وعلى قسوس (اع ١٤ : ٢٢ ، ٢٣) وعلى شمامسة (اع ٦ : ٥) وبولس الرسول قال لتيطس أسقف كريت « من أجل هذا تركتك في كريت لكي تكمل الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة شيوخا (قسوسا) كما أوصيتك » (تي ١ : ٥) وقال لتيموثاوس أسقف أفسس « لا تضع يدا على أحد بالعجلة ولا تشترك في خطايا الآخرين » (١ تي ٥ : ٢٢) أما قول بولس الرسول - مع وضع أيدي المشيخة - فقد شرحها القديس يوحنا ذهبى الفم بقوله : « ان كلمة بريسفيتريون (التي اصطلح على ترجمتها بالقسوس أو المشيخة) فإنها تدل على جمعية رعاة الكنيسة الذين كان أحدهم بولس الرسول . لا على القسوس فقط فلم يقل عن القسوس بل عن الأساقفة . لأن القسوس لم يكونوا يشرطون الأسقف » (مقالة ١٣ : ١ على ١ تي)

ثانيا - من القوانين الرسولية والجمعية فان قانون ١ من قوانين الرسل يقول « الأمتقف يشرطن من أسقفين أو ثلاثة » وقانون ٢ منها يقول « القس والشمامس وسائر الاكليروس يشرطون من أسقف واحد » وقانون ١٩ من قوانين المجمع الأول المسكونى المجتمع في نيقية حدد أن يسام الاكليروس من أسقف الكنيسة ، وقانون ٩ من قوانين مجمع انطاكية فوض للأسقف أن يشرطن قسوسا وشمامسة ويقضى كل الأعمال بتدقيق .

ثالثا - ان آباء الكنيسة في تعاليمهم يعلنون هذه الحقيقة ، فقد قال القديس يوحنا ذهبى الفم « ان الاساقفة يسمون (١) عن القسوس بالشرطونية فقط وبها وحدهما يظهر أنهم يمتازون عنهم » (على ٢ تي مقالة ١٠ : ١) وقال القديس ابيفانيوس « ان درجة الاساقفة تمتاز بنوع خصوصى بأنهم يلدون آباء . لأن تكثير الآباء في كنيسة المسيح يختص بالأساقفة . وأما الرتبة الثانية (الكهنة) فلا يمكنها أن تلد آباء أو معلمين . وكيف يمكن أن يشرطن كاهن كاهنا آخر وليس له سلطة الشرطونية ؟ » (حرطقة ٧٥ : ٤) وقال القديس ايرونيوس « ماذا يعمل الأسقف ولا يعمل القس خلا الشرطونية » (رسالة ٨٥)

(١) يعنى « يميزون »

الفصل التاسع

الدعوة الى الرتبة الكهنوتية وعلاماتها

ومؤهلات المدعوين اليها

بما أن الدرجة الكهنوتية درجة سامية وشريفة ، فقد أمر الله تعالى أن لا يدنو منها ويقتربها الا من كان مستحقاً لها ، بناء على دعوة الهية . وهذه الدعوة واضحة في الكتاب المقدس من النصوص الآتية : -

ففي العهد القديم . قال الرب « وتخدمون خدمة . عطية أعطيت كهنوتكم والاجنبي الذي يقترب يقتل » (عدد ١٨ : ٧) وقوله « من أرسل ومن يذهب من اجلنا . فقلت هاانذا ارسلني » (اش ٦ : ٨) وقوله « روح السيد الرب على لان الرب مسحني لأبشر المساكين . أرسلني الأعصب منكسرى القلب » . (اش ٦١ : ١) وقوله لارميا « قبلما خرجت من الرحم قدستك . جعلتك نبيا للشعب . فقال الرب لي لا تقل اني ولد لأنك الى كل من أرسلك اليه تذهب بأحلام كاذبة يقول الرب . وأنا لم أرسلهم ولا أمرتهم . فلم يفيدوا هذا الشعب فائدة يقول الرب » (ار ٢٣ : ٣٢)

وفي العهد الجديد قال المخلص لتلاميذه « كما أرسلني الأب ارسلكم أنا » (يو ٢٠ : ٢١) وقال لهم « ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم » (يو ١٥ : ١٦) وقال أيضا « الحق الحق أقول لكم ان الذي لا يدخل من الباب الى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص . وأما الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف الخ » (يو ١٠ : ١ - ٥) وقوله « اطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة الى حصاده » (مت ٩ : ٢٨) وينتم ذلك بفعل روح الله القدوس . بدليل ما جاء في سفر الأعمال (١٣ : ٢) « وبينما يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما اليه » وقول الرسول بولس « احترزوا اذا لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها اساقفة لترعوا كنيسة الله » (أع ٢٠ : ٢٨) وقوله « الكرازة التي أوتمنت أنا عليها بحسب امر مخلصنا الله » (تي ١ : ٣) وقوله « الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة » (٢ تي ١ : ٩) وقوله « كيف يكرزون ان لم يرسلوا » (رو ١٠ : ١٥) وقوله « لا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هرون » (عب ٥ : ٤) لأن خدمة الكهنوت خدمة سماوية ، خدمة أسرار تشتهي الملائكة أن تطلع عليها . وقال عنها القديس يوحنا ذهبي الفم « خدمة لم يعطها الله للملائكة ولا لرؤساء الملائكة . وقد سميت هذه الخدمة خدمة الروح (٢ كو ٣ : ٨) وخدمة البر وخدمة المصالحة (٢ كو ٣ :

٩ ، ٥ : ١٨) وسمى الرعاة ملائكة رب الجنود (ملا ٢ : ٧ ، رؤ ٢ : ١)
 وخدام الله لبناء بيت الله (١ كو ٣ : ٥ - ١٠ ، ٤ : ١) وملح الأرض (مت ٥ : ١٣)
 ونور العالم (مت ٥ : ١٤) وسراج موقد على منارة (مت ٥ : ١٥)
 و ١٦) وهكذا من الأسماء الشريفة والألقاب السامية الدالة على شرف وعظمة
 هذه الرتبة لذلك أقتضى الأمر أن لا يقبل أحد الى هذه الدرجة المقدسة الا بناء
 على دعوة الهية ، والرب يسوع المسيح نفسه المناخر فيه كل كنوز الحكمة
 والعلم الذى به كان كل شيء ويغيره لم يكن شيء مما كان ، قيل عنه انه انتدب
 الى الكهنوت حسب قول الرسول . كذلك المسيح أيضا لم يمجده نفسه ليصير
 رئيس كهنة بل الذى قال له أنت ابنى أنا اليوم ولدتك . وكما يقول فى
 موضع آخر أنت كاهن الى الأبد على رتبة ملكى صادق . (عب ٥ : ٥ و ٦)
 وهو له المجد خصص الكلام فى أشعياء القائل « روح السيد الرب على لأن
 لأترب مسحنى » (اش ٦١ : ١) بدعوته الى بشارة الانجيل . وعند
 معموديته انفرزا خاصا لعمله لما حل الروح القدس عليه (مت ٣ : ١٦)
 و ١٧) وتشبنت دعوته بالصوت الآتى من الآب على جبل التجلى بقوله تعالى
 « له اسمعوا » (مت ١٧ : ٥) وكما قال القديس كبريانوس « هل يمكن أن
 يوجد أحد جسور حتى أنه يروم الحصول على الكهنوت من تلقاء نفسه ومن
 دون أن يدعوه الله » لذلك كان أكثر الآباء القديسين يهربون من قبول هذه
 الرتبة ويفرون من مسئولياتها .

فالذين يختارهم الله للكهنوت ينتدبهم ويدعوهم ليكونوا خداما له كما
 قيل فى سفر العدد الذى « يختاره يقربه اليه » (٦ : ٥) قال القديس أفرايم
 السريانى « ان من تجاصر وصار كاهنا من غير أن يدعوه الله يهلك » فبالجسارة
 أولئك الذين يجترئون ويسعون للحصول على درجة الكهنوت وهم غير أكفاء
 لها وغير مدعويين اليها ويظنونها مهنة يتعيشون منها أولئك يتم عليهم ما قاله
 الله عن الذين يبقون من أولاد على « ويكون أن كل من يبقى فى بيتك يأتى
 ليسجد له لأجل قطعة فضة ورغيف خبز ويقول ضمنى الى احدى وظائف
 الكهنوت لآكل كسرة خبز » (١ صم ٢ : ٣٦) . أمثال هؤلاء نصيبهم
 نصيب الأنبياء الكذبة الذين قال عنهم الرب « لم أرسل الأنبياء بل هم جروا .
 ثم أتكلتم معهم بل هم تنبأوا . ولو وقفوا فى مجلسى لأخبروا شعبي بكلامى
 وردوهم عن طريقهم الردى وعن شر أعمالهم . . هم أنبياء خداع قلبهم . .
 لذلك هانذا على الأنبياء يقول الرب الذين يسرقون كلمتى بعضهم من بعض . .
 والذين يأخذون لسانهم ويقولون . هانذا على الذين يتنبأون بأحلام كاذبة . .
 ويضلون شعبي بالكاذبهم وبمخاراتهم وأنا لم أرسلهم ولا أمرتهم فلم يفيدوا
 هذا الشعب فائدة يقول الرب » (حز ٢٣ : ٢١ - ٢٢) كل
 غوس لم يفرسه أبهى السماوى يقلع » (مت ١٥ : ١٣) .

ليس لنا اليوم صوت مسموع من الله يدعو به الانسان الى خدمته ، ولا يرسل اليها ملاكا لانتداب المدعو الى الكهنوت ، ولكن هذه الدعوة الالهية تعرف بطريقتين ظاهرة وباطنة . **فالظاهرة** هي تصديق الكنيسة وشهاداتها للالهية ، لانها تمنح السلطان الرسمي لهذه الخدمة . **وأما الباطنة** فهي صوت روح الله وقوته اللذان يؤثران في ارادة الانسان واقناعه حين يكون طالب هذه الخدمة مملوءا بالرغبة الشديدة والتصد الثابت في خدمة الله تعالى وخلاص النفوس ، علاوة على تجده بروح الله وحصوله على المؤهلات الكافية لهذه الخدمة . فاندعو من الله لخدمة الكهنوت يجب أن يكون محركا من الله لمجرد خدمة اسمه القدوس وليس لأجل طمع ، ولا لربح دنيوى ، ولا لمجد عالمى ، ويجب أن يكون مستعدا لأن يكرس ذاته لله ويضحى نفسه في خدمته وخدمة النفوس التى اشتراها المسيح بدمه

وأخص علامات الدعوة الالهية لهذه الدرجة هي :

١ - الميل القلبي للخدمة فان هذا الميل دليل على استعداد النفس للامور الروحية

٢ - المناسبة للخدمة روحا وعقلا وجسدا ، فان الله تعالى لا يدعو الى هذه الخدمة من ليس أهلا لها

٣ - الدعوة من كنيسة اذ يرى شعب تلك الكنيسة الصفات والمؤهلات فى شخص ، فيزكونه بعد أن يختبروه الخبرة التامة

٤ - بعض حوادث وأحوال من العناية الالهية تدل على موافقة الانسان لهذه الخدمة ، كما حصل فى قصة انتخاب القديس أمبروسىوس فان صفا الأسقف ولد سنة ٣٤٠ م من عائلة شريفة وكان واليا على ولاية ميلان ، وقد مات أسقفها الأريوسى وحدث شغب عظيم فى انتخاب خليفة له ، دخل أمبروسىوس الوالى ليهدىء الشعب ، فرجع ولد صوته قائلا أمبروسىوس أسقف !! فقبل الشعب ورفعوا أصواتهم علامة على قبولهم . ثم انتخبوه أسقفا ، ولم يقبلوا منه رفضه الشديد ، بل أجبروه على قبول درجة الاسقفية فصار أسقفا عظيما مشهورا ، وأبطل التعليم الأريوسى

وبناء على «ا تقدم تحترم الكنيسة جدا قداسة الخدمة الرعوية وكانت منذ القديم تهتم بالمرشحين الى الدرجات الكهنوتية وأسست لهم المدراس اللاهوتية لاعادتهم وتنقيفهم ولا تضع يدا على أحد منهم بالعجلة حسب اشارة بولس الرسول ، بل تفحصهم أولا فى قواهم الطبيعية والعقلية والأدبية : -

أولا - القوة الطبيعية - فان كنيسة العهد القديم كانت تشترط أن ينتخب الكاهن من الخالين من كل عيب جسدى ومن كل تشويه فى الأعضاء

مناسب ويخ انتهر عظ بكل اناة وتعليم . . . اجتمعت المشقات اعلم عمل
المبشر . تم خدمتك « (٢ تي ٤ : ٢ - ٥)

فبناء على نصوص الكتاب وقوانين الرهنل والمجامع لا ينتخب الى الوظيفة
الكهنوتية الا من كان عالما بالكتب المقدسة متضلعا في قوانين الكنيسة ، غير
حديث الايمان .

ثالثا - القوى الأدبية - ان نصوص الكتاب وقوانين الكنيسة تقرر أن
لا يقبل في الكهنوت الا الأشخاص المشهود لهم بالسيرة الحسنة والورع
والقداسة والايمان الحى . وقد أشار بولس الرسول الى ذلك بقوله لتلميذه
نيموثاوس « اجتهد أن تقيم نفسك لله مزكى عاملا لا يخزى مفصلا كلمة الحق
بالاستقامة » (٢ تي ١٥ : ٢) « لا يستهن أحد بحداثتك بل كن قدوة للمؤمنين
في الكلام في التصرف في المحبة في الروح في الايمان في الطهارة الى أن أجيء . . .
اعكف على القراءة والوعظ والتعليم . . . اهتم بهذا وكن فيه لكى يكون
تقدمك ظاهرا في كل شيء . لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك لأنك ان
فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضا » (١ تي ٤ : ١٢ - ١٦)

ولا يسع المجال هنا أن نذكر جميع نصوص الكتاب وأوامر المجامع وأقوال
الآباء عن شرف هذه الوظيفة وسموها ، والواجبات المطلوبة من الكهنة ،
والفضائل التى يجب أن يكونوا حاصلين عليها ، والاستعداد التام لقبول هذه
الدرجات المقدسة .

وحبا في الاختصار نورد هنا بعض أقوال الآباء الذين وضعو المؤلفات
الشمينة في هذا الصدد :

قال القديس **غريغوريوس الثاولوغوس** « لا يقدر أحد في العالم أن يعلم غيره
صناعة ان لم يكن هو قد درسها قبلا واطالها باننباه تام ، فكيف أذن ينخرط
البعض في الأكليروس ويقبلون الخدمة الرعوية من غير استعداد البتة . مع
أن ادارة النفوس صناعة من أهم الصنائع »

وقال القديس **غريغوريوس الكبير** « ان أولئك الذين خصهم الله بمواهب
سامية هم أسمنى من سواهم ويمتازون بميلهم الى خير الغير فهم أتقياء والفضل
في ذلك لفقهم . . . وأقوياء نتيجة امساكهم ، وميالون للجميع بقوة المحبة التى
تورث البرارة . فان دعى مثل هؤلاء الى خدمة الرعوية ورفضوها فيهلكون
مواهبهم التى خصهم الله بها ، فلا تصود تنفعهم ولا تنفع غيرهم ، لا سيما
الذين تخرجوا من مدارس لاهوتية ، عليهم أن يتذكروا قول الرب « الحصاد
كثير والفعلة قليلون ، وايضا لا تخفى مدينة مبنية على جبل ، ولا يوقد
سراج ويوضع تحت المكيال بل على المنارة ليضىء على كل الذين في البيت ،
ولذلك يقول الرسول بولس ان اشتهى أحد الأسقفية يشتمى عملا صالحا . . .
من عنده كل الصفات الملائكة لرعاية قطيع الله ولا يقبلها فهو لا يحب رئيس

الرعاة ، وبالعكس من يقبل على خدمة الكهنوت باستحقاق ، يبرهن بذلك على محبته لله والمقرب محبة تدفعه الى ان يبذل نفسه امام الله .

قال أيضا « ان على راعي الكنيسة ان يقف مع الملائكة وأن يسبح مع رؤساء الملائكة ، وأن يقدم الذبيحة على المذبح الذي هو في الأعلى ، وأن يقدر الأسرار مع المسيح وأن يعمل كل شيء للبنيان » وقال « انه لمشين للانسان أن يأخذ على عاتقه العمل المقدس ولا يتقدس كأن يقبل الى قدس الأقداس بأيدي غير نظيفة ونفس مدنسة . فكان خدمة الهيكل لا يعدون وظيفتهم مثالا للفضيلة فيتزاحمون ويتضاربون حول المائدة المقدسة ظانين أن وظيفتهم هذه ليست مثالا للفضيلة بل وسيلة لاقتناء المعاش ، ولا يفكرون بما على صاحبها من المسؤولية العظمى حاسبين اياها سلطة غير محاسبة عما تأتي به من الأفعال فمثل هؤلاء الخدمة القليل التقوى الذين وهم في حالة السعادة يستوجبون البكاء والنحيب كادوا يكونون أكثر عددا من رؤوسهم الذين هم على هذه الصورة ، فالجدير بمن على هذه الشاكلة أن يتعلم أولا واجباته ثم يحمل على عاتقه هذه المهمة ، وإلا فمثلته يكون مثل من يأخذ على عاتقه وظيفة التعليم وهو غير أهل لها ، وكمثل رجل أراد أن يتعلم عمل القدرور رأسا من نظره الى قدر كبير ، فلا شك أن مثل هذا جاهل وأحمق » ثم بدأ هذا القديس يوبخ الذين قبل أن يعرفوا أسماء الكتب المقدسة وكتابتها ومؤلفيها ، انهم لدى استظهارهم كلمتين أو ثلاث بالسمع لا بالكتب يظنون أنفسهم معلمين ماهرين ويريدون أن يدعوهم الناس يا معلم .

وقال القديس يوحنا ذهبى الفم « الكهنوت يكمل على الأرض ولكن مشروع سماوى ، فانه لا انسان ولا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا غيرها من قوات مخلوقة أقام هذه الخدمة ، بل الروح القدس نفسه هو الذى رفع الانسان وهو على الأرض الى رتبة الملائكة ، ولذلك فعلى الكاهن أن يكون نقيًا طاهرا كأنه بين الملائكة أنفسهم . أيفتكر الانسان حين يرى الرب (١) يقدم ذبيحته والكاهن أمام المذبح يصلى ويرش الجميع بالدم الذكى انه بين العالم وعلى الأرض . كلا ثم كلا فان العقل يصعد الى السماء ويطرح الافكار العالمية جانبا . فالكهنة انتدبوا ليديروا السماويات وهم على الأرض ، واتخذوا سلطانا لم يعطه الله للملائكة ولا لرؤساء الملائكة . لانه لم يقل لهؤلاء ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء وما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء . . . »

(١) ربما قصد بقوله . . . الرب يقدم ذبيحته ان سر الشكر هو عطية من السيد المسيح الذى أعطانا جسده ودمه على المذبح بفعل الروح القدس وليس عن استحقاقنا ، وما الكاهن الا واسطة ولذا قال (الرب يقدم ذبيحته) .

وبعد أن تكلم عن نقاوة الكاهن الأدبية اللائقة بخدمته السامية قال .
 كيف يجب أن يكون ذلك الذى يصلى عن بلدة بأسرها لا عن العالم كله ويطلب
 من الله تعالى مغفرة خطايا الأحياء والأموات أيضا . بالحق أنا أعد أن جسارة
 موسى وإيليا غير كافية لذلك . لان الكاهن يتقدم الى الرب كأنه موكل عن
 كل العالم ، وكأب للجميع ، ويصلى لكى يمنح الله الحروب ويخمد الفتن ،
 ويطلب تعميم السلام وخصب أثمار الأرض ، وزوال المصائب . ولذلك يجب
 أن يفوق من يصلى عنهم بمقدار ما يفوق المحامى المحامى عنه . وأى نقاوة
 تطلب منه حين يستدعى الروح القدس ويكمل الذبيحة الألهية الرهيبة ،
 ويلبس سيد العالم ، بل يضعه فى قلبه . وأى نقاوة يجب ان تحويها تلك
 الأيدي التى تخدم ذلك وكيف يجب أن يكون اللسان الذى يفوه بكلمات
 التقديس ، وكم تكون مقدسة التى تقبل الروح الكلى قدسه فان الملائكة وكل
 الطغيات السماوية تقف اذ ذاك أمام الكاهن على المائدة المقدسة متهلة . . .
 فلا يجب بعد أن علمنا ذلك اذا رأينا الرجال العظام كالاناء المصطفى الذى
 خطف الى السماء الثالثة واستحق أن يرى أسرار الله يرهيون دائما لدى
 نظرهم الى أهمية هذه الوظيفة »

وعندما بدأ بذكر الاسباب التى دعت الى الهروب من قبول وظيفة
 الكهنوت قال «فليتهمونى بمحبة الشرف والمجد الفارغ ، اذا كان يكفى فقط
 فى رئاسة الكهنوت أن أسمى راعيا وأتمم هذه الوظيفة كيفما كان ولا يكون
 خطر من ذلك . . . على الذين يقبلون الرعاية أن يكونوا ذوى فكر ناقب ،
 وأن يعرفوا مقدار هذه النعمة العظيمة ، وأن يتجملوا بالآداب اللازمة الكاملة ،
 وأن يتزينوا بالفضيلة أكثر من بقية الناس . فأنت (القديس باسيليوس
 الذى كتب له) لا ترفض أن تسامحنى لاني ما أردت أن أهلك نفسى عبثا
 وبدون فكر . . . فأنا أعرف ذاتى وأعرف ضعفها وحقارتها وأعرف أهمية
 الخدمة وصعوبة العمل العظيم . . . فأمواج الشهوات والآلام تهزم نفس الكاهن
 أكثر من الأمواج التى ترفعها الريح عن سطح البحر ، فتظهر قبل كل شئ
 صخرة المجد العظيم الأشد خطرا من صخرة سيرين (١) فمن عهد الى برياسة
 الكهنوت يكون قد أوثق يدي الى الوراء ودفعنى حيا الى تلك الصخرة لتفترسنى
 الوحوش . وما هى هذه الوحوش ؟ هى : غيظ ، ضعف ، حسد ، شتم ، اتهام ،
 شهادة زور ، رياء ، حيلة ، غضب نحو من لم يحزننا ، محبة المديح ،
 محبة الشرف ، التعليم لظهار السلطة ، التمليق ، اللطافة بمقاصد ، احتقار
 المساكين ، خدمة الأغنياء ، المجد المضر ، الخوف الذى هو من خصائص الجبناء ،
 عدم الجسارة ، التظاهر بالتواضع ، عدم توبيخ الأغنياء ، وبالأحرى توبيخ
 الفقراء ، والاعراض عن الغنى السائد خوفا منه . »

(١) حيوان غريب كان على زعم الميثولوجيا يجذب الملاحين بنشائده
 الرخيمة ثم يهلكهم .

ثم تطرق الى ذكر ذنوب الكاهن فقال « انه (أى الكاهن) لا يقدر أن يخفى ما يرتكبه من الآثام ولو كانت طفيفة ، لأنها تصير معلومة لدى الجميع حالا .
وأما الذنوب التي يرتكبها العامة فتحدث كما في ظلمة وتهلك مقترفيها وخدمهم ، بخلاف خطايا الرجل الشهير المعروف لدى الجميع فانها تجلب مضرة عمومية ، ولذلك يجب أن ينتخب للكهنوت من كان شبيها بالفتية القديسين القديسين طرحوا في الآتون البابلي . ويجب أن ينظر في المنتخب الى أعماله الداخلية والخارجية وتقواه لا الى أعماله الظاهرة . . . اننى أعرف كثيرين ممن كانوا يرضون الله في خدماتهم بالتقشف والزهد ولكنهم لما دخلوا بين العالم وأخذوا في تهذيبه فبعضهم لم يقدروا على هذا العمل وانسحبوا عنه . والفريق الآخر أجبروا على البقاء ولكنهم تركوا خطتهم السابقة فأضروا كثيرا بانفسهم ولم ينفعوا الغير . وأنا لا أعد من قضى عمره في وظيفة دنيئة أهلا للارتقاء الى وظيفة عالية . . . فعلى من أراد أن يشترط أحدا أن يمتحن المشرطن وعلى هذا المشرطن أن يمتحن نفسه قبل الدخول في الكهنوت . . . وعلى الكاهن أن يكون متعلما وضليعا في الكتاب المقدس وثابتا في عقائد الايمان القويم ليتمكن من أن يجادل ويعظ . . . بسبب عدم خبرة كاهن واحد يقاد كثيرون الى الهلاك .
وعلى الخصوص يجب أن يهتم الكهنة بانماء موهبة الكرازة وخصوصا المتعلمين منهم فان غير المتعلم اذا لم يعظ لا يندد عليه الشعب ، وأما المتعلم فيقرع من الجميع . فعليه اذن بالتمرين لئلا يفقد موهبة الوعظ والانداز بسبب عدم التمرين عليها » (كتابه في الكهنوت)

وقد وضع القديس ايرونيوس في سنة ٣٩٣ كتابا دعاه « حياة الأكليروس » قاوم به ما أشتهر به بعض كهنة الغربيين من النقائص وقدم لخدم الكنيسة النصائح الثمينة التي تتعلق بخدمتهم . ننقل هنا بعض فقرات منه . قال : يجب قبل كل شيء على من كرس نفسه لخدمة كنيسة المسيح أن يفهم معنى اسمه ، ومتى فهمها عليه أن يجرى بموجبها . لأن كلمة أكليروس هي يونانية ومعناها ميراث أو نصيب ، وقد سمي الأكليروس هكذا لأنهم ميراث الرب أو لأن الرب ميراثهم ونصيبهم . فعليهم اذن أن يسيروا بحسب ما يطلبه اسمهم أى كأناس استحقوا الرب هاتفين مع النبي « الله هو نصيبى » وعليهم أن لا يميلوا الا الى الله لا الى الربح العسلى الحسيس ، ليكون الله معهم والا فيقال عنهم ، رفضت ميراثى . . . صار لي ميراثى كأسد في الوعر نطق على بصوته من أجل ذلك أبغضته . . . رعاة كثيرون أفسدوا كرمى . داسوا نصيبى جعلوا نصيبى المشتى برية خربة . جعلوه خرابا ينوح على وهو خرب (ار ١٢ : ٧ - ١٣) ثم قال هذا القديس : « أهرب من الكاهن الذى كان فقيرا ثم أثرى بواسطة معاطاة الأعمال التجارية كهربك من الأفعى والنار ، فاق مثل هذا الكاهن الذى يهتم بأسباب المعيشة العالمية يحصل لنفسه اسما رديئا . . . » ثم يوجه القديس الكلام الى الكاهن موصيا اياه الا يطمح في مال

ثم تطرق الى ذكر ذنوب الكاهن فقال « انه (أى الكاهن) لا يقدر أن يخفى ما يرتكبه من الآثام ولو كانت طفيفة ، لأنها تصير معلومة لدى الجميع حالا .
وأما الذنوب التي يرتكبها العامة فتحدث كما في ظلمة وتهلك مقترفيها وخدمهم ، بخلاف خطايا الرجل الشهير المعروف لدى الجميع فانها تجلب مضرة عمومية ، ولذلك يجب أن ينتخب للكهنوت من كان شبيها بالفتية القديسين الذين طرحوا في الآتون البابلي . ويجب أن ينظر في المنتخب الى أعماله الداخلية والخارجية وتقواه لا الى أعماله الظاهرة . . . اننى أعرف كثيرين ممن كانوا يرضون الله في خدماتهم بالتقشف والزهد ولكنهم لما دخلوا بين العالم وأخذوا في تهذيبه فبعضهم لم يقدروا على هذا العمل وانسحبوا عنه . والفريق الآخر أجبروا على البقاء ولكنهم تركوا خطتهم السابقة فأضروا كثيرا بانفسهم ولم ينفعوا الغير . وأنا لا أعد من قضى عمره في وظيفة دنيئة أهلا للارتقاء الى وظيفة عالية . . . فعلى من أراد أن يشترط أحدا أن يمتحن المشرطن وعلى هذا المشرطن أن يمتحن نفسه قبل الدخول فى الكهنوت . . . وعلى الكاهن أن يكون متعلما وضليعا فى الكتاب المقدس وثابتا فى عقائد الايمان القويم ليتمكن من أن يجادل ويعظ . . . بسبب عدم خبرة كاهن واحد يقاد كثيرون الى الهلاك .
وعلى الخصوص يجب أن يهتم الكهنة بانماء موهبة الكرازة وخصوصا المتعلمين منهم فان غير المتعلم اذا لم يعظ لا يندد عليه الشعب ، وأما المتعلم فيقرع من الجميع . فعليه اذن بالتمرين لئلا يفقد موهبة الوعظ والانداز بسبب عدم التمرين عليها » (كتابه فى الكهنوت)

وقد وضع القديس ايرونيوس فى سنة ٣٩٣ كتابا دعاه « حياة الأكليروس » قاوم به ما أشتهر به بعض كهنة الغربيين من النقائص وقدم لخدم الكنيسة النصائح الثمينة التى تتعلق بخدمتهم . ننقل هنا بعض فقرات منه . قال : يجب قبل كل شئ على من كرس نفسه لخدمة كنيسة المسيح أن يفهم معنى اسمه ، ومتى فهمها عليه أن يجرى بموجبها . لأن كلمة أكليروس هى يونانية ومعناها ميراث أو نصيب ، وقد سمي الأكليروس هكذا لأنهم ميراث الرب أو لأن الرب ميراثهم ونصيبهم . فعليهم اذن أن يسيروا بحسب ما يطلبه اسمهم أى كأناس استحقوا الرب هاتفين مع النبى « الله هو نصيبى » وعليهم أن لا يميلوا الا الى الله لا الى الربح العسلى الحسيس ، ليكون الله معهم والا فيقال عنهم ، رفضت ميراثى . . . صار لى ميراثى كاسد فى الوعر نطق على بصوته من أجل ذلك أبغضته . . . رعاة كثيرون أفسدوا كرمى . داسوا نصيبى جعلوا نصيبى المشتى برية خربة . جعلوه خرابا ينوح على وهو خرب (ار ١٢ : ٧ - ١٣) ثم قال هذا القديس : « أهرب من الكاهن الذى كان فقيرا ثم أثرى بواسطة معاطاة الأعمال التجارية كهربك من الأفعى والنار ، فاق مثل هذا الكاهن الذى يهتم بأسباب المعيشة العالمية يحصل لنفسه اسما رديئا . . . » ثم يوجه القديس الكلام الى الكاهن موصيا اياه الا يطمح فى مال

كلمة ختامية

هذه هي أسرار الكنيسة السبعة التي أسسها مخلصنا له المجد كينابيع بركات تفاض على المؤمنين ، تنبع من كنز استحقاقاته الخلاصية التي اشتراها لنا بدمه الكريم ، وعلى أعمدها أسس كنيسته المقدسة كما قال الحكيم « الحكمة بنت بيتها . نحتت أعمدها السبعة » (أم ٩ : ١) فالحكمة هي يسوع المسيح ربنا . والبيت الذي بناه هو كنيسته المقدسة ، وأما أعمدها السبعة فهي الأسرار السبعة التي سلمها لرسوله الأطهار ، ومنهم تسلمتها الكنيسة جيلا بعد جيل ، ولا تزال تمارسها لفائدة أبنائها وأعضائها .

وإذا تأملنا رأينا أن هذه الأسرار تحيي فينا الفضائل الالهية الثلاث وهي الايمان والرجاء والمحبة . اذ تعلمنا أن الايمان هو الأساس الأول والشرط الذي لا بد منه للاشتراك في كل سر من هذه الأسرار ، وأنه اليد التي تمتد لتناول البركات من يد المسيح نفسه مفيض النعم وواهب الخيرات وبالرجاء تنتظر أرواحنا النعم التي وعد بأن يفيضها بواسطتها ، حيث وعد بموهبة خاصة لكل سر منها ، فلنتوقع راجين نيل تلك الهبة الموعودة . وكم تفيض قلوبنا محبة وشكرا لمخلصنا الذي منحنا احساناته التي لا تحصى مجانا بلا ثمن . وكم نشعر بروح المحبة والآباء لجميع المؤمنين عندما نعرف بأننا أعضاء بعضنا لبعض « لأننا جميعا بروح واحد أيضا أعتمدنا الى جسد واحد يهودا كنا أم يونانيين ، عبيدا أم أحرارا وجميعا سقين روحا واحدا » (١ كو ١٢ : ١٣) « فاننا نحن الكثيرين اجزء واحد جسد واحد الأنا جميعنا نشترك في الجذب الواحد » (١ كو ١٠ : ١٧)

ومتى تأملنا في كل سر من هذه الأسرار مجدنا الله تعالى على نعمه وآلائه ، واعترفنا بجوده واحسانه ، وتذكرنا سقوطنا في الخطية ، وتبريرنا مجانا بدم مخلصنا الكريم وتقديسنا بنعمة روحه الأقدس طالبين من الله تعالى أن يشبتنا في ايمانه القويم . فاننا بالمعمودية اعترفنا أمام الله وأمام كنيسته المقدسة بأننا جحدنا الشيطان ورفضنا أعماله ، وأقبلنا الى مملكة النور ، وتطهرنا من خطايانا وولدنا ثانية ميلادا جديدا بالماء والروح ، وصرنا أبناء لله ووارثين الحياة الابدية . فمن لا يشعر بثقل الواجبات المترتبة على ذلك ، وأي اجتهاد يجب أن نبذله لننتم خلاصنا بخوف ورعدة !!

وبسر المسحة المقدسة نلنا عطية الروح القدس ومواهبه ، لتثبتنا في الايمان والحياة الروحية ، ولتعليننا وارشادنا ، فكم يجب المحافظة على هذه النعمة منتبهين الى قول الرسول « لا تطفئوا الروح » (١ تس ٥ : ١٩)

« اذن لا شيء من الديتونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » (رو ٨ : ١) « أما نمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح ايمان وداعة تعفف » (غل ٥ : ٢٢ و ٢٣)

ويتناولنا سر الافخارستيا نأكل جسد الرب ونشرب دمه ، ونقبل في داخلنا يسوع المسيح نفسه . وبهنا نثبت فيه وهو يثبت فينا ، وننال الحياة الأبدية . ونذكر ذبيحته الكفارية التي قدمها على الصليب من أجل فدائنا وتبريرنا . فبأى تهيب نقبل الى هذا السر الاقدس ، وكم يجب علينا أن نستعد لاقتباله بكل ورع وايمان ومحبة ، وقلب مملوء بالشعور الحى لنيل هذه الذخيرة المقدسة .

وبسر التوبة نتصالح مع الله ونتقدم اليه بالانسحاق والحشوع ، ونعترف بخطايانا نادمين عليها عازمين على عدم العودة اليها ، لنعيش بالتقوى حتى نثمر آثار التوبة الحقّة (مت ٣ : ٧)

وبسر مسحة المرضى نلجأ الى الله تعالى عند المرض قبل الانتحاء الى الأطباء ، وبه ينال المريض ليس شفاء الجسد فقط ، بل شفاء الروح أيضا . وبذلك نبارك الله ونخصص حياتنا لمن بيده أمرنا .

وفي سر الزيجة يرتبط الزوجان برباط مقدس ويكونان جسدا واحدا ، ويعدان بأن يعيشا بالأمانة والصلاح ، ويربيا أولادهما التربوية المسيحية المطلوبة لمجد الله وخير الكنيسة .

أما الذين ينتدبون الى الوظيفة الكهنوتية فينالون نعمة من الله وسلطة لتدبير أمور الكنيسة ، واتمام طقوس الأسرار المقدسة فكم يجب عليهم أن يتقدسوا ليقدسوا غيرهم وينتبهوا الى واجباتهم العظمى ليرعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه (اع ٢٠ : ٢٨)

هذه ايها القارئ أسرار الكنيسة السبعة المقدسة ، مبرهنة بأقوال الكتاب وشهادة التاريخ وأقوال الآباء . ولقد اتضح لك أنها مؤسسة على الحق ، فانثبت على صخرة الايمان المستقيم ، لاجتناء فوائد وأثمار هذه البركات باستحقاق ، لننال فيض النعم ونحصل على مواعيد الله ، في هذه الحياة الدنيا وفي الحياة الأبدية .

ولربنا المجد دائما أبديا آمين &

الطبعة الرابعة : }
برمودة ١٩٦١ }
ابريل ١٩٧٥ }

كلمة المراجع

حمدا لله الذى أتاح لى فرصة أشبعت فيها حنينى الى أيام التلمذة بالكلية الاكليريكية على يد الرائد العظيم والوالد المحب والأستاذ العالم الأرشيدياكون حبيب جرجس مدير الكلية السابق رحمه الله . فقد كانت مراجعتى لهذا الكتاب دراسة جديدة لى وامتلاء يزيد اليقين بسمو العطايا الروحية التى لنا فى أسرار الكنيسة المقدسة

وكانت مهمتى هى المراجعة لتدارك خطأ مطبعى أو سهو . ولكن تحقيقا للغرض المقدس من وضع هذا المؤلف الثمين وتكريما للجهود الجبارة التى بذلت فى وضعه وتنسيقه ، رأيت أن أوضح فى الهوامش ما قد يعسر فهمه على بعض القارئى .

وإذا كانت جمعية المحبة وعلى رأسها الأستاذ يونان نخلة قد قامت بجهود مشكورة فى خدمة الكنيسة والمجتمع والانسانية فان اهتمامها بنشر الثقافة الدينية عن طريق طبع المؤلفات وتوزيعها تجاوب - لا سيما فى هذه الأيام - مع وزارة التربية والتعليم فى هذا الشأن وأن الجمعية لتستحق الشناء والتشجيع .

أرجو أن يعرف المؤمنون قدر هذا المؤلف لينالوا من مناهله العذبة وتتعدى وتشبع نفوسهم من دمه عزاء وسلاما بصلوات قداسة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس وسائر الآباء الموقرين .

وللهنا المجد والكرامة من الآن والى الأبد . آمين .

الراجى عفو
القمص
ابراهيم عطية

١٩٦٨/٨/١٦

كلمة المراجع

حمدا لله الذى أتاح لى فرصة أشبعت فيها حنينى الى أيام التلمذة بالكلية الاكليريكية على يد الرائد العظيم والوالد المحب والأستاذ العالم الأرشيدياكون حبيب جرجس مدير الكلية السابق رحمه الله . فقد كانت مراجعتى لهذا الكتاب دراسة جديدة لى وامتلاء بيزيد اليقين بسمو العطايا الروحية التى لنا فى أسرار الكنيسة المقدسة

وكانت مهمتى هى المراجعة لتدارك خطأ مطبعى أو سهو . ولكن تحقيقا للغرض المقدس من وضع هذا المؤلف الثمين وتكريما للجهود الجبارة التى بذلت فى وضعه وتنسيقه ، رأيت أن أوضح فى الهوامش ما قد يعسر فهمه على بعض القارئى .

وإذا كانت جمعية المحبة وعلى رأسها الأستاذ يونان نخلة قد قامت بجهود مشكورة فى خدمة الكنيسة والمجتمع والانسانية فان اهتمامها بنشر الثقافة الدينية عن طريق طبع المؤلفات وتوزيعها تجاوب - لا سيما فى هذه الأيام - مع وزارة التربية والتعليم فى هذا الشأن وأن الجمعية لتستحق الشناء والتشجيع .

أرجو أن يعرف المؤمنون قدر هذا المؤلف لينالوا من مناهله العذبة وتتعدى وتشبع نفوسهم من دمه عزاء وسلاما بصلوات قداسة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس وسائر الآباء الموقرين .

وللهنا المجد والكرامة من الآن والى الأبد . آمين .

الراجى عفو
القمص
ابراهيم عطية

١٩٦٨/٨/١٦

محتويات الكتاب

تقديم

- ٥ في الكتاب المقدس
- ٦ تعريف السر الكنسي - مناسبة الأسرار للطبيعة البشرية ...
- ٧ التشابه بين الأسرار وبين ما تشير إليه - جوهر الأسرار وفعلها
- ١٢
- ١٤ شروط اتمام كل سر ودحض الآراء الفاسدة في هذا الشأن ...
- ١٥
- ١٨ عدد الأسرار

١ - سر المعمودية

- الفصل الأول - تعريف السر وأسمائه - رتبة المعمودية بين
- ٢١ الأسرار - لماذا عين الرب الماء للمعمودية ...
- رموز المعمودية في العهد القديم وأنواع
- ٢٢ المعموديات
- ٢٣ - تأسيس سر المعمودية
- ٢٤ الفصل الثاني - ضرورة المعمودية ولزومها للخلاص
- ٢٧ الفصل الثالث - وجوب تعميد الأطفال
- الفصل الرابع - كيفية ممارسة سر المعمودية ووجوب اتمامها
- ٣١ بالتغطيس وادحاض طريقة الرش
- الفصل الخامس - الاعتماد باسم الثالوث الاقدس ومعنى
- ٣٤ الاعتماد باسم المسيح
- الفصل السادس - نتائج سر المعمودية غير المنظورة واثبات أنها
- ٣٥ هي الولادة الثانية
- ٣٨ الفصل السابع - وحدة المعمودية وعدم اعاتها
- ٣٩ الفصل الثامن - معمودية الدم أو الشهادة
- ٤٠ الفصل التاسع - من له حق التعميد - واجبات المعتمدين ...
- ٤٢ - وظيفة الاشابين

٢ - سر الميرون

- الفصل الأول - ارتباطه بسر المعمودية وتعريفه وأسمائه
٤٣ والغرض منه وتأسيسه
الفصل الثاني - استقلال هذا السر عن سر المعمودية واثباته ٤٥
الفصل الثالث - منح السر حالا بعد المعمودية وخطا الذين
٥٠ يؤخرونه
الفصل الرابع - الميرون واستعماله وتاريخه .. ٥٢
الفصل الخامس - نتائج السر وعدم اعادته وحق اتمامه ... ٥٥

٣ - سر الشكر أو الأفخارستيا

- الفصل الأول - تعريف السر وسموه عن باقي الاسرار -
٥٧ أسمائه - الوعد به - تأسيسه
الفصل الثاني - ايمان الكنيسة الارثوذكسية - الذين أنكروا
٦٠ حقيقته *
الفصل الثالث - اثبات صحة الحقيقة الارثوذكسية ... ٦١
الفصل الرابع - اقوال آباء الكنيسة والمجامع وایمانهم ... ٦٥
الفصل الخامس - كيفية حضور الرب في هذا السر ومعنى
٦٩ الاستحالة
- عدم انقسام القديسات مع تفصيل اجزائها
٧٠ ووحدة هذا السر
الفصل السادس - ادحاض الاعتراضات على هذا السر ... ٧١
الفصل السابع - سر الشكر من حيث هو ذبيحة وصفاتها
٨٧ ونسبتها الى الذبيحة التي قدمت على الصليب
الفصل الثامن - وجوب تناول السر تحت الشكنتين ... ٨٣
الفصل التاسع - مناولة الاطفال ٨٥
الفصل العاشر - الأثمار الخلاصية التي ننالها ... ٨٦
الفصل الحادى عشر - وجوب استعمال الحيز الخمير وادحاض
٨٧ بدعة الفطير
الفصل الثانى عشر - ادحاض الاعتراضات في هذا الشأن ... ٩٣

٤ - سر التوبة

- الفصل الأول - تعريف سر التوبة وتأسيسه ... ٩٧
الفصل الثانى - استعمال السر في الكنيسة ... ٩٨
الفصل الثالث - شروط التوبة ١٠١

١٠٤	الفصل الرابع - الاعتراف
١١٠	الفصل الخامس - نتائج سر التوبة
١١١	الفصل السادس - التأديبات الكنسية
١١٦	الفصل السابع - الخطايا التي يشتملها سر التوبة وما هي الخطية التي لا تغفر
١١٨	الفصل الثامن - فساد تعليم كنيسة رومية في أوراق الغفرانات

٥ - سر مسحة المرضى

١٢٢	الفصل الأول - تعريف هذا السر وتأسيسه
١٢٣	الفصل الثاني - تفنيد الآراء الفاسدة عن هذا السر
١٢٤	الفصل الثالث - أقوال الآباء عن هذا السر
١٢٥	الفصل الرابع - اتفاق جميع الكنائس وشهادة التاريخ وشهادة ناكري الأسرار
١٢٩	الفصل الخامس - حق تميم السر للكهنة ونتائجه

٦ - سر الزيجة

١٣٠	الفصل الأول - الزيجة من حيث هي ناموس طبيعي ومن حيث هي سر
١٣١	الفصل الثاني - الغاية من الزيجة وتأسيس هذا السر
١٣٣	الفصل الثالث - أقوال آباء الكنيسة عن سر الزيجة
١٣٤	الفصل الرابع - العمل المنظور في أقام السر وفعله غير المنظور
١٣٦	الفصل الخامس - الشروط المطلوبة لعقد رباط الزيجة
١٣٧	الفصل السادس - اوصاف الزيجة المسيحية
١٤٠	الفصل السابع - عدم انفكاك الزيجة
١٤٥	الفصل الثامن - حالة البتولية أشرف من حالة الزواج

٧ - سر الكهنوت

١٤٩	الفصل الأول - ارتباط هذا السر بباقي الأسرار وتعريفه
١٥١	الفصل الثاني - الكهنوت من حيث هو رتبة مختصة بافراد معينين في الكنيسة

- ١٥٨ الفصل الثالث - الكهنوت من حيث هو سر وله طقس خاص
- ١٦٩ الفصل الرابع - رد اعتراضات البليموثيين والاصلاحيين ...
- ١٧٧ الفصل الخامس - درجات الكهنوت الثلاث وترتيبها من الله ...
- ١٨٠ الفصل السادس - درجات الشماسية والقسيسية والأسقفية
- الفصل السابع - القسم المنظور من السر وفعله غير المنظور
- ١٨١ وعدم اعادته
- ١٨٣ الفصل الثامن - خادم سر الكهنوب
- الفصل التاسع - الدعوة الى الكهنوتية وعلاماتها ومؤهلات
- ١٨٤ المتعزين اليها
- ١٩٣ كلمة ختامية
- ١٩٥ كلمة الاب القمص ابراهيم عطية





٢٠ شارع النجالة بالقاهرة